

ISSN 0258 - 1094



مجلة

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَدَبِيَّةِ
مجلة علمية محكمة تُنشر الجُمُعَاتِ والدراسات في اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

السَّنة الأربعون

العدد التسعون

رمضان ١٤٣٧ هـ - حزيران ٢٠١٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هيب الخزيير

آلستاد اللككور

خالد الكري

مرئيس الخزيير

آلستاد اللككور

اخق احمد فرحان

آلستاد اللككور

محمد عدنان البخيت

آلستاد اللككور

محمد حور

آلستاد اللككور

سعيد التل

آلستاد اللككور

عبد المجيد نصير

آلستاد اللككور

سماستيتيه

آللككور

محمد سليمان السعودي

الامين العام للمجمع

الإخراج الفني

خسان أبو عوليا

التحرير

نادر رزق

عز الدين أبو عوليا

عبد الله محافظ

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني مجلة متخصصة محكمة

شروط النشر:

١. تعنى المجلة بالبحوث التي تعالج قضايا اللغة العربية وآدابها.
٢. يكون البحث المقدم للمجلة مستوفياً شروط البحث العلمي من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير.
٣. يشترط في البحث أن يكون خاصاً بمجلة المجمع، وأن لا يكون قد نشر أو قدم لأي جهة أخرى لغايات النشر، ويقدم الباحث تعهداً خطياً بذلك، ولا مانع من أن يكون البحث جزءاً من رسالة علمية غير منشورة.
٤. أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الموضوعي.
٥. يصبح البحث بعد قبوله للنشر حقاً لمجلة المجمع، ولا يجوز النقل عنه إلا بالإشارة إلى مجلة المجمع.
٦. لا يجوز لصاحب البحث أو لأي جهة أخرى إعادة نشر ما نشر في المجلة أو ملخص عنه في أي كتاب أو صحيفة أو دورية إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشره في المجلة، وأن يحصل على موافقة خطية من رئيس التحرير.
٧. يرسل الباحث نسخة إلكترونية من بحثه على بريد المجمع الإلكتروني بعنوان:
(jaa@ju.edu.jo) أو على موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت)
(www.majma.org.jo) باستخدام البرنامج الحاسوبي (Ms word) بحجم خط (١٤) للمتن و (١٢) للهوامش على وجه واحد من الورقة حجم (A 4).

٨. لا تزيد صفحات البحث على ثلاثين صفحة، بمعدل (٣٠٠) ثلاثمئة كلمة للصفحة الواحدة.

٩. يتولى تحكيم البحث محكمان أو أكثر حسب ما تراه هيئة التحرير، ويلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراء التحكيم في حال سحبه بحثه أو الرغبة في عدم متابعة إجراءات التحكيم وفق ما يقدره رئيس التحرير.

١٠. يكون قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره نهائياً، وتحفظ هيئة التحرير بحق عدم إيداء الأسباب، ويجوز في حال الاعتذار أن يزود الباحث بالملاحظات والمقترحات التي يمكن أن يفيد منها في إعادة النظر ببحثه.

١١. يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يطلبها المحكمون إذا كان قرار هيئة التحرير بإجازة نشر البحث مشروطاً بذلك.

١٢. البحوث غير المجازة لا ترد لأصحابها.

١٣. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر عن هيئة التحرير أو المجمع.

١٤. يخضع ترتيب البحوث عند النشر في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.

١٥. يكون توثيق البحوث كما يأتي:

أ- المصادر:

يوثق المصدر عند ذكره لأول مرة على النحو الآتي:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي بين قوسين، إن كان متوفى، واسم المصدر كاملاً بالحرف الغامق، إذا كان عربياً، وبحروف مائلة إن كان بلغة أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، واسم المحقق، ودار النشر، ورقم الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطي (ت ٤٠٠هـ، ١٠١٠م)، كتاب الأفعال،
ج ٣، تحقيق د. حسن محمد شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،
القاهرة، ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٨٥.

ب- المراجع:

يذكر اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته بالهجري والميلادي، إن كان متوفى، ثم
اسم المرجع كاملاً بالحرف الغامق إن كان عربياً وبحروف مائلة إن كان بلغة
أجنبية، وعدد الأجزاء أو المجلدات وأقسامها، إن وجدت، ودار النشر، ورقم
الطبعة، ومكان النشر، وسنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن سعيد الكرمي (ت ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، الهادي إلى لغة العرب، ٤ ج، دار
لبنان للطباعة والنشر، ١٩٩١م، بيروت، ج ١ ص ٢٣٩.

ج- محاضرات المؤتمرات:

يذكر اسم المحاضر كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين
علامتي اقتباس، هكذا " " ويذكر عنوان الكتاب كاملاً، واسم المحرر أو
المحررين ويضاف إليه/إليهما كلمة "رفاقه/رفاقهما" إن كانوا أكثر من اثنين على أن
تذكر أسماؤهم جميعاً في قائمة المراجع، واسم دار النشر، ومكان النشر، وسنة
النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

شكران خربوطلي، "أوقاف دمشق وأثرها على الحركة العلمية فيها في العصر
الأموي"، المؤتمر الدولي السابع لتاريخ بلاد الشام: الأوقاف في بلاد الشام، تحرير
الدكتور محمد عدنان البخيت، مطبعة الجامعة الأردنية، منشورات لجنة تاريخ بلاد
الشام، عمان، ٢٠٠٩م، ص ١٣-٢٧.

د- المجالات:

يذكر اسم صاحب البحث أو المقالة كاملاً، وعنوان بحثه أو مقالته بالحرف الغامق بين علامتي تنصيص هكذا " " ويذكر اسم المجلة بالحرف الغامق للمجلات العربية، وبحروف مائلة للمجلات الأجنبية، ورقم المجلد والعدد، ورقم الصفحة أو الصفحات.

مثال:

حسن حمزة، "الوضع والاشتقاق والدلالة"، مجلة المعجمية، تونس، ٢٠٠٢م، العدد ١٨، ص ٨١-٩٨.

١٦- يراعى عند الإشارة إلى الصفحة أو الصفحات المقتبس منها في الحواشي، ما يأتي:

- يوضع الرمز (ص) للدلالة على الصفحة أو الصفحات المقتبس منها إذا كان المصدر أو المرجع عربياً والحرف (p) للصفحة الواحدة، و (pp) لأكثر من صفحة إذا كان المصدر أو المرجع أجنبياً.

- يذكر اسم السورة ورقم الآية أو الآيات في متن البحث، وبرسمها القرآني.

- يذكر الحديث النبوي الشريف ومطائنه ومصادر تخريجه من كتب الحديث النبوي الأصول، ويوثق كل مصدر منها توثيقاً كاملاً.

- عند ورود بيت أو أبيات من الشعر، يذكر اسم الشاعر والبحر ومصادر تخريجه.

- يذكر اسم المؤلف كاملاً عند الاستشهاد بمخطوط، ويذكر عنوان المخطوط كاملاً، ومكان وجوده، وتاريخ النسخة، وعدد أوراقها، ورقم الورقة.

١٧. تكتب أسماء الأعلام الأجنبية في متن البحث بحروف عربية (ولاتينية بين قوسين) على أن يذكر الاسم كاملاً عند وروده لأول مرة.

١٨. تكتب أسماء أعلام التراث العربي الإسلامي في متن البحث كاملة مع ذكر تاريخ الوفاة بالهجري والميلادي بين قوسين للأعلام، وتعرف المواقع في ضوء المراجع الحديثة.

١٩. توضع أرقام التوثيق بين قوسين، وتكون متسلسلة من أول البحث إلى آخره.

٢٠. يقدم كل صاحب بحث قبل النشر سيرته الذاتية في حدود (٥٠) خمسين كلمة تقريباً، تتضمن أعلى مؤهل علمي، والجامعة التي تخرج فيها، ومكان عمله، ومركزه الوظيفي واهتماماته العلمية، وعنوان بريده الإلكتروني.

٢١. يقدم إلى صاحب البحث نسخة من العدد المنشور فيه بحثه و(٢٥) مستلة من بحثه.

ترسل البحوث والمراسلات إلى المجلة على العنوان الآتي:

رئيس هيئة تحرير مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب (١٣٢٦٨) عمان (١١٩٤٢) الأردن

هاتف ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٥٠٠

ناسوخ (فاكس) ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٧٠٦٤

البريد الإلكتروني: jaa@ju.edu.jo

موقع المجمع على شبكة المعلومات (الإنترنت) www.majma.org.jo

الفهرس

رقم الصفحة

الموضوع

- أولاً: البحوث
- ١٥ ١٥
- ١٧ ١٧
- ٤١ ٤١
- ١٣١ ١٣١
- ١٦٧ ١٦٧
- ٢٠٥ ٢٠٥
- ٢٦٧ ٢٦٧
- ٣١١ ٣١١
- ١- مراجعة البحث الموسوم بـ"تنكرة النحاة لأبي حيان محمد بن يوسف الفرناطي الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، نقد واستدراك"
- ٢- النقد الموسيقي في الأدب العربي قراءة في نقد النقد
- ٣- المقطع العربي الصوتي ودوره في تعليم اللغات: اللغة العربية أنموذجاً
- ٤- ظاهرة كسر أوائل الكلمات في اللهجة البغدادية المعاصرة
- ٥- مشروع لكتابة المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبية
- ٦- قبس من لسان العامة في معجم الصحاح
- ثانياً: أخبار جمعية

البحوث

مراجعة البحث الموسوم

ب"تذكرة النُّحاة لأبي حيَّان محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي

(ت ٧٤٥هـ)، نقد واستدراك"

د. عبدالرازق حويزي

جامعة الطائف، كلية الآداب

كتاب "تذكرة النُّحاة" أحد المؤلفات العلمية القيمة لـ"أبي حيَّان الأندلسي" التي أتحف بها مكتبة التُّراث العربي، ويُعدُّ هذا الكتابُ من المصنَّفات الجامعة لغير قليل من القضايا اللُّغوية الدَّقيقة، وهذا ممَّا يُعلي من قيمته، فضلاً عن اشتماله على عددٍ غير قليلٍ من الشُّواهد اللُّغوية، والقصائد والمقطَّعات الشعريَّة، التي انفرد ببعضها، والتي لا تُوجد في سائر المكتبة التُّراثيَّة، وممَّا يُؤسِّف له أنَّ بعض هذه الأشعار لم ينسبها لأصحابها، ومهما يكن من أمرٍ فقد أدرك المحقِّقون والعلماء، قيمةَ هذا الكتاب، وأهميَّته في الدُّرس اللُّغوي والأدبي، ففتَّش عن مخطوطته الدُّكتور الفاضل: "عفيف عبدالرَّحمن"، وما إن عثرَ عليها حتى بادر إلى تحقيقها وإخراجها، وقد كان فnal بذلك فضل السُّبق والرَّيادة، واستحقَّ الشُّكر الجزيل على ما بَدَل من جهده، وأنفق من وقته النَّفيس، وتولَّت مؤسَّسة الرِّسالة في بيروت نشر هذا الكتاب القيم، عام ١٩٨٦م، وبتداوله بين دُور النَّشر، وأيدي الباحثين ظهرت قيمته بشكلٍ أوسع، وبصورةٍ أدقَّ، فاقتبس منه بعض الباحثين، واستفاد منه رهطٌ من اللُّغويين، وكتب عن تحقيقه بعضُ النُّقاد، وتغلَّغت في نفس بعضهم

فكرة إعادة تحقيقه، ويكفي دلالة على قيمة هذا الكتاب ما ذكره الدكتور الفاضل "وليد السراقي" في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٨٤ع، ص ٢٤٧ في قوله: "تذكرة النُّحاة من آثار أبي حيان الأندلسي الحافلة بمعارف لغويّة، وأدبيّة، ونحويّة، غاصُّ بالآراء الكثيرة المتشعبّة التي يوردها أبو حيان شارحًا ومعقبًا ورافضًا".

ونظرًا لِمَا شاب تحقيقه من هناتٍ ظهرت بعضُ البحوثِ النّقديّة التي عالجت بعضها، من هذه البحوث بحث الأستاذ الفاضل: "محمد القاضي" المنشور بتاريخ ٢٥/١١/٢٠٠٦م في الرابط الآتي:

<http://www.ahlalhdeeth.cc/vb/showthread.php?>

تحت عنوان: "كتاب تذكرة النُّحاة وجناية المحقّق عليه"، وبعد هذا المقال، وفي الرّابطة نفسه كتب د. "وليد السراقي" بتاريخ ١٣/٢/٢٠١٠م مشاركةً، أشار فيها إلى أنه:

١- نشر مقالاً نقديّاً عام ١٩٩٠م في مجلّة عالم الكتب السّعوديّة. قلتُ: هذا المقال منشور عام ١٩٨٩م في مج ١٠، ع ١، ص ٧٩-٨٣ من المجلّة السّالفة الذّكر.

ثم أتبع الدكتور "وليد السراقي" هذا البحثَ ببحثٍ آخر، وهو محلُّ هذه المراجعة المتواضعة، نشره على صفحات العدد (٨٤) من هذه المجلّة الغزّاء، واحتلّ البحث من ص ٢٥٠ - ٢٧٧، وجعله سببًا له لإعادة تحقيق كتاب

"تذكرة النُحاة"، خصوصًا وأنَّ الكتاب في دائرة اهتمامه منذ سنوات عديدة، كما نصَّ هو في مقدمة بحثه ص ٢٤٧.

قرأتُ بحثَ الدكتور الفاضل قراءة مستفيد، معجب بنشاطِ صاحبه، وحرصه على التَّحصيل العلميِّ والنَّشر، ممَّا دفعني إلى إزجاء أسمى أماراتٍ شكري الجزيل له على عطائه المتواصل، ولكنَّ الأعمالَ البشرية كلَّها عرضةٌ للسَّهو والوهم، وما من شكِّ في أن الهدف ممَّا سيُسجَّل في السُّطور الآتية إنما هو الحرصُ على ظهور الكتاب بصورة تتواءم ومحتواه ومنزلة مؤلفه العلمية، هذا من جانب التنويه بجهود أخي الدكتور "وليد" من جانب آخر، وأود أن أقول: إن الملحوظات الهينة الآتية ثمرة تقاطع ما لديَّ من مادة علمية مع بحثه المنشور، ولولا هذا ما كان لها أثر هنا، لذا أردت إثباتها لعل فيها فائدة.

أقول قرأتُ البحث، وقابلت بينه وبين ما نُشر في الرَّابط أعلاه، وفي المقال المنشور في مجلَّة عالم الكتب، فلم أر تكرارًا، ومن هنا كانت جديته وطرافة ما احتجَّته من ملحوظات مهمة، وإضافة جديدة بالتسجيل، فضلًا عن اتسامه بلُغة سليمة، قمينة بالشكر، أما الهنات التي علقت بالبحث فيمكن إجمالها في الآتي:

١- إيراد كلمات قليلة على غير وجهها من المصدر المنقود. وهو "تذكرة النُحاة".

٢- ملحوظات على طباعة بعض الكلمات، وتحديد الأسطر، والتّخرجات، وتثبيت التّروايات والعزود، وغير ذلك.

٣- أسلوب قاس محتوٍ على استفهاماتٍ وتعجّباتٍ من تحقيق المحقّق.

٤- خلو البحث من قائمة المصادر، وهي من الأهميّة بمكان لبحث مثل هذا خصوصًا وأنّ الناقد الفاضل رجع إلى أكثر من طبعة لبعض المصادر، مثل كتاب سيويوه، حيث رجع في ص ٢٦٤، س ١٢ إلى تحقيق العلامة "عبدالسّلام هارون"، ورجع في ص ٢٥٦، س ٤ إلى طبعة بولاق للكتاب نفسه.

هذه ملحوظات إجماليّة، أما التفصيليّة فستساق مُطرّدة بتسلسل أرقام صفحات البحث وأسطره، والرقم الأول لرقم الصّفحة (ص)، والرقم الثاني لرقم السّطر (س).

● ص ٢٤٧: عدّد الناقد المثالب التي اعترت التحقيق، وحصرها في تسعةٍ مثالب، ولا يخلو الحصر من تكرار في المعنى مع الاختلاف في صياغة الألفاظ، وذلك تحت كلّ من رقم: (٥) مع رقم (٨)، ورقم (٦) مع رقم (٧)، ولعل من الأفضل اختزال كل هذا في نقطتين فقط، الأولى بعنوان: الترجمة للمشهورين دون المغمورين مع الاقتضاب الممل في الترجمة، وإهمال ذكر مصادرها. والثانية بعنوان: إهمال تخريج كثير من نصوص الكتاب على مصادرها.

● ص ٢٤٨، س ٣: قال الناقد الكريم: إنّه سيرفدُ نقدَه هذا بمقالاتٍ أخرى في الموضوع نفسه. قلت: سيستقصي - إن شاء الله تعالى - كلّ المآخذ

على الكتاب؛ لأنني وقفت في الـ (٨٠) صفحة التي تناولها بالتفد على أخطاء أخرى كثيرة متروكة في الكتاب المنقود دون معالجة في البحث، هذا إذا تأخر إعادة تحقيقه للكتاب، أو انصرف - لا قدر الله - عن إعادة التحقيق، وهذا أمر لا أرتضيه، ولا يرتضيه كثير من محبي التراث العربي، ولُغته الآسرة.

● ص ٢٤٨، س ٥ من أسفل: في قول الناقد: "أن هذه الملحوظات تشمل الكتاب كله، وما أسطره الآن هو نتاج جزء صغير من صفحاته، لا تتجاوز السبعين صفحة فقط" إطناب، ويمكن إيجاز الأسلوب في: "أن هذه الملحوظات لها ما يشبهها في الكتاب كله، وملحوظاتي على سبعين صفحة فقط".

● ص ٢٤٩، س ٥ من أسفل: نقل الناقد من كتاب تذكرة النُحاة: "وتشبيهه رب بلم"، وقال: "والصَّوَاب: رَبُّ بلم...".
وعندما رجعتُ إلى كتاب تذكرة النُحاة وجدتُ الآتي: "وتشبيهه رب بكم"، وبه يتضح تصحيح المحقق.

● ص ٢٤٩، س ٤ من أسفل: قال الناقد: "إن المحقق قال في أثناء تعريفه بالجزمي ... لقب بالنبَّاح لكثرة نظرياته في النحو".
ثم قال: والصَّوَاب: لكثرة مناظراته.

قلت كذا ورد عندهما - أي المحقق والناقد -، والصَّوَاب بالنبَّاح بالحاء المهملة لأن "الجزمي" كان يُلقَّب بالكلب، وبالنبَّاح لأنه كان يذهب إلى "أبي زيد الأنصاري" فيناظره ويصايحه، فُلُقِّب بالنبَّاح، وينظر في هذا: الوافي بالوفيات ٢٤٩/١٦.

● ص ٢٤٩، س ١٢: ورد في هذا السّطر: "أو بن المبارك"، وهو خطأ طباعي، صوابه: "أو ابن المبارك".

● ص ٢٤٩، س الأخير: ويزاد إثر هذه الكلمات كما ذكر أبو حيّان في قوله: "ولك في هذا الجمع إبقاء الراء على الضّم وكسرهما".

● ص ٢٤٩، س الأخير: "بضم الراي وكسرهما"، وهو خطأ طباعي، صوابه: بضم "الراء وكسرهما".

● ص ٢٥٠، س ١: سقطت الواو في عمل النّاقِد قبل (إذا)، لذا تثبت هذه الواو لتصبح الجملة كما وردت في تذكرة النحاة هكذا: "وأظنها: وإذا عدت".

● ص ٢٥٠، س ٨: العبارة المذكورة في هذا السّطر وما بعده قلقة في مكانها، ومكررة؛ حيث ذُكرت من قبل في ص ٢٤٨، س ١١، فكان من الأفضل الاستغناء عنها، وهي: "لم ينص (أي المحقق) على مصادر ترجماته البتة، بل كان يقتصر الترجمة دون الإحالة".

● والصّواب: "البتة"، وليس "البتة".

● ويستقيم الأسلوب بإثبات حرف الجر (على) هكذا: "بل كان يقتصر على الترجمة دون الإحالة".

● ص ٢٥٠، س ١٠: قال النّاقِد معقبًا على تعريف المحقّق بأبي الحسن بقوله: "هو الأحفش". وهنا قال النّاقِد: "وهل هذا كاف؟"

قلت: لم يوضح المحقق والناقد المقصود بـ"الكبير" في النص: "قال أبو الحسن في الكبير، والكبير هذا هو كتاب المسائل الكبير. ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣٨١/٢".

● ص ٢٥٠، س ٣ من أسفل: أورد الناقد بيتاً لامرئ القيس هكذا:
تخدي على العلاتِ سامٍ رداءً منسُمها رثيمٌ دامي
قلت: ورد في ديوانه على الوجه الصحيح هكذا:

تخدي على العناتِ سامٍ روعاءٍ منسُمها رثيمٌ دامٍ
ولم يخرج في البحث بيت امرئ القيس محل الشاهد بعد هذا
البيت، وهو في الديوان ص ٤٨٠ (تحقيق: أنور أبي سويلم، وزميله).

● ص ٢٥١، س ١ من أسفل: عقب الناقد على البيت الوارد في تذكرة
النُحاة دون تخريج، وهو:

يا ليت حظي من جدالكِ والفضل أن تتركي كفاف
فقال: "في البيت والتعليق عليه أمور:

١- رواية البيت: "... الصافي والفضل... تتركني...".

والبيت لرؤية في ديوانه/١٠٠ وشروح سقط الزند ١٢٦٤ - ١٢٦٥،
واللسان (كفف) والأمالي الشجرية ٤٠/١ واللسان (كفف) وخزانة
الأدب ١/٢٤٥."

وأقول: لم تُذكر مصدر الرواية التي أوردتها للبيت، ورواية البيت في
ديوان رؤية ص ١٠٠ (ضمن مجموع أشعار العرب)، هي:

فليت حظي من جدالكِ الضافي
والنفعُ أن تتركني كفافٍ

والرَّجَز بهذه الرواية في طبعة مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة للديوان نفسه
ص ٢٩٠/٣.

● ص ٢٥١، س ٦ من أسفل: في هذه الصفحة تعقيب على قول
المحقِّق: "الشَّاهد غير مذكور في كتب النَّحو بالآتي: "عجَبًا! وهل أمر
الشَّواهد مقصور على كتب النَّحو؟ ألم تُحوِّ كتب الأدب وغيره شواهد سيَّارة؟
"دون تخريج الشاهد.

وهو في كتاب الحيوان للجاحظ ٥٤/٧، وهو لامرئ القيس في ديوانه
٤٨٥ (تحقيق: أنور أبي سويلم، وزميله) باختلاف الرواية.

● ص ٢٥٢، س ١ وما بعده: أورد النَّاقِد ما ورد الحاشية ثم عَقَّب عليه
بقوله: "شرح ابن السكِّيت ديوان امرئ القيس ليس من تحقيق محمد أبي
الفضل إبراهيم، وإن كان يَضُم ما رواه ابن السكِّيت ممَّا أخلَّت به رواية
الأعْلَم، وإنَّما حَقَّقه المرحوم د. شكري فيصل، وصدر عن دار الفكر،
بيروت، سنة ١٩٦٨م".

● وأقول: حدث لبس عند النَّاقِد الفاضل في شأن تحقيق د. "شكري
فيصل" لديوان امرئ القيس، فالديوان الذي حَقَّقه د. "شكري فيصل" هو
ديوان النابغة الذبياني، وليس ديوان امرئ القيس، والذي حَقَّق ديوان امرئ
القيس هو الأستاذ "محمد أبو الفضل إبراهيم"، وأتقن وأجاد في تحقيقه.

● ص ٢٥٢، س ١١: أورد النَّاقِد بيتًا وقال: إنَّه مضطرب، وحاول
تصحيحه، فأورد صدره هكذا:

فَرَّتْ غارة أرضعت غيرها

هنا خطأ طباعي، صوابه: "فيها".

- ص ٢٥٢، س ٦ من أسفل: اسم الشاعر الصَّحِيح هو دُرَيْد بن الصَّمَّة، وليس دُرَيْد الصَّمَّة. وهذا - لا شك - من أثر الطباعة، بدليل كتابة اسم الشاعر على الوجه الصَّحِيح في الصَّفحة نفسها، في السَّطر ٧.
- ص ٢٥٣، س ١: أورد النَّاقِد بيت امرئ القيس الذي أورده المحقِّق هكذا:

تبصّر سلكن ضحيا بن خزمي

وقال: البيت على هذا النحو مختل الوزن، وثمة خطأ في روايته في موضعين وصواب روايته:

..... سلكن ضحيا بين خزمي

والبيت في ديوان امرئ القيس ٣٦٢/٢، ط. مركز زيد للتراث، ٢٠٠٠م. وأقول: لا يزال البيت بهذا الضُّبُط مضطرباً، والصَّوَاب "ضَحِيًّا"، وبهذا الضُّبُط يستقيم البيت، وخرجه النَّاقِد على ديوان امرئ القيس: ٣٦٢/٢، وهو في ٣٦٤/٢.

وهناك رواية أخرى للبيت لعلها الصَّحِيحة، وهي: "شغبغ"، وهي منصوصٌ عليها في الدِّيوان، ومعتمدة لدى البكري في معجم ما استعجم ص ٨٠٣، وقال البكري: إنَّه موضع في بني تميم.

● ص ٢٥٣، س ٨ من أسفل: عَقَّب النَّاقِدُ عَلَى بَيْتٍ حَرَّجَهُ الْمُحَقِّقُ عَلَى لِسَانِ الْعَرَبِ (خُفَا) بِقَوْلِهِ: لَيْسَ الشَّاهِدُ فِي اللِّسَانِ لَا فِي (خُفَا) وَلَا فِي (خُفَا). وَتُرِكَ الْبَيْتُ دُونَ تَخْرِيجِهِ. وَهُوَ بِلَا نِسْبَةٍ فِي الْمَعَانِي الْكَبِيرِ ٨٦/١ بِرَوَايَةٍ:

كثيْرٌ سِوَا ذِي اللَّحْمِ مَا كَانَ وَفِي الضَّمْرِ مَمَشُوقُ الْقَوَائِمِ
ص ٢٥٣، س ٥ من أسفل: تَرَكَ كُلٌّ مِنَ الْمُحَقِّقِ وَالنَّاقِدِ الْبَيْتَ دُونَ عَزْوِهِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَخْرِيجِهِ فِي عَمَلِ النَّاقِدِ لَهُ عَلَى شَرْحِ آيَاتِ الْهَذَلِيِّينَ ٥٧١/١. وَهُوَ "الْعَمْرُو ذِي الْكَلْبِ الْهَذَلِيِّ".

● ص ٢٥٣، س ٤ من أسفل: الْأَسْمُ الصَّحِيحُ لِلْمَصْدَرِ هُوَ شَرْحُ أَشْعَارِ الْهَذَلِيِّينَ، وَلَيْسَ شَرْحُ آيَاتِ الْهَذَلِيِّينَ.

● ص ٢٥٣، س ٣ من أسفل: قَالَ النَّاقِدُ: إِنَّ الْبَيْتَ فِي اللِّسَانِ بِالرَّوَايَةِ نَفْسِهَا الْمَذْكُورَةَ فِي تَذَكْرَةِ النُّحَاةِ.

قلت: الرِّوَايَةُ فِي اللِّسَانِ ص ٤٢٨٣ هِيَ: "مَنْتَ لَكَ"، وَلَيْسَتْ: "مَنْتَ لِي".

● ص ٢٥٤، س ٨: لَمْ تُمَيِّزْ طَبْعَةُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ؛ لِذَا يُكْتَبُ بَعْدَ رَقْمِ الصَّفْحَةِ مَا يَلِي: "بِتَحْقِيقِ: أَنْوَرُ أَبِي سُوَيْلَمٍ، وَزَمِيلِهِ".

● ص ٢٥٥، س ١: تَمَّ تَحْدِيدُ الْإِحَالَةِ دُونَ دَقَّةِ. وَالصَّوَابُ: ٢١/٤ح، وَلَيْسَ ج ٤، وَحُرِفَتْ - مِنْ جَرَاءِ الطَّبَاعَةِ - الْحَاءُ الدَّالَّةُ عَلَى الْإِحَالَةِ إِلَى ج فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ فِي الْبَحْثِ، مِنْ ذَلِكَ ص ٢٥١، س ٢ مِنْ أَسْفَلِ، ص ٢٥٥، س ١، ص ٢٥٦، س ١ مِنْ أَسْفَلِ، ص ٢٥٧، س ٣ مِنْ أَسْفَلِ، ص ٢٥٨، س ٨، ص ٢٦٠، س ٥، س ١٣، س ١٥، س ١٧، ص ٢٦١، س ١،

ص ٢٦٣، س ٥، ص ٢٦٤، س ٧ من أسفل، ص ٢٦٩، س ١٠ من أسفل،
ص ٢٧١، س ٣.

● ص ٢٥٥، س ٣: ثمة روايات أخرى للبيت في المصادر، لم تُثبت في
البحث، والمخرُج من ترك تثبيتها يكون بكتابة الجملة الآتية: "وللبيت روايات
أخرى ذكرت في بعض المصادر".

● ص ٢٥٥، س ٨: لم تُستَقْصَ روايات البيت في المصادر التي خُرِجَ
عليها وغيرها، لذا كان من الأفضل إثبات - في نهاية التعقيب - جملة: "وله
روايات أخرى في عدد من المصادر".

● ص ٢٥٥، س ٤ من أسفل: انتقد الناقد المحقق بأنه خرَّج بيتًا
"للفرزدق" على خزانة الأدب، وقال: إنَّ البيت المذكور في الخزانة ليس هو
البيت الوارد في تذكرة النحاة، وترك الناقد بيت "الفرزدق" من دون تحريج.

وهو لفرزدق في رسائل الجاحظ ٣١٨/٢، ضمن مقطوعة برواية جيدة
هي: "يا عُمَرَ بن يزيد".

ص ٢٥٧، س ٢: خرَّج الناقد بيتًا وعزاه إلى "عبدالمطلب بن هاشم"، وكان
المحقق قد ترك هذا.

وأقول: ينسب البيت أيضًا "لزید بن عمرو بن نفیل"، وهو لهما معا في تاج
العروس ٢٨٠/٣١.

● ص ٢٥٧، س ١٠: لم يُوثق قول "الجواليقي".

قلت: هو في كتابه المعرَّب ص ٦١.

- ص ٢٥٧، السّطر الأخير: لم تثبت روايات البيت في مصادر تخريجه، وكان من الممكن الاكتفاء بالإشارة إليها.
 - ص ٢٥٨، س ١٠: حُرج بيت "شبيب بن البرصاء" على ديوانه دون تثبيت روايته فيه، وهي: "تقرّب" بدلاً من: "تقارب".
 - ص ٢٥٩، س ٥: وردت الكلمات الآتية في البحث هكذا: "بُحّه"، وفي س ١١ "عُفريه"، وفي س ٤ من أسفل: "النّوص والنوص".
ووردت في المصدر المنقود هي هكذا: "بِحّة"، و"عُفريّة"، "النّوض والنوص"، وقد تناول النّاقِد تصحيح ضبطها.
 - ص ٢٥٩، س ٥: ورد في البحث ما نصه: "ولولا بحة في الهاء"، على حين ورد في الكتاب المنقود: "في الحاء"، ولعله من جراء الطباعة.
 - ص ٢٥٩، ٢٦٠، س الأخير في الصّفحة الأولى، و ٣ في الصّفحة الثّانية: ورد ١٧/٢٨، ٣٠/٢٨، والصّواب: ١٢/٢٨، ٤/٢٨.
 - ص ٢٥٩ س ٦: تم عزو رجز "منظور بن حيّة الأسدي" دون ذكر مصدر عزوه.
- والرّجز له في تاج العروس ٦/١٥، والاسم الصّحيح هو: "حبّة" بالباء المفردة، وهو: "منظور بن حبة الأسدي، وحبّة أمه ويعرف بها وهو منظور بن مرثد بن فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعمس"، وهو غير ابن حيّة العبسيّ، واسمه حجر. ينظر كتاب المؤتلف والمختلف في أسماء الشّعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للآمدي (ت ٣٧٠ هـ) ص ١٤٧.

• ص ٢٦٠، س ٨: ورد الرجز الآتي هكذا:

يا رُبَّ أبار من العُفر صدغٌ تقبُّض الظلِّ إليه واجتمع وهو كذلك في: شرح
المفصل ٨٢/٩، و ٤٦/١٠.

وعلى هذا الرجز ما يأتي:

١- التصحيف في كلمة: "أبار"، وهي: "أباز" على ما ورد في المصادر
الآتية.

٢- كتابته كما يكتب النثر بخلطه ممَّا ليس منه من الكلام، وهذا من
جاء الطباعة.

٣- من مصادر تخريج هذا الرجز في البحث كتاب "المصنّف" (كذا)،
وفيه خطأ طباعي، صوابه: "المنصف"، لابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ)، وهو غير
"المنصف" لابن وكيع التّيسّي (ت ٣٩٢ هـ)، وغير المُنصف من الكلام على
مُغني ابن هشام: تأليف: تقي الدين أحمد بن محمد، والكتابان مطبوعان،
أما المصنّف فهو كتاب آخر يعرف بمصنّف عبدالرزّاق بن همام الصنّعاني
(ت ٢١١ هـ)، وهو من كتب الحديث المشهورة المتداولة، وهو مطبوع
بتحقيق حبيب الرّحمن الأعظمي في اثني عشر مجلداً.

٤- ثمة روايات أخرى لهذا الرجز لم يُفصح عنها، فروايته في إصلاح
المنطق ٩٥ هي:

يا رُبَّ أبار من العُفر صدغٌ

وروايته في رسالة الغفران ٤٣٥ هي:

يا رَبِّ أَبازٍ من العُصَمِ صَدَعٌ
تَقَبَّضَ الظِّلَّ إِلَيْهِ فاجْتَمَعَ

والأباز: القَّمَّاز. ينظر تاج العروس ٦/١٥ حيث ورد الرجز فيه برواية قريبة من روايته في إصلاح المنطق. ورجل صدع وصدع: هو الضرب الخفيف اللحم. إصلاح المنطق ٩٥.

• ص ٢٦١ س ٧: لم يُخَرِّج الرَّجَزَ على ديوان الأغلب العِجْلِيّ، وهو فيه ١٢٨ (تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣١، ج ٣، ١٩٨٠م).

• وروايته فيه جيدة، وهي: "إذا ما همَّ بالمضيّ... معافري".

• ص ٢٦٢: في هذه الصَّفحة بعض أخطاء الطباعة وغيرها: كما في س ٦: "حيري الدهر"، و"المستا"، وفيها أيضاً في س ٨: "وعناها"، والصَّواب: "ومعناها"، والباقي ورد في المصدر المنقود هكذا: "حيري دهر"، و"المشتا".

• ص ٢٦٣، س ١٣ من أسفل: لم يُخَرِّج الشعر، وفيه تحريف، حيث

ورد هكذا:

ولو أنّها عصفورة لحبستها

صواب رواية صدر هذا البيت:

ولو أنّها عصفورة لحسبتها

والبيت في ديوان البعيث المجاشعيّ ص ١٠٥، ضمن المتدافع من

شعره، وتمامه:

مُسَوِّمَةً تَدْعُو عُيَيْدًا وَأَزْمَا

● ص ٢٦٤، س ٦ من أسفل: "أو كاد"، والصَّوَاب: "وكاد".

● ص ٢٦٤، س ٤ من أسفل: ورد البيت الآتي:

إِنْ كُنْتُ قَاضِي نَحْبِي يَوْمَ لَوْ لَمْ تَحْنُوا بِوَعْدٍ غَيْرِ مَكْذُوبِ

وخرج على حاشية شرح ابن عقيل.

وأقول: عجز البيت غير دقيق، وصوابه على ما ورد في مُغْنِي اللَّيْبِ

:٢٥٩/٣

لَوْ لَمْ تَمْنُوا بِوَعْدٍ غَيْرِ تَوَدِّعِ

● ص ٢٦٥، س ٢: تُرِكَ الْبَيْتُ بِلَا نِسْبَةٍ وَبِلَا تَخْرِيجٍ فِي الْبَحْثِ، وَكَذَلِكَ

فِي تَحْقِيقِ الْمُحَقِّقِ. وَهُوَ لِأَبِي مَسَافِعٍ فِي الْمُنَمَّقِ فِي أَخْبَارِ قَرِيشٍ ٦٢.

● ص ٢٦٥، س ٢ من أسفل: ورد الشطر الآتي:

فَأَلَيْتَ لَا أَنْفَكُ أَحَدُ قَصِيدَةٍ

وعليه تعقيب في البحث هو: "والصَّوَابُ أَحَدُو".

لم تثبت الرواية من ديوان الهذليين، وهو مصدر التخريج، وهي

"فأقسمت"، ثم إن في البيت تصحيحاً، لم يصحح، وصوابه: "أحدو" كما

ورد في ديوان الهذليين.

● ص ٢٦٦، س ٦: صواب الإحالة ١/٤٥، وليس ٣/٤٥.

● ص ٢٦٦، س ٦: أورد "أبو حيان" كلمتين فقط من أحد الأبيات،
وهما: "كأن حصى"، وتركه المحقق دون تكملة وعزو وتخريج، وتم عزوه
في البحث للكُمَيْتِ بن زيد الأسدي، وأرى أنه لامرئ القيس لأن بيت امرئ
القيس يبدأ بـ "كأن الحصى"، ولشهرة بيت امرئ القيس عن بيت الكميت في
المصادر، والبيت في ديوان امرئ القيس ص ٦٤ (تحقيق: محمد أبي الفضل
إبراهيم)، وتاممه فيه هو:

كَأَنَّ الْحَصَى مِنْ خَلْفِهَا إِذَا نَجَلْتَهُ رِجْلُهَا خَذَفُ

● ص ٢٦٧، س ٤: تُرِكَ الْبَيْتُ فِي الْكِتَابِ الْمُنْقُودِ وَالْبَحْثُ دُونَ عَزْوِهِ
وَتَخْرِيجِهِ، وَهُوَ لِلْأَسْوَدِ بْنِ يَعْقُوبِ النَّهْشَلِيِّ فِي دِيْوَانِهِ ص ١٩.

● ص ٢٦٧، س ٧ من أسفل: ورد رجز بلا تخريج في الكتاب المنقود
والبحث، وهو في إصلاح المنطق ١٦١.

● ص ٢٦٧، س ٢، ٦ من أسفل: هكذا كتبت كلمة "شيئ" بهذا الخطأ
الطباعي، والصواب: "شيء".

● ص ٢٦٨، س ٣: ورد في البحث: "أخطأ ثلاثة"، والصواب: "أخطاء"،
وهو من جراء الطبع.

● ص ٢٦٨، س ١١: أورد الناقد بيتاً، وقال: إنَّه مضطرب الوزن، ولم
يُخْرِجْ هَذَا الْبَيْتَ فِي الْكِتَابِ الْمُنْقُودِ وَالْبَحْثِ.

والبيت مستقيم، ولكن شطريه لم يوزعا بدقة في الكتاب المنقود. وصدر
البيت مضطرباً في البحث، وصوابه هكذا:

كم ليث اعتن لي ذا أشبل غرث

ووردت كلمة "أشبل" في البحث هكذا "شبل" فانكسر البيت، وهو في
زهر الأكم ٢١٤/٢ مستقيم باختلاف يسير في الرواية.

● ص ٢٦٩، س ١: ورد ضبط كلمة: "يجز" مع البناء للمعلوم هكذا:
"يُجْز"، والصَّوَاب "لم يَجْز".

● ص ٢٦٩، س ٩: ورد ٦/٥٠، والصَّوَاب ٧/٥٠.

● ص ٢٦٩، س ٤ من أسفل: ورد في البحث نقلاً عن الكتاب المنقود:
"وفي اسم. ... فعلى"، والنص فيه هكذا: "وفي كل اسم. فعلى".

● ص ٢٧٠، س ١: تُرك البيت دون تخريج وعزو عند كل من الكتاب
المنقود والبحث.

وأقول: هو لسماك اليهودي في السيرة النبوية لابن هشام ١٨٠/٣.

● ص ٢٧٠، س ٧: صواب الضبط الشعر هو: "وما آمنَ الله كالأخوف"،
وليس: "آمنٌ".

● ص ٢٧٠، س ٩: خُرج في البحث بيتٌ لعلي بن أبي طالب - كرم الله
وجهه - اعتماداً على بعض المصادر، ولم يخرج على ديوانه، وهو فيه
ص ١٣٢ برواية: "أمر العذاب".

● ص ٢٧٠، س ٤ من أسفل: ورد البيت الآتي نقلاً عن تذكرة النُّحاة
هكذا:

فَلَوْ حَبْلًا تَنَاوَلَ مِنْ عُقِيلٍ لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلًا سَلِيمًا

والبيت في تذكرة النُّحَاة ٥١ هكذا:

فَلَوْ حَبْلًا تَنَاوَلَ مِنْ عُقِيلٍ لَمَدَّ بِحَبْلِهَا حَبْلًا مَتِينًا

● ص ٢٧١: في هذه الصَّفحة بعض الأخطاء الطباعية كما في س ٩:
"وجوابه"، والصَّوَاب: "وصوابه"، وفي "س ٧ من أسفل: ورد" ١٠/٥٣".
صَّوَاب الإحالة: "٩/٥٣".

● ص ٢٧١، س ٧: ورد فيها: "١٠/٥٣ مغني اللبيب/٢٥٣".
صواب الإحالة ٢٥٣/١.

● ص ٢٧٢، س ٩: صواب ضبط "آمنٌ" بالنصب "آمنٌ".

● ص ٢٧٢، س ٩ من أسفل: ورد البيت هكذا: "ولات حين تندم"،
والصَّوَاب: "لات" بدون واو؛ لأن زيادة الواو تكسر وزن البيت.

● ص ٢٧١، س ٧ من أسفل، صواب الإحالة ٧٥/٣، وليس ٥٣/٩.

● ص ٢٧٣، س ٨: البيت ليس مختلاً، ولكنه مكتوب بطريقة غير
مستقيمة، فكلمة (سيصبح) حقها أن تكون في بداية الشطر الثاني.

● ص ٢٧٤، س ٣ من أسفل: سقطت كلمة: "والصَّوَاب" قبل: "أو
اقترب".

● ص ٢٧٤، س ٩ وما بعده: ورد فيها: ٦/٦٧، ٨/٦٧، ١٦/٦٧،
والصَّوَاب ٨/٦٧، ٩/٦٧، ٢/٦٧.

● ص ٢٧٤، السطر الأخير: البيت ليس مختلاً، ولكنه مكتوب بطريقة بعيدة عن الدقة في تقسيم شطريه، ثم إن الصَّوَاب أن توضع تاء الفاعل في البحث من كلمة: "زلت" في بداية الشطر الثاني، على ما ورد البيت في ديوان الأعشى برواية: "لن تزالوا".

● ص ٢٧٥، س ٤: "وقد تقدمه مفعوله - نقلاً عن تذكرة النُّحاة - في حين أن الموجود في التذكرة هو: "منعوله"، والتصحيح هو "مفعوله" كما قال الناقد الفاضل.

ص ٢٧٥، س ٤: فيه خطأ طباعي في: "لا يتقدّمها لأن الضمير على الأمر والنهي"، والصَّوَاب: "لا يتقدّمها".

● ص ٢٧٥، س ٦ من أسفل: ورد في ٧١ / ١٤، والصَّوَاب: ١٥ / ٧١.

● ص ٢٧٦، س ٦ من أسفل: صحح الناقد: "أخالد قد أوطئت" بقوله: صوابه: "أوطأت".

قلتُ على هذه النّقطة بعض الملحوظات.

١- لا يفتقر الأمر إلى تصحيح، فالصَّوَاب ما ورد في تذكرة النُّحاة، حيث وردت الكلمة نفسها: "أوطئت" في التذكرة الحمدونية ٢٦/٣، ومصارع العشاق ١٩٧/٢، ونشوار المحاضرة ٢٦٤/٤.

٢- سقط لفظ الجلالة بعد كلمة "قد" فانكسر البيت، والصَّوَاب على ما ورد في المصادر السابقة:

أخالد! قد وَاللهِ أوطئتَ عَشْوَةً وَمَا العَاشِقُ المَظْلُومُ فِينَا بسارقٍ

ومعنى العشوة: التَّخَبُّطُ في الأمر وركوبه على غير بصيرة. ينظر تاج العروس ٤٤/٣٩.

● ص ٢٧٦، س ٣ من أسفل: صواب الإحالة: ١٢٣ / ١٥، وليس ١٣٣ / ١٥.

● أما الأساليب الاستفهامية والتعجيبة فظاهرة في التقد، ولعلها تُؤثّر على قيمة البحث، وأنا على ثقة أن أخي الفاضل سيخفف من توظيفها في قابل بحوثه، ومنها: في ص ٢٥٠، س ٦: "أين التحقيق المزعوم؟"، وفي ص ٢٥٠، س ٦ من أسفل: "قلت: أليس من الأحرى به أن يخرج ويوثقه"، وفي ص ٢٥١، س ٦: "عجباً! وهل أمر الشواهد مقصور على كتب النحو؟ ألم تحو كتب الأدب وغيره شواهد سيّارة؟!"، وفي ص ٢٥٢، س ٥: "أيّ تخريج هذا؟"، وتنظر ص ٢٦٤، س ١١، وص ٢٦٦، س ١٠ من أسفل، وص ٢٧٦، س ٩ من أسفل.

وبعد، فإن هذه الهنات الهيئات لا تغضّ من قيمة البحث، ولا تقلل من جهد صاحبه، فله الشكر على تحبيره أولاً، وله الشكر مرّة ثانية على مواصلته البحث والنشر في نشاط ملموس، وعلى حرصه على تقديم النافع، وتحقيق القيم من تراث العرب مستهيناً في كلّ هذا بوقته وجهده، ونور عينيه، ونفيس عمره، فتحيّة طيبة له، ودعاء له بالتوفيق لإنجاز تحقيق "تذكرة النحاة" وغيره في وقت قريب.

المصادر

- ١- إصلاح المنطق: لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩ م.
- ٢- تاج العروس: للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: نخبة من المحققين، سلسلة التراث العربي، الكويت، نشر على سنوات متعددة.
- ٣- التذكرة الحمدونية: لابن حمدون (ت ٥٦٢ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.
- ٤- ديوان الأسود بن يعْفَر النَّهْشَلِيّ (ت ٢٣ ق. هـ)، تحقيق: نوري حمودي القيسي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٦٨ م.
- ٥- ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس ت ٧ هـ): تحقيق: د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٩٨٣ م.
- ٦- ديوان الأغلب العِجْلِيّ (ت ٢١ هـ)، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣١، ج ٣، ١٩٨٠ م.
- ٧- ديوان امرئ القيس (ت ٨٠ ق. هـ):
 - ١- تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط ٥، ١٩٩٠ م.
 - ٢- ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق: أنور أبي سويلم، ومحمد علي الشوابكة، مركز زايد للتراث والتاريخ، ط ١، ٢٠٠٠ م.

٨- ديوان البعيث المجاشعي (ت ١٣٤هـ): جمع وتحقيق: عدنان أحمد، دمشق، ٢٠١٠م.

٩- ديوان رؤبة بن العجاج (ت ١٤٥هـ):

١- ضمن مجموع أشعار العرب، اعتنى بتصحيحه: وليم بن الورد البروسي، ليبسك، ١٩٠٣م.

٢- تحقيق: مصطفى حجازي، وعبدالصمد محروس، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.

١٠- ديوان علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ) - كرم الله وجهه-، جمعه وضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م.

١١- رسائل الجاحظ : للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٧٩م.

١٢- رسالة الغفران: لأبي العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، تحقيق: عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، ١٩٨١م.

١٣- سيرة النبي: لأبي محمد، عبدالملك بن هشام (ت ١٨٣هـ)، تحقيق ودراسة: مجدي فتحي السيد، إشراف د. فتحي الدابولي، دار الصحابة، طنطا، ط ١، ١٩٩٥م.

١٤- شرح أشعار الهذليين: لأبي سعيد السكري (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، مكتبة العروبة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٥- كتاب سيويه: عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.

١٦- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبدالله الكبير وآخرين، مصر، ١٤٠١هـ.

١٧- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: للآمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، طبعة الحلبي، ١٩٦١م.

١٨- مجلة عالم الكتب السعودية، مج ١٠، ١٤، ١٩٨٩م.

١٩- مصارع العشاق: للسراج البغدادي (ت ٥٠٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٨م.

٢٠- المعاني الكبير: لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٨٦هـ): تحقيق: مختار الدين أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

٢١- المُعَرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم: لأبي منصور بن أحمد بن محمد الخضر الجواليقي (ت ٥٤٠هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، ط ١٩٩٥م.

٢٢- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، حققه: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط ١٩٨٣م.

٢٣- مُغْنِي اللَّيْبِ عَنْ كِتَابِ الْأَعْرَابِ: لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: عبداللطيف محمد الخطيب، الكويت، سلسلة التراث، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٤- الْمُنْصَف (شرح أبي الفتح عثمان بن جني، ت ٣٩٢هـ) لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، وعبدالله أمين، وزارة المعارف العمومية، مصر، ط ١، ١٩٥٤م.

٢٥- الْمُنَمَّقُ فِي أَخْبَارِ قَرِيْشٍ: لمحمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م.

٢٦- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة: للمحسن التنوخي (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالحي، دار صادر، ط ١٩٩٦م.

٢٧- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ج ١٦، تحقيق: وداد القاضي، شتوتجارت، ١٩٩١م.

٢٨- وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ: لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.

٢٩- رابطان إلكترونيان:

<http://www.ahlalhdeeth.cc/vb/showthread.php?t=86533&highlight=%E6%CC-%E4%C7%ED%C9+%C7%E1%E3%CD%DE%DE>

<http://www.majma.org.jo/majma/index.php/component/content/article/43--sort-news/876-mag84.html>

النقد الموسيقي في الأدب العربي

قراءة في نقد النقد

الدكتور عبد الحميد محمد عبد الحميد بدران

أستاذ الأدب والنقد المساعد - جامعة الأزهر

مقدمة

ظفر النقد الموسيقي في أدبنا العربي في عصوره الأولى باهتمامات نقدية رائعة، أوقفنا على مدى يقظة النقد العربي في الاهتمام بأدوات الشاعر، وحرصه على استكمالها، مع التزام الحيطة والموضوعية في الرجوع إلى القاعدة الأساس، وإن تردد هذا الاهتمام بين ميل النقاد إلى القاعدة أو احتكامهم إلى الذوق في كثير من الأحيان.

وعلى الرغم من كل ذلك نرى أن النقد الموسيقي في أدبنا العربي القديم لم يأخذ ما يستحقه من دراسة علمية جادة تضم أشتاته المبعثرة في بطون كتب النقد الأدبي، التي أقصى ما حاولت أن تصل إليه في جمع أشتات هذه القضية. أن تفرد فصلاً من كتاب عن اضطراب الوزن أو الخروج عن المؤلف، كما فعل الآمدي حين أفرد فصلين أحدهما لأبي تمام والآخر للبحثري، أو تنظر للقافية تمهيداً لقضية، كما فعل أبو العلاء المعري في (اللزوميات)، ناهيك عن كثير من المباحث الموسيقية الماثرة في كتب الأدب، كالعمدة والوساطة وعتار الشعر ونقد الشعر والشعر والشعراء وطبقات فحول الشعراء والكشف عن مساوئ شعر المتنبي وغيرها من الكتب التي

يغلب عليها ترديد ما قال به العروضيون، أضف إلى ذلك ما أسهم به تراث العروضيين من جهود نقدية جيدة، قننت للعملية الموسيقية في الشعر، وبينت أصولها وضوابطها ومحاذيرها، غير أنها لم تسلم من قضية تكرار الشاهد الشعري الأصيل أو المصنوع إلا في نطاق ضيق.

ونظن أن جمع هذه الأشتات ومحاولة قراءتها معاً، يمكن أن يقفنا على تطور النقد الموسيقي أو انتكاسه في العقلية العربية، ومدى التزام الشعراء بهذا النقد أو تمزدهم عليه، كما أنه يجعلنا نبحت عن الأسس التي قامت عليها بعض هذه الانتقادات، في ضوء القاعدة والذوق، مما ترتب عليه الانتصار للقاعدة إن كان مسلماً بها، أو الانتصار للشاعر إذا كانت زحافاتهُ تؤدي دوراً فعالاً في سياق البيت والتجربة التي يمثلها وهكذا.

وفي ضوء الخروج على القاعدة العروضية أو قبولها، يمكن أن نقف مع نظرية النقد العربي فيما يخص المآخذ الموسيقية التي أخذها الناقد على الشاعر، حين وقع الثاني في مخالفة قياس عروضي، وبخاصة مع استواء القيم الموسيقية في ذهن الشاعر العربي، استواء جاول معه بعض الشعراء توظيف العيوب الموسيقية في شعرهم، على النحو الذي يبدو في قول يزيد بن حرب الضبي في حفص بن أبي بردة يهجوهُ وقد لحن مرقشاً في شعر له: (١)

لَقَدْ كَانَ فِي عَيْنَيْكَ يَا حَفْصُ وَأَنْفَ كَثِيلِ الْعَوْدِ عَمَّا تَتَّبَعُ
تَتَّبَعُ لِحْنًا مِنْ كَلَامِ مُرْقَشٍ وَخَلْقًا مَبْنِيًّا عَلَى اللَّحْنِ أَجْمَعِ

(١) خاص الخاص: التعالبي (عبدالمملك بن محمد)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص ٦٨.

فَعَيْنُكَ إِقْوَاءٌ وَأَنْفُكَ مُكْفَأٌ وَوَجْهُكَ إِطَاءٌ فَأَنْتَ الْمَرْقَمُ
أما ما يخص المآخذ اللفظية والمعنوية في الأدب العربي، فيمكن أن
تشكل حلقات بحثية أخرى، نأمل أن ننجزها قريباً إن شاء الله.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يخرج في ثلاثة مباحث، أما المبحث
الأول فيبحث عن دوافع النقد الموسيقي وأسباب وجوده في نقدنا العربي،
التي أمكن ردها إلى أربعة أسباب رئيسة هي: (الذوق، والتمرد، والخصومة،
والرواية)، وأما المبحث الثاني فيرصد أنماط النقد الموسيقي التي تكاد تكون
محصورة في (النقد الذوقي) أو (النقد القاعدي)، وأما المبحث الثالث فيعنى
برصد بعض القضايا الموسيقية التي صاحبت النقد الموسيقي في كتب النقد
العربي، مثل (تعدد المصطلح والتعليل).

وبعد فحسبنا أننا نطمح في بناء نظرية نقدية عربية، تحفظ للنقاد الأوائل
دورهم في ضبط العملية الإبداعية، وتضع يدها على حس التقدم أو الانتكاس
في مسيرة النقد العربي، أملاً في الوصول به إلى أبعد مدى.

المبحث الأول

دوافع النقد الموسيقي

يبدو النقد الموسيقي مزيجاً من كلمتين، يحددان غاية البحث منذ البداية، فـ(النقد) يحصر البحث في المآخذ الموجهة للشعراء في أبيات بعينها^(١)، نظراً لما فيها من مزالق تستأهل الوقوف والنظر، ولا يستطرد في الإعجاب بالأبيات أو الثناء عليها، لأن المآخذ إنما يعنى بها العيوب والانتقادات، ففي جمهرة اللغة: والمآخذ: مأخذ الطير، وهي مصائد، وفي الصحاح: وآخذُه بذنبه مؤاخذه^(٢)، و(الموسيقى) تحديد للمآخذ التي يعتمدها البحث محلاً لدراسته، وهي التي تعنى بتتبع مدى التزام الشاعر بقواعد العروض العربي أو خروجه عليها، تمييزاً لها عن كثير من المآخذ التي عرفها النقد العربي إضافة إلى ذلك، كالمآخذ اللفظية التي تعنى بالمفردة من حيث بنيتها وملاءمتها للسياق، أو المآخذ المعنوية التي تقف على مدى جودة المعنى، وموقعه من التأثير والتأثر، ومدى تفاعله مع التجربة وانصهاره فيها.

أما عن المآخذ الموسيقية التي كانت محط أنظار الناقد - فكثيراً ما كان الناقد فيها مدفوعاً بدوافع وأسباب متعددة، منها ما يرجع إلى الناقد ذاته ويأتي على رأسها الذوق والخصومة، ومنها ما يرجع إلى الشاعر كالتنمرد الفني، ومنها ما يرجع إلى البيئة التي يدور فيها النقد، على ما يبدو لنا من

(١) يعنى بالنقد الأدبي: فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي، وتحديد مكانها في سيرة الآداب، والتعرف على مواطن الحسن والقبح، مع التفسير والتعليل. النقد الأدبي: د. سعد ظلام، مطبعة الأمانة، ص ٦.

(٢) جمهرة اللغة: ابن دريد (محمد بن الحسن) تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٢م. (خ - ذ - و - ١ - ي)، الصحاح: الجوهري (إسماعيل بن حماد) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الثالثة، ١٩٨٤م. (أخذ).

التصرف في باب الرواية، وهذه الدوافع يمكن الوقوف عليها بشيء من التفصيل من خلال البيان الآتي:

أولاً: الذوق

يرجع عدّ الذوق دافعاً من دوافع النقد الموسيقي - فيما يرجع إليه - إلى كون ذلك النقد بدأ أول ما بدأ في صورة عدم استحسان المتخصص خروج الشاعر على قاعدة عروضية دقيقة، أو في صورة عدم التفات أصحاب الذوق من ممارسي الإبداع إلى هذا الخروج، نظراً لعدم وضوح النشاز الموسيقي أو عدم وضوح القاعدة في كثير من الأحيان.

فالصورة الأولى تبدو - مثلاً - في قول الصاحب بن عباد: "وكننا يوماً نتذاكر في مجلسه (يعني أبا الفضل ابن العميد) - أعلاه الله - إلى أن جرى ذكر قول الشاعر:^(١)

نعاتبكم يا أم عمرو لودكم
ألا إنما المقلّي من لا

فاستحسنه الحاضرون وأعجبوا به، وأنشأوا على قائله، فقال (أيده الله) إن من انتقاد الشعر أن ينتقد ما في القافية من حركة وحرف، فقلت: "كره سيدنا السناد في تغيير حركة الإشباع؛ إذ جاءت فتحة وهي في سائر الأبيات كسرة، فقال: ما أردت غيره"^(٢)

فإشارة ابن العميد تعد توجيهاً للنظر النقدي إلى عيوب القافية، وكان هذه العيوب لم يكن يلتفت إليها غير المتخصص من المستمعين قبل ذلك،

(١) البيت لابن المعتز في ملحقات ديوانه. تحقيق: د. يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، الأولى ١٩٩٧م، ٣/ ٢١١.

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف ببغداد، الأولى ١٩٦٥م، ص ٣٥.

وإن جاء ذلك في معرض نقده لأبي الطيب بمثابة التمهيد لامتلاكه ناصية هذا الفن، وإظهار قدرته على نقد المتنبي.

والصورة الثانية يدل عليها ما روي من أن النابغة كان يقوى، حتى دخل المدينة وسمع أهلها يغنون بقوله في قصيدته التي أولها:

من آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الأسود
ففظن للإقواء فتركه. (١)

وعلى الرغم من أن الزحافات والعلل تعد مدخلاً من المداخل الجيدة التي توضع في الاعتبار عندما نحاول دراسة النقد الموسيقي في الشعر العربي، بما أنها كانت تشكل أهم المزالق التي وضعها النقاد لتقويم هذا الشعر، ليقينهم بأن كثيراً منها يستطيع أن يتحيف من قيمته الموسيقية في كثير من الأحيان، على الرغم من ذلك فإن الأمر في تهجين هذه الزحافات وتلك العلل لم يكن وقفاً على القاعدة التي قعدوها، بل طالما كان يلجأ الناقد إلى الذوق، على النحو الذي تعكسه مقولة ابن سلام الرائعة: "كان الخليل بن أحمد يستحسنه (يعني الزحاف) في الشعر إذا قل في البيت

(١) سر الفصاحة: عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٨٢م، ص ١٨٥، وللقصة روايات أخرى تشير إلى تعمد الجارية المكلفة بالغناء التأكيد على اللحن بأمر من بعض أصحاب الذوق، رغبة في أن يظن النابغة للعب، ينظر: طبقات فحول الشعراء محمد ابن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجدة ١/ ٦٧، ٦٨.

والبيتين، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمج، فإن قيل: كيف يستحسن منه شيء وقد قيل هو عيب؟ قال: يكون هذا مثل القبل والحول واللثغ في الجارية، قد يشتهي القليل منه الخفيف، وهو إن كثر عند رجل في جوار، أو اشتد في جارية، هجن وسمج" (١)

على أنه إذا كان لنا أن نقدر هذه المقولة التي جسدت حقيقة اللجوء إلى الذوق في تحسين القبح. فإنه لا ينبغي لنا أن نضع الزحاف شرط أساس في قبول إبداع الشاعر أو رده، طالما أنه يجد قبولاً وارتياحاً من المتلقين، وطالما أن حضوره لم يكن بهذا التكتيف الذي أشار إليه ابن سلام، وطالما أنه ينسجم - في النهاية - وطبيعة التجربة التي يوظف بها، لأن موسيقى الشعر كانت تحتكم إلى الذوق في الأساس، وما فنتت الزحافات إلا بعد إحساس متذوقي الشعر بنشاز في البيت الشعري الذي يحتوي عليها، ومن ثم كان قول حازم القرطاجني: "فهذا ينبغي ألا يلتفت إلى ما وضعه أو غيره العروضيون أو الرواة من الأبيات التي تدفعها المقاييس البلاغية والقوانين

(١) طبقات فحول الشعراء: ١ / ٧٠. ويرى ميخائيل نعيمة أن الزحافات والعلل "أوبئة تنزل بأوزان الشعر العربي، فتحرك ساكناً أو تسكن متحركاً، وتقضم حرفاً هنا ومقطعاً هناك، وقد عني بها الخليل عناية خاصة، فأعطى كلاً منها اسماً، وربها في أبواب وفصول هي أكثر عدداً من خطاياي" ينظر: الغريال، مؤسسة نوفل، بيروت، ط/١٤، ١٩٨٨، ص ١٠٨. والقَبَلُ فِي الْعَيْنِ: إِقْبَالٌ إِحْدَى الْحَدَيْتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى... وَيُقَالُ: قَبَلَتِ الْعَيْنُ قَبْلًا إِذَا كَانَ فِيهَا إِقْبَالٌ النَّظَرِ عَلَى الْأَنْفِ، وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ: إِذَا كَانَ فِيهَا مَيْلٌ كَالْحَوْلِ يَنْظُرُ: لِسَانَ الْعَرَبِ: مُحَمَّدُ بْنُ مَكْرَمِ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو الْفَضْلِ، جَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَنْظُورِ الْأَنْصَارِيِّ الرَّوَيْفَعِيِّ الْإِفْرِيقِيِّ (المتوفى: ٧١١هـ)، صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ، ١١ / ٥٤١، ٥٤٢.

الموسيقية والأذواق الصحيحة في هذا الوزن وغيره، نحو ما غيرهه من قول
القائل: (المقتضب)

جاننا مبشـرنا بالبيان والنذر
فصيره بتحريفهم وجهلهم، بما يضمحل في أصول وضع الأوزان إلى
هذا التغيير الفاسد وهو:

أتاننا مبشـرنا بالبيان والنذر
وذلك ليطرد لهم رأيهم الفاسد في ما أثبتوه من التراقب الذي لا يصح
ولا يثبت، إذ قد ظهر اضمحلاله في هذا الوزن، واضمحلال التجزئة التي
توجد فيها الأسباب مهيئة لإمكان وقوع ذلك فيها، لولا أنه شيء لا معنى له
إلا إفساد الوزن والإخلال بوضعه، والخروج به عن الوضع الملائم إلى الوضع
المنافر بالجملة"^(١).

وعلى النحو ذاته جاء الاحتكام إلى الذوق مؤكداً على استحسان النسق
الموسيقي، حتى لو كان يخالف القاعدة العروضية، على النحو الذي يبدو
في النوع الذي سماه ابن رشيق بـ (القواديسي) من الشعر حيث يقول: "ومن
الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي، تشبيهاً بقواديس السانية؛ لارتفاع بعض
قوافيه في جهة وانخفاضه في الجهة الأخرى، فأول من رأته جاء به طلحة بن
عبيد الله العوني في قوله من قصيدة له مشهورة طويلة:

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة - دار
الغرب الإسلامي - بيروت - الثالثة ١٩٨٦م، ص ٢٣٥، والتراقب بين الحرفين أن لا يجوز
سقوطهما ولا ثبوتهما. ينظر: الإقناع في العروض وتخريج القوافي للصاحب بن عباد. تحقيق:
د. عبدالحميد محمد بدران، الأولى ٢٠٠٩م، ص ١٣٠.

كم للدمى الأبقار بال خبتين من منازل
بمهجتي للوجد من تذكرها من منازل
معاهد رعيها مثنجـر الهواطل
لما نأى ساكنها فأدمعي هواطل

وهو مربع الرجز تعمد فيه الإقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل في
البيتين الأولين من هذه".^(١)

فوصف ابن رشيـق هذا اللون من الشعر بالغرابة نابع من تعمد الإقواء
والإيطاء في كل بيتين، مما يدل على أن هذه المآخذ قد تجد من يقن لها
ويستحسنها على مر الأيام.

ثانياً: التمرد

يعدّ التمرد من أحد الدوافع الجيدة التي ساعدت على وجود الخلط
الموسيقي في الأدب العربي، نتيجة رغبة الشاعر المستمرة في التجديد،
وبخاصة مع وضع القاعدة العروضية واستقرارها في الأذهان، الأمر الذي سوغ
لجوء الناقد إليها في تعليل مآخذها، بيد أن الشعراء لم يتقبلوا هذا النقد جملة
واحدة، وإنما أعلنوا تمردهم عليه، عندما أحسوا أنه يقف حجر عثرة أمام

(١) العمدة لابن رشيـق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل / ١ / ١٧٨.
والساقية: الساقية، والقادوس: إناءً من خَزَفٍ أَصْعَرُ مِنَ الحَرَّةِ يُخْرَجُ بِهِ الماءُ مِنَ السَّوْاقِي،
والجَمْعُ قَوَادِيسُ. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبدالرزاق
الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الرّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، (ج ١٦ /
ص ٣٥٩).

إبداعهم، ومن ثم تعالت أصوات الشعراء في مواجهة هؤلاء المتربصين من النقاد، سواء بالنصح والتعليل كما في قول علي بن العباس. ^(١)

يا عائب الشعر مهلاً فعييك الشعر عيبُ
الشعر كالشعر فيه مع الشبيبة شيبُ

أو بالتحدي كما يبدو من قول محمد بن أبي العتاهية: سئل أبي هل تعرف العروض؟ فقال: أنا أكبر من العروض، وله أوزان لا تدخل في العروض. ^(٢)

ويُعنى بالتمرد هنا خروج الشاعر المتعمد على الوزن، إما رغبة في التجديد، وإما تصديقاً لطموحات الحاسة الموسيقية عنده، وعدم الإحساس بنشاز موسيقي يسترعي الانتباه، ويغضّ من شأن البيت الشعري، وخير مثال على هذا التمرد التجديدي المتعمد من الشاعر ما كان يصنعه أبو العتاهية مثلاً في ابتكار صور جديدة لا عهد للعروضيين بها، يقول ابن قتيبة: "كان لسرعته، وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن أعاريض الشعر وأوزان العرب، وقعد يوماً عند قصار فسمع صوت المدقة، فحكى ذلك في ألفاظ شعره، وهو أبيات عدة فيها:

للمنون دائراً ت يدرن صرفها
هن ينتقيننا واحداً فواحداً"

وقال أيضاً: ^(١)

(١) الكشف عن مساوي شعر المتنبي، ص ٣٤.

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت الثانية، ٤ / ١٦.

عُتِبَ ما للخيال خبريني ومالي
لا أراه أتاني زائراً مذليالي

ومن النظم على تفعيلة واحدة ما جاء في قول ابن رشيق: "وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزأين، حتى صنع بعض المتعقبين - أظنه علي بن يحيى أو يحيى بن علي المنجم - أرجوزة على جزء واحد وهي:

طيف أَلَم بنذي سلم
بعَد العَتم يطوي الأَكم"

ويقال: إن أول من ابتدع ذلك سَلَمُ الخاسر يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي: (٢)

(١) الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، الثالثة، ٢٠٠١م، ٢/ ٧٩١، ٧٩٢. وأبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، مكتبة دار الملاح. دمشق، ص ٥٨٠، ٦١٨، وهذه الصورة التجديدية قد وجدت من ينوع عليها في شعرنا العربي منذ أبي العتاهية وحتى العصر الحديث. ينظر: التجديد الموسيقي في الشعر العربي الحديث، د. عبدالحميد بدران، بحث منشور في حولية كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد السابع والعشرون، ٢٠٠٨م، الجزء الثامن.

(٢) العمدة ١/ ١٨٤، ١٨٥. وهذا اللون يسمى بالمنهوك، يقول ابن منظور: والمنهوك من الرجز والمنسرح ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كقوله في الرجز: (يا ليتني فيها جذع)، وقوله في المنسرح: (ويل أم سعد سعداً)، وإنما سمي بذلك لأنك حذفته ثلثه فنهكته بالحذف أي بالغت في إمرضه والإجحاف به والنهك المبالغة في كل شيء والناهك والنهيك المبالغ في جميع الأشياء. لسان العرب ١٠/ ٥٠٠. ويأتي المنهوك على صورتين، فإما أن تُضم التفعيلتان، ويكون العروض هو الضرب، وهذا هو المشهور ومنه:
يا ليتني فيها جذع أقود وطفاء الزممع

وإما أن تكون كل تفعيلة في شطر، كما يفهم من قول ابن عبد ربه: "والمنهوك ما ذهب من شطره جزآن وبقي على جزء" ينظر: العقد الفريد ٥/ ٤٢٨، والرجز لدريد بن الصمة في ديوانه بتحقيق: محمد خيرى البقاعي، دار قتيبة، ١٩٨١م، ص ٩٣.

موسى المطر غيث بكر
ثم انهمر لما اغتفر

فالتجديد في الأمثلة السابقة تجديد متعمد من الشاعر، دعت إليه إرادة محاكاة النغم عند أبي العتاهية، وصنع أرجوزة وحيدة التفعيلة عند علي بن يحيى، أو الابتداع عند سلم الخاسر كما عبر ابن رشيق.

غير أن الملاحظ هنا أن البيت لم يحظ من الناقد بوقفات نقدية من أي نوع، اللهم إلا إشارات بالخروج وعدم الاحتذاء، ولعل ذلك ناشئ إما من قلة النماذج التي كانت تأتي على هذه الصورة، أو من وعي الشاعر المجدد بأصول تجديده، وحرصه على ألا تصل إليه آلة النقد، فالتجديد عند أبي العتاهية ينبثق من مجرد توليد صورة جديدة من بحر قديم، والتجديد عند سلم الخاسر كان محاولة لاقتضاب التفعيلات في البحر لإحداث نغم

وقد سمّاه الدكتور أحمد الهيب متابعاً للجوهري بـ (المقطّع)، وأشار إلى أن الذي اخترعه هو سلم الخاسر المتوفى ١٨٦هـ، متابعاً ابن رشيق القيرواني، والصواب أنه مسبوق بأبي النجم العجلي المتوفى ١٢٠هـ، كما ذهب إلى ذلك الصفدي ناسباً الأبيات التي تردد فيها ابن رشيق له بقوله: "قلت أقصر ما صنع القدماء من الرجز ما كان على جزأين كقول دريد يوم هوازن: (يا ليتني فيها جذع)، حتى صنع أبو النجم أرجوزة على جزء واحد وهي مشهورة أولها: (طيف ألم / بذى سلم)"، وقال بعضهم أول من أبدع ذلك سلم الخاسر يمدح الهادي بقوله: (موسى المطر / غيث بكر) ينظر: مجلة الموقف الأدبي - اتحاد الكتاب العرب بدمشق - العدد ٤١٣ / ٢٠٠٥، مقال بعنوان: الرجز والأراجيز ائتلاف واختلاف، د. أحمد فوزي الهيب، سورية، ص ٨٩، وعروض الورقة، الجوهري، تحقيق: د صالح جمال بدوي، مكة المكرمة، ١٩٨٥، ص ٧٥، والبدائية والنهاية، ١٠ / ١٨٨، والعمدة ١ / ١٨٤، ١٨٥. وينظر أيضاً رأي ياقوت الحموي في معجم الأدباء ٣ / ٣٩٠. والسيوطي في تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة، الأولى، ١٩٥٢ م / ١ / ٢٨٢. وابن قاضي شهبه في طبقات الشافعية، ٧ / ٢٤٥.

موسيقى متميز، بدليل سيرورة هذه الصورة وكتابة الكثيرين عليها، فقد تناول هذا الوزن بعده كثيرون، منهم عبدالصمد بن المعذل ٢٤٠هـ، ومطلع أرجوزته: (قالت حيلاً/ ماذا العمل)، وعلي بن الحسن الباخري ٤٧٦هـ ومطلع أرجوزته: (باري الديم/ بذى سلم)، والأسعد بن مماتي ٦٠٦هـ ومطلع أرجوزته: (وافي سحر/ طيف سحر)، وابن نباتة المصري ٧٦٨هـ ومطلع أرجوزته: (أفدي قمر/ عقلي قمر)^(١).

وقد تباينت نظرة النقاد العرب إزاء هذا الخروج حظراً وإباحة، فبينما حاول الزمخشري أن يسلط الضوء على الخلاف القائم حول هذا الخروج بقوله: "إن بناء الشعر العربي على الوزن المخترع، الخارج عن بحور شعر العرب، لا يقدر في كونه شعراً عند بعضهم، وبعضهم أبى ذلك، وزعم أنه لا يكون شعراً حتى يوافق فيه على وزن من أوزانهم"^(٢) - نجد السكاكي يرد قبول التجديد إلى الطبع السليم، لأن علم العروض - في نظره - علم "إذا أنت رددته على الاختصار احتمله وإذا أنت حاولت الإطناب فيه امتد وكاد أن لا يقف عند غاية، لقبوله من التصرف فيه نقصاناً وزيادة ما شاء الطبع المستقيم"^(٣).

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى ٧/٢٤٣ - ٣٤٧. والوفاي بالوفيات ١٨/٢٧٥، ٢٠/٢٠٠.
(٢) القسطاس في علم العروض للزمخشري تحقيق د. فخر الدين قباوة، ١٩٧٧م، ص ٢١.
(٣) مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٨٣، ص ٥٦٢، ٥٦٣.

بينما منع ابن خلدون الاحتكام إلى الطبع السليم، مرجحاً الوقوف عند ما جاء عن العرب، في قوله: "وليس كل وزن يتفق في الطبع استعملته العرب في هذا الفن، وإنما هي أوزان مخصوصة تسميها أهل تلك الصناعة البحور، وقد حصروها في خمسة عشر بحراً، بمعنى أنهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً".^(١)

وأرى أن رد المسألة إلى الطبع السليم من شأنه أن يحفظ للآلة الشعرية حظها من التجديد، في الوقت الذي يحافظ فيه على أصالة الأوزان العربية، طالما أن الطبع قد استساغها وتواتر عليها إبداع الشعراء من قبل، ومن ثم فلا ينبغي لنا أن نعد كل توليد وكل خروج على موسيقى الشعر العربي تجديداً؛ لأن الطبع السليم من شأنه أن يستسيغ شيئاً ولا يكاد يسيغ أشياء، والفيصل في ذلك هو تواتر الإبداع العربي؛ لأنه يعكس مدى قبول المبدعين وقابلهم الإبداعي معاً لهذا اللون الجديد، في الوقت الذي يعكس فيه ارتياح القاعدة العريضة من المتلقين لهذه الصورة الجديدة التي استطاعت أن تحمل هموم المبدع وتعبر عن آلامه وطموحاته.

أما التمرد والخروج غير المتعمد على صور الشعر العربي، فيمكن أن يتمثل في قصيدة سلم بن ربيعة التي منها:

إنَّ شِواءَ ونشِوةَ وخبب البازل الأمون
يجشمها المرء في الهوى مسافة الغائط البطين

(١) ينظر: تاريخ ابن خلدون، تحقيق: د. عبادة كحيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة (مصورة عن طبعة بولاق) ٢٠٠٧، ج ١ / ٥٠٠.

حيث قال عنها المرزوقي: "إنها خارجة عن البحور التي وضعها الخليل ابن أحمد، وأقرب ما يقال فيها إنها تجيء على السادس من البسيط".^(١)

ومعني ذلك أن صورة المخلع التي تأتي على (مستفعلن فاعلن فعو) لم ترد في الصور التي أحصاها الخليل بن أحمد، أو وردت ولكن شذوذاً كما توحى به عبارة ابن القطاع أنه شذ عن العرب في هذه العروض حذفها بعد الخبن والقطع، وعليه قول سلم بن ربيعة:^(٢)

إنَّ شِوَاءَ وَنَشْوَةِ وَخَبِّبِ الْبَازِلِ الْأَمُونِ

فالنقد العروضي في هذه الصورة كان قائماً على تتبع المزالق التي وقع فيها الشاعر نتيجة كثرة الزحاف، ولكنه كان مصحوباً بحكم نقدي منصف أعمل القياس كما بدا عند المرزوقي، أو محاذ للقاعدة العروضية غير منصرف عن ركبها، كما بدا عند ابن القطاع.

وتجدر الإشارة الى أن التمرد غير المتعمد قد ينشأ من التشابه كما يبدو من قول ابن رشيق: "وأنشد الزجاجي وزناً مشطراً محير الفضول، لا أشك أنه محدث وهو:

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن)، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر الثانية، ١٩٦٨م، ٣/ ١١٣٧. والشواء اللّحم المشوي والنشوة الخمر والسكر والخبب ضرب من سير الإبل والبازل التي قد استكملت لها تسع سنين فتناهت قوتها والأمون النّاقة التي يؤمن عثارها، يحشمها المرء صفة أيضاً للبازل والهوى ما يهواه الإنسان والعائط المظمن من الأرض والبطين الواسع الغامض أي يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه.

(٢) ينظر: كتاب البارع في علم العروض لأبي القاسم علي بن جعفر (ابن القطاع)، تحقيق: د. أحمد محمد عبدالدايم، المكتبة الفيصلية، ١٩٨٥، ص ١١٧.

سقى طلالاً بحزوى هزيم الودق أحوى
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى

وهذا وزن ملتبس، يجوز أن يكون مقطوفاً من مربع الوافر^(١)، ويجوز أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفوفاً^(٢)، ذكره الجوهري وأنشد لبعض المحدثين:

أشاقك طيف مامة بمكة أم حمامة^(٣)

والملاحظ أن النقد الموسيقي هنا كان تعليلياً خالصاً، ربما يرجع ذلك إلى اعتبار أن الشاعر لم يقترف إثماً، إذ إن صور العروض العربي كانت تتشابه في مواضع معلومة، ومهمة الناقد في هذه الحالة أن يصنف الشعر ويعلل لوجوده أو انتمائه إن وجد التعليل، إذ ليس شرطاً أن يتم الحسم في التشابه بين البحور بصورة قاطعة، ومن ثم تكون هناك صور جديدة، تصعب نسبتها بصورة حاسمة إلى بحر بعينه.

ثالثاً: الخصومة

قد تكون الخصومة دافعاً رئيساً من دوافع النقد الموسيقي، وبخاصة إذا كان الخصم صاحب ذائقة موسيقية أو بصر بأدوات الشعر، وكان الشاعر ذا صيت وشهرة ناتجة عن طبع شعري أصيل، ومن ثم يأتي النقد في هذه الحالة محاولة من الناقد لإثبات جدارته في إحصاء أخطاء وقع فيها خصمه، مهما

(١) أي الذي يأتي على (مفاعلتن فعولن) في كل شطر.

(٢) حيث يأتي على (مفاعلتن فاعلاتن).

(٣) ينظر: العمدة، ١ / ١٨١.

حاول الناقد التخفي أو التمسح بأصول النقد القويم، على النحو الذي يبدو في قول صاحب ابن عباد في مقدمة كتابه (الكشف عن مساوئ شعر المتنبي): "وكنت ذاكرت بعض من يتوسم الأدب في الأشعار وقائلها والمجودين فيها، فسألني عن المتنبي فقلت: إنه بعيد المرمى في شعره، كثير الإصابة في نظمه، إلا أنه ربما يأتي بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء، فرأيته قد هاج وانزعج، وحمي وتأجج، وادعى أن شعره مستمر النظام، متناسب الأقسام، ولم يرض حتى تحداني فقال: إن كان الأمر كما زعمت فأثبت في ورقة ما تنكره، وقيد بالخط ما تذكره، لتصفحه العيون وتسبكه العقول، ففعلت، وإن لم يكن تطلب العثرات من شيمتي، ولا تتبع الزلات من طريقي".^(١)

وسواء أكانت القصة حقيقية أم متخيلة على طريقة التجريد^(٢)، فإنها تضع بين أيدينا تصوراً للأساس النفسي الذي كانت تبنى عليه الخصومة، الذي كان يشكل محور النقد في كثير من الأحيان، فقد طمع صاحب "في زيارة المتنبي إياه بأصبهان، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة، ولم يكن استوزر بعد، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه، فلم يقم له المتنبي وزناً، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمنية، وورد مشرع المنية، واتخذها صاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعه، ويتتبع عليه سقطاته في

(١) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: صاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين مطبعة المعارف، بغداد، الأولى، ١٩٦٥م، ص ٢٩، ٣٠.

(٢) حد "التجريد": إخلاص الخطاب لغيرك، وأنت تريد به نفسك، لا المخاطب نفسه. ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفحالة، القاهرة، ١٢٨ / ٢.

شعره وهفواته، وينعى عليه سيئاته وهو أعرف الناس بحسناته، وأحفظهم لها،
وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته".^(١)

وقد أشار صاحب الوساطة إلى ما دار من خصومة حول شعر المتنبي
في قوله: "وما زلتُ أرى أهل الأدب - منذ ألحقتني الرغبةُ بجملتهم،
ووصلت العنايةُ بيني وبينهم - في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي
فتتين: من مُطنب في تقريظه، منقطع إليه بجملته، منحطٌ في هواه بلسانه
وقلبه، يلتقي مناقبه إذا ذُكرت بالتعظيم، ويُشيع محاسنه إذا حُكيت بالتفخيم،
ويُعجب ويعيد ويكرر، ويميل على من عابه بالزُّرية والتقصير، ويتناول من
ينقصه بالاستحقار والتجهيل؛ فإن عثر على بيت مختل النظام، أو نبه على
لفظ ناقص عن التمام التزم من نُصرة خطئه، وتحسين زلله ما يُزيله عن موقف
المعتذر، ويتجاوز به مقام المنتصر، وعائب يروم إزالته عن رُتبته، فلم يسلم له
فضله، ويحاول حطه عن منزلةٍ بؤاه إياها أدبه؛ فهو يجتهدُ في إخفاء فضائله،
وإظهار معاييه، وتتبع سقطاته، وإذاعة عُفلاته".^(٢)

ويمكننا أن نقف على نظرة هذين الفريقين لشعر المتنبي من خلال
وقوف أبي المرشد المعري على قول المتنبي: (الطويل)

لا يُحزِنُ اللهُ الأَميرَ فَإِنِّي لَأَخذُ مِنْ حالاتِهِ بِنَصيبِ

حيث يقول: "قال الشيخ أبو العلاء: في هذا البيت حرم، ولم يخرم أبو
الطيب إلا في موضعين أحدهما هذا والآخر: (إِنَّ تَلُّكَ طِيءٌ كَانَتْ لِثاماً)،

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي (عبد الملك بن محمد)، تحقيق: د.
مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ١/
١٥٢.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه. القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو
الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي ص ٣.

وقال أبو علي ابن فورجة: هذا البيت ظاهر اللفظ والمعنى، وإنما حملني على إيراده أنني قرأت أوراها قد وسمت بمساوي المتنبّي، أنشأها الصاحب كافي الكفاءة أبو القاسم، قد ارتكب فيها شيئاً من المزج عجيباً، ليس من طريقة العلم، ولا مما أفاد غير خيلاء الوزارة وبذخ الولاية، ولعمري لو لم يرو عنه هذا الكتاب لكان أجمل بمثله، إذ كان لم يتعد فيه التهزؤ الفارغ والكلام اللغو، حتى إنه ما يكاد ينتقص بيتاً من الأبيات التي نغمها على أبي الطيب بما يفيد معرفة، مخطئاً فيه أو مصيباً، إلا مواضع يسيرة كأنها عثار منه بالجد لا عمد، وهذه رسالة عملها في صباه والنزق حداه على إظهارها وما أجدر مرید الخير بكتمانها عليه".^(١)

فأبو العلاء قد وقف عند تحديد المأخذ الموسيقي، دون رغبة في قدح شاعره، بينما علل ابن فورجة لإيراده هذا النقد، وكأن الذي يعنيه هو نقد الناقد (الصاحب ابن عباد)، وليس نقد المتنبّي، في حين أن الصاحب لم يذهب في غير هذا المذهب بأكثر مما ذهب المعري.

(١) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبّي: اختصار أبي المرشد سليمان بن علي المعري، تحقيق: مجاهد محمد محمود الصواف ومحسن غياض عجيل، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ١٩٧٩، ص ٥١-٥٢، والبيت الأول في ديوان أبي الطيب المتنبّي، تحقيق: د. عبدالمنعم خفاجي، سعيد جودة السحار، د. عبدالعزيز شرف، مكتبة مصر، ص ٣٣، والشطر الذي بعده صدر بيت للمتنبّي في ديوانه، ص ٤١٤، وقد تكرر في القصيدة على النحو الآتي:

لَمِنْ تَلْكَ طَيْبِي كَانَتْ لِأَمَاماً فَأَلَامُهَا رَيْبَعَةٌ أَوْ بَنَوُهُ
وَإِنْ تَلْكَ طَيْبِي كَانَتْ كِرَاماً فَوَرْدَانٌ لِيَغِيْرِهِمْ أَبَوُهُ

رابعاً: الرواية

لا نستطيع أن نغفل دور الرواية في إحداث اللبس والتغيير، وما يترتب عليهما من تغيير في موسيقى الشعر، إذ إن نسيان الراوي الكلمة أو بعض حروف من البيت، طالما كان عاملاً من عوامل النقد الموسيقي، حتى لو رجع الراوي أو الشاعر إلى الوجه العروضي الصحيح بعد ذلك، وليس بعيداً عما حدث للنابغة فيما رواه ابن سلام الجمحي بقوله: "ولم يقو من هذه الطبقة ولا من أشباههم إلا النابغة في بيتين، قوله:

أَمِنْ آلِ مِيَّةٍ رَائِحٌ أَوْ مُعْتَدِي عَجَلَانَ، ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مَزُودٍ
زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رَحَلْنَا غَدًا وَبِذَاكَ خَيْرْنَا الْغَدَاةُ الْأَسْوَدُ
وقوله:

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ يَرِدْ إِسْقَاطُهُ فَتَنَاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ
بِمَخْضَبِ رَحْصِ كَأَنَّ بَنَانَهُ عَنَّمْ يَكَادُ مِنَ اللَّطَافَةِ يَعْقُدُ
فقدم المدينة، فعيب ذلك عليه، فلم يأبه لهما حتى أسمعوه إياه في غناء - وأهل القرى ألطف نظراً من أهل البدو، وكانوا يكتبون، لجوارهم أهل الكتاب - فقالوا للجارية: إذا صرت إلى القافية فرتلي، فلما قالت: (الغداة الأسود) و(يعقد) و(باليد)، علم وانتبه، فلم يعد فيه، وقال: قدمت الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس".^(١)

(١) طبقات فحول الشعراء: ١ / ٦٧، ٦٨.

ويبدو التوجيه النقدي الشفيف هنا واضحاً كأروع ما يكون، إذ إنه لم يعتمد الدخول في صدام مع المبدع، حتى لا يكون حجر عثرة في طريقه، وإنما تعامل معه بالحيلة التي نتج عنها إحساس الشاعر بالخطأ وعدوله عنه.

والتقييد بالكتابة من الحضر في قول ابن سلام يمكن أن يقفنا على إحساس الشعراء بخطر الرواية لما يمكن أن تحدثه في البيت من تغيير، على النحو الذي يبدو واضحاً في قول ذي الرمة لموسى بن عمر: "اكتب شعري، فالكتاب أحب إلي من الحفظ؛ لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثم ينشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام".^(١)

وإذا كانت الرواية التي عناها ذو الرمة رواية على قدر كبير من الوعي الموسيقي، بحيث يستطيع الراوي فيها أن يضع مكان الكلمة كلمة على وزنها - فإن كثيراً من الروايات التي سجلها النقد العربي لم يكن يتوفر لها هذا الراوي، ومن ثم وقع فيها اضطراب موسيقي، وقف أمامه النقد العربي وقفات تقويمية جيدة، تبدو لنا أول ما تبدو في قول ابن رشيق فيما عرف في العروض - ب (الخرم):

"وقد يأتون بالخرم كثيراً وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت وأكثر ما يقع في البيت الأول، وقد يقع قليلاً في أول عجز البيت، ولا يكون أبداً إلا في وتد، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه، وأجازته الناس، أنشده الجوهري:

قدمت رجلاً فإن لم تزرع قدمت الأخرى فنلت القرار

(١) الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م، ١ / ٤١.

وأُشِّدُّ أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري لامرئ القيس:

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابن جريح كان في حمص أنكرا

هكذا روايته، ورواه غيره (ولابن جريح) بغير حرم^(١).

كما يبدو هذا الاضطراب الموسيقي أيضاً في قول ابن رشيق: وأُشِّدُّ
الصاحب بن عباد قال: "أُشِّدُّني علي بن المنجم، قال: أُشِّدُّني أبو الغوث
لأبيه:

وأحق الأيام بالأنس أن يؤثر فيه يوم المهرجان الكبير

وأنا أقول: إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية، فويل

للآباء من أبناء السوء، ودع المثل القديم، ولا أظن البحري قال إلا:^(٢)

وأحق الأيام بالأنس أن تؤثر فيه يوم المهرجان الكبير

فابن رشيق قد عاب على الابن خذلان أبيه في رواية الأبيات، فكيف

بمن لم يسمع البيت من قائله، وإن كان قول الصاحب (أبناء السوء) يمكن

أن يُخَرَّجَ على أنه يعنى به الأبناء الذين لا علم لهم بأسس الشعر، إذ ليس

شرطاً أن ينجب الشاعر شاعراً أو راوية.

والذي يدل أيضاً على أن التصرف في الرواية قد يخرج بالبيت من

عروض الشعر ويدخله في الاضطراب ما رواه ابن رشيق في تعليل وقوع

(١) العمدة: ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الخامسة،
١٩٨١م، ١/١٤٠، ١٤١.

(٢) السابق: ٢/٢٤٩، والكشف عن مساوئ شعر المتنبي، ص ٣٦.

الخزم^(١) بقوله: "وقال عبدالكريم بن إبراهيم: مذهبه في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة، وأخذ الخزم من خزامة الناقة، ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول البيت.

وقد قال غيره: إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكته؛ فلذلك جعلوه في الوند المجموع؛ لأن المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً، ولا يبدأ بالساكن، فيسقط أيضاً، والسكته لا تحتمل عندهم إلا حرفاً واحداً؛ وهذا اعتلال مليح بين جدًّا^(٢).

كما يبدو ذلك أيضاً في قول الصاحب بن عباد: "فأنشد (يعني ابن العميد) قصيدته (يعني البحترى) التي أولها:

ظَلَمَ الدَّهْرُ فِيكُمْ وَأَسَاءَ فَعَزَاءَ بَنَى حُمَيْدَ عَزَاءَ
إلى أن انتهى منها إلى قوله:

ولماذا تَبَّعَ النفس شيئاً جعل الله الفردوس منه جزاء

(١) أما الخزم: فزيادة يذكرونها ويستعملونها في أوائل الأبيات، يُعْتَدُّ بها في المعنى ولا يُعْتَدُّ بها في الوزن، وإذا أريدَ التقطيعُ حُذِقَتْ تلك الزيادة، وهي تُسْتَعْمَلُ في جميع البحور، وأكثر ما يقع الخزم بحرف أو حرفين من حروف العطف أو حروف المعاني. الإقناع في العروض وتخريج القوافي ص ١١١.

(٢) العمدة: ١ / ١٤٣.

فقلت: هو كما قال سيدنا (أي خارج على الوزن)، لأن البيت من الخفيف وفيه زيادة سبب، قال ننشده: جعل الله الخلد منه جزاء، فيستقيم^(١).

قال الآمدي: "وقد جاء في شعر البحري بيتٌ هو عندي أقبح من كل ما عيب به أبو تمام في هذا الباب، وهو قوله:

ولماذا تتبّع النفس شيئاً جعل الله الفردوس منه بواء
وكذلك وجدته في أكثر النسخ وهذا خارج عن الوزن، والبيت من
العروض هو البيت الأول من الخفيف وهو سداسيٌّ وزنه:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
وتقطيعه:

ولماذا تتبعن جعلللاهل فردوسمن
فاعلاتن مفاعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن
فحذف ألف (فاعلاتن) الأولى والثانية والأخيرة فصارت (فاعلاتن)،
وسين (مستفعلن) الأولى فصارت (مفاعلن)، وذلك كله زحاف جائز، وزاد
في البيت سبباً، وهو حرفان: الهاء من اسم الله عز وجل، واللام من لفظ
الفردوس، وهو إكفاء، ولا أعرف مثل هذا البيت، وقد رأيت في بعض النسخ

(١) مساوي شعر المتنبي: ص ٣٦.

"جعل الله الخلد منه بواء" فإن يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب،
ويكون تقطيع البيت:

جعللا / هلخلد من / هبواء
فعلاتن / مستفعلن / فعلاتن^(١)

وقول الآمدي يصدق من الناحية النظرية، أما عند التطبيق فكلامه فيه
نظر من جهتين: أولها أن قوله: فحذف ألف (فاعلاتن) الأولى والثانية
والأخيرة غير صحيح، والصواب الأولى والثالثة والأخيرة، وثانيها. أن قوله: "وزاد
في البيت سبباً، وهو حرفان: الهاء من اسم الله عز وجل، واللام من لفظ
الفردوس، وهو إكفاء" غير صحيح إذ إن الإكفاء معروف بأنه "اختلاف
حرف الروي في قصيدة واحدة، وأكثر ما يقع ذلك في الحروف المتقاربة"^(٢).

(١) الموازنة للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الرابعة ١ / ٤٠٨، ٤٠٩.
(٢) الإقناع في العروض: ص ١١٥.

المبحث الثاني

أنماط النقد الموسيقي

إذا كانت غاية النقد الموسيقي هي الوقوف على مدى التزام الشاعر بقواعد العروض العربي أو خروجه عليها، مع محاولة التعليل الجيد لهذا الخروج - فإن هذه الغاية قد جعلت النقد الموسيقي في الأدب العربي يسير في اتجاهين أساسيين يشكلان نظريته:

فإما أن يأتي النقد في شكل مآخذ يأخذها الناقد على الشاعر إذا ما أحس الناقد بخلل موسيقي في البيت الشعري، سواء أخالف قاعدة أو قياساً أم لم يخالف، وإما أن يأتي في صورة وضع أطر تضبط العملية الإبداعية قبل أن يقع الشاعر فيها، يقول حازم: "ووقع هذه العلل والتغاير في عروض وعروض وضرب وضرب من أعاريض الأوزان التي قدمت ذكرها وضروبه على التفصيل يعرفها من تلقاء نفسه من له ذوق صحيح وحصل له قسط مقنع من الاستقراء، وشدا مع ذلك شيئاً من هذه الصناعة، ومن لم يكن له ذوق ولا استقراء الأوزان فليتول عرفان ذلك من الكتب المؤلفة في العروض، فإنهم حصروا عامة ما نوعت العرب إليه نهايات الأشطار من أبنية أوزانها من الأعاريض والضروب".^(١)

والملاحظ أن النقد الموسيقي في هذين الاتجاهين لم يكن على درجة واحدة من الدقة والجودة، إذ إنه طالما كان يتردد بين الذوق والقاعدة، ومن

(١) منهاج البلاغ: ص ٢٤٤.

ثم كان يصحب الحكم النقدي مزيد من التعليل في كثير من الأحيان التي يلجأ فيها إلى القاعدة، في الوقت الذي يتم فيه إهمال المصطلح العروضي أو الخلط بينه وبين مصطلحات شبيهة في النقد الذوقي.

فإذا ما وقفنا مع (الخرم) كمثال من أمثلة الزحاف التي وقف أمامها نقادنا وقات نقدية جيدة - ظهر لنا إلى أي مدى تفاوتت نظرة هؤلاء النقاد لهذا اللون، في انطلاقها من الذوق أو من القاعدة، ففي جانب الذوق يبدو قول أبي العلاء المعري: "وتلك النائبة هي الخرم الموجود في أوائل الأشعار كما قال ساعدة:

فِيمَ نَسَاءِ الْحَيِّ مِنْ وَتْرِيَّةٍ سَفَنَجَةٍ كَأَنَّهَا قَوْسٌ تَأَلَّبِ

وهو في شعر الجاهلية وأهل الإسلام، ألا ترى أن عين (عدة) سلمت من الحذف وكذلك زاي (زنة)؟ وإن حذف متوسط فحذفه شاذ، وإنما يكثر حذف الأطراف والأوائل، كما حذفوا فيما اعتلت فإؤه ولامه فقالوا في المعتل اللام: برة وقلة ودم ويد".^(١)

فأبو العلاء لم يطلعنا على الأسس الموسيقية التي عد بها الخرم عيباً، لأن همه كان منصباً على قياس الحذف في الخرم على عادة العرب في حذف الأطراف والأوائل، وشذوذ الحذف في الوسط.

وفي جانب القاعدة يبدو تحديد القاعدة في (الخرم)، والصور قليلة الاستعمال التي يمكن أن يظهر عليها، إضافة إلى المانعين لوقوعه - يبدو

(١) رسالة الصاهل والشاحج: أبو العلاء المعري، تحقيق: د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، الثانية، ١٩٨٤م، ص ٤٤٢.

كل ذلك في قول ابن رشيق: "وقد يأتون بالخرم كثيراً وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من البيت وأكثر ما يقع في البيت الأول، وقد يقع قليلاً في أول عجز البيت، ولا يكون أبداً إلا في وتد، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه، وأجازته الناس، أنشده الجوهري:

قدمت رجلاً فإن لم تزرع قدمت الأخرى فملت القرار
وأنشد أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري لامرئ القيس: (الطويل)

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابن جريح كان في حمص أنكرا
هكذا روايته، ورواه غيره (ولابن جريح) بغير خرم. فإذا اجتمع الخرم والقبض على الجزء فذلك هو الثرم، وهو قبيح، وهذان عيبان تدل تلك التسمية فيهما على قبحهما؛ لأن الخرم في الأنف، والثرم في الفم، وإنما كانت العرب تأتي به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر، ثم يرى فيه رأياً فيصرفه إلى جهة الشعر؛ فمن ههنا احتمال لهم وقبح على غيرهم، ألا ترى أن بعض كتاب عبدالله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله:

هن عوادي يوسف وصواحيبه

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب.^(١)

فلا نستطيع هنا أن نغفل إشارة ابن رشيق الجيدة إلى الأصل اللغوي للخرم، ثم محاولة فلسفته تدليلاً على قبحه ونفور العرب منه في قوله (وإنما

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ١٤٠، ١٤١. وبيت أبي تمام من قصيدة له يمدح

عبدالله بن طاهر بن الحسين، ومطلعها:

هنّ عوادي يوسف وصواحيبه فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

كانت العرب تأتي به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر، ثم يرى فيه رأياً فيصرفه إلى جهة الشعر، إلا أنها تظل إشارة فلسفية ذوقية، لا يدعمها مستند مادي، مثل الذي نجده في إشارة المظفر بن الفضل العلوي الرائعة: "وأكثرُ ما يُحذفُ للحَرَمِ حروفُ العطفِ مثل الواو وأحواتها وإن كان الحَرَمُ يجيءُ بغير ذلك، وقد أجاز بعضُ العروضيين الحَرَمَ في أول النصف الثاني من البيت وشبَّهه بأول البيت وأنشد عليه قول امرئ القيس: (المتقارب)

وَعَيْنٌ لَهَا حَذْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مَا فِيهَا مِنْ أُخْرٍ

أراد أن يقول: (وشُقَّتْ) وأنشدوا في حَرَمِ أول البيت وفي أول النصف الثاني منه، وهو غير مُستحسن ولا ينبغي العمل به، قول الشاعر: (الوافر)

أَبْدَلَنِي بَتَيْمِ اللَّاتِ رَبِي حَنْظَلَةَ الَّذِي أَحْيَا تَيْمًا

أراد أن يقول: (وأبدَلَنِي - بحنظلة) فحذف الواو من أول النصف الأول، والباء من أول النصف الثاني.

وحدثني أبي تمام مع أبي سعيد المكفوف، لما عُرِضَتْ عليه قصيدته البائية التي مدح بها عبدالله بن طاهر، وإنكاره الحَرَمَ في أول البيت منها معروف لأن العلماء بالشعر لا يستحسنونه وإن كان مُحَوَّزاً مُستعملاً وهو قوله: (١)

هَنَّ عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَمًا فَقَدِمًا أَدْرَكَ الثَّارَ طَالِبُهُ

(١) نصره الإغريض في نصره القريض: المظفر بن الفضل العلوي، ٥٨٤ - ٦٥٦هـ، تحقيق. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥م، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

فإشارة المظفر السابقة إلى كثرة وقوع الخرم إشارة جيدة، تدعمها نظرة العربي إلى حروف العطف زيادة وحذفاً، كما تدعمها الشواهد الشعرية لفحول الشعراء، كامرئ القيس وأبي تمام والمتنبي الذي يقول صاحب عن شعره: "ليس في شعر أبي الطيب خرم إلا في موضعين أحدهما (لا يُحزِنُ اللُّهُ الأَمِيرَ فَإِنِّي)، والثاني (إِنَّ تَلُّ طَيِّءٌ كَانَتْ)".^(١)

ويلاحظ أن النقد الموسيقي لم يكن يقف عند شعر الشاعر فقط، وإنما كان كثيراً ما يتعداه إلى نقد الناقد، إذا لم يكن هذا النقد دقيقاً في مراعاة أصل القاعدة، على النحو الذي يبدو في قول أبي يعلى التنوخي: "وذكر ابن دريد الخرم ومثله بقول عنتره: (الكامل)

وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَظُنِّي غَيْرُهُ مَنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكْرَمِ

وهذا عيب في حكم العروض يقال له الوقص، لأن (متفاعلن) إذا أعيدت إلى (مفاعلن) سمي الجزء موقوصاً، وقد عيب ذلك من ابن دريد لما تقدم من أن الخرم لا يكون إلا في تلك الأوزان الخمسة، وبيت عنتره من الكامل"^(٢)

فالتنوخي قد عاب على ابن دريد قوله بدخول الخرم في الكامل، لأن الكامل لا يبدأ بوتد مجموع، غير أن مما يعكر على ما ذهب إليه التنوخي

(١) الإقناع في العروض: ص ١١٩، وقد سبق تحريج الشطرين.

(٢) القوافي والأوزان الخمسة هي (الطويل والوافر والهزج والمضارع والمتقارب).

وغيره - إضافة إلى قول ابن دريد - قول أبي عبيد البكري في (سمط اللآلي)
في قول الشاعر: (الكامل)

سل المنازل كيف صرم الراحل أم هل تبين رسومها للسائل
عرجت أسألها بقارعة الغضا وكأنها ألواح سيف ثامل
هكذا رواه أبو حاتم وأبو جعفر ابن حبيب وغيرهما، قالوا: " (سل
المنازل) هذا مزاحف وهو جائز، أقول وهذا الزحاف هو الذي يسمّى
الخرم"^(١).

وهذه الأقوال تجعلنا نعيد النظر في صلاحية الخرم للدخول في بحر
الكامل حتى وإن لم يبدأ البحر بوتد مجموع، لأن العبرة بالنشاز الموسيقي
المرتّب على تغيير التفعيلة من (متفاعلن) إلى (مفاعلن)، وهو ما لم يحدث
في الأمثلة السابقة، لأن العبرة في النقد في بحر الكامل بدخول الخرم في
التفعيلة المضمرّة (متفاعلن) وليس أي تفعيلة، لأنه يترتب على دخوله التفعيلة
المضمرّة الابتداء بالساكن، وهو لا يجوز في لغة العرب إطلاقاً.

ومما يؤكد ذلك شهادة ياقوت الحموي بالبراعة للحسين بن أحمد
الفارسي بقوله: "ومما يشهد بصفاء ذهنه وخلوص فهمه: أنه سئل - قبل أن
ينظر في العروض - عن خرم (متفاعلن)، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو،
فقال: لا يجوز، لأن (متفاعلن) ينقل إلى (مستفعلن) إذا أضمر، فلو خرم

(١) سمط اللآلي: أبو عبيد البكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، الهيئة العامة لقصور الثقافة،
٢٠٠٩م، (الذخائر ١٨٤)، ١ / ٨٤.

لتعرض للابتداء بالساكن. إذا الحرم: حذف الحرف الأول من البيت،
والإضمار تسكين ثانية.^(١)"

مما سبق يتبين لنا أنه يمكن الاطمئنان إلى أن أنماط النقد الموسيقي
في الأدب العربي يمكن ردها إلى لونين من ألوان النقد يتمثلان في: (النقد
الدوقي) و(النقد القاعدي)، على ما يتضمنه البيان التالي:

أولاً: (النقد الدوقي)

يبدو تركيز النقاد في الجانب الدوقي على الحس الموسيقي أكثر من
تركيزهم على القاعدة، ربما لاجتماع أكثر من عيب في القصيدة، وأنفة النقاد
إزاء هذا التداعي من الوقوف أمام كل عيب على حدة، أو لأن القاعدة
العروضية لم تكن تعد من يتنكر لها، نتيجة عدم العلم أو تداخل المصطلح
في كثير من الأحيان.

فالمظهر الأول يتجلى في وقوف النقاد أمام ظاهرة (التخليع)، وكيف
تعددت رؤاهم في تحليل المزلق الواحد، أو في نظرتهم إليه، مستندين إلى
هدى من التسمية حيناً، ومهملين لها حيناً، ففي عرض الرؤية التي تضع
التسمية الإجمالية في اعتبارها، يبدو لنا قول ابن سنان الخفاجي: "فإن
زاحف بعض الأبيات أو جعل الشعر كله مزاحفاً حتى مال إلى الانكسار

(١) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي
الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ٢ / ٤١٥.

وخرج من باب الشعر في الذوق كان قبيحاً ناقص الطلاوة، كقصيدة عبيد بن الأبرص: (مخلع البسيط)

أفقر من أهله ملحوب

وكقول ابن يعفر: (البسيط)

إننا ذمنا على ما خيلت سعد بن زيد وعمراً من تميم
وضبة المشتري العار بنا وذاك عم بنا غير رحيم
ونحن قوم لنا رماح وثروة من موال وصميم
فإن هذا غير مستحسن لأنه خارج عن أسلوب المنظوم والمثور، وإن
كان في العروض مستقيماً^(١).

فالاحتكام إلى الذوق في قول ابن سنان يبدو هو الأساس الذي أقيم
عليه الاستنكار في الشواهد الشعرية، حتى وإن كان الشعر غير خارج على
حدود العروض، في حين نجد الاستنكار - في الشواهد ذاتها - قائماً على
قرب الأبيات من النثر، نتيجة تكثيف العلل، التي أخرجتها عن النسق
الموسيقي المتعارف عليه في الصورة العروضية - في قول ابن رشيق: "ومنه
قبيح مردود لا تقبل النفس عليه، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء في الناس
وسوء التركيب، مثله قصيدة عبيد المشهورة: (أفقر من أهله ملحوب)، فإنها

(١) سر الفصاحة: ص ١٩٢، ١٩٣.

كادت تكون كلاماً غير موزون بعلّة ولا غيرها، حتى قال بعض الناس: إنها
خطبة ارتجلها فاتزن له أكثرها".^(١)

وقد أجاد قدامة بن جعفر حين ركز على الذوق والقاعدة في آن معاً في
قوله: "التخليع وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزييفه، وجعل
ذلك بنية للشعر كله، حتى مال إلى الانكسار، وأخرجه عن باب الشعر الذي
يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة، إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه، أو
يعرضه على العروض فيصح فيه، فإن ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص
الطلاوة، قليل الحلاوة، وذلك مثل قول الأسود بن يعفر: (البيسط)

إنا ذمنا على ما خيلت سعد بن زيد وعمراً من تميم
وضبة المشتري العار بنا وذاك عم بنا غير رحيم
... ومثل قول عروة بن الورد:

يا هند بنت أبي ذراع أخلفتني ظني ووترتني عشقي
ونكحت راعي ثلة يثمرها والدهر فائته بما ييقى
ومثل قصيدة عبيد بن الأبرص، وفيها أبيات قد خرجت عن العروض
البتة، وقبح ذلك جودة الشعر، حتى أصاره إلى حد الرديء منه، فمن ذلك
قوله: (مجزوء البسيط)

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

(١) العمدة: ١ / ١٤٠.

فهذا معنى جيد ولفظ حسن، إلا أن وزنه قد شانه وقبح حسنه، وأفسد
جيده، فما جرى من التزحيف هذا المجرى في القصيدة، أو الأبيات كلها أو
أكثرها، كان قبيحاً من أجل إفراطه في التخليع واحدة، ثم من أجل دوامه
وكثرته ثانية، وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط، أو كان في بيت
أو بيتين من القصيدة من غير توال ولا اتساق، ولا إفراط يخرج عن الوزن،
مثل ما قال متمم بن نويرة:

وفقد بني أم تداعوا فلم أكن خلافهم لأستكين وأضرعا^(١)

فهذا بصر جيد بأصول النقد من قدامة بن جعفر، جعله يؤصل ويعلل
ويدلل على التعليل، بما لا نملك معه إلا التسليم بالقاعدة مأخوذتين بالتدرج
النقدي الجيد الذي أخذنا من الإشارة إلى محاولة خداع المتلقي بصحة
الوزن وموافقة العروض، إلى التمثيل بأكثر من مثال شعري للتدليل على ذلك،
إلى الدقة في الحكم على قصيدة عبيد بن الأبرص، وعدم رميها بالنقائص
جملة واحدة، لأن مكنم الغمز في فنيته راجع إلى أن فيها أبياتاً قد خرجت
عن العروض البتة رغم جودة معانيها، كقول الشاعر:

والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

ثم الخلوص من ذلك كله إلى أن العيب في التخليع هو دوامه وكثرته،
لأن التخليع قد دخل في بعض القصائد لكنه لم يستطع أن يفعل بها ما فعله
بقصيدة عبيد، لأن دخوله لم يكن يتعدى البيت أو البيتين من غير توال، كما
حدث في قصيدة متمم بن نويرة.

(١) نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، الثالثة، ١٩٧٩م،
ص ١٨١، ١٨٢.

وفي عرض الرؤية التي لا تضع التسمية في اعتبارها، نجد الاحتكام فيها إلى الذوق أو الاستحسان العقلي هو السمة الغالبة على هذه الرؤية، على النحو الذي يبدو لنا من قول أبي العلاء المعري: "وقصيدة عبيد: (أفقر من أهله ملحوب)، وزنها مختلف وليست موافقة لمذهب الخليل في العروض".^(١)

إذ إن هذا القول من المعري قد أخرج القصيدة عن عروض الخليل جملة واحدة، دون أن يستطرد في بيان الأسباب، اللهم إلا إشارته إلى أن وزنها مختلف، بينما نجد الذوق الذي أخرج القصيدة عن حدود أوزان الخليل عند حازم - ذوقاً معللاً، يحتكم إلى نسبة المتحركات والسواكن في البيت، ومن ثم تخرج هذه القصيدة عن العروض، لأن نسبة السواكن "قد تناهت في الكثرة، فكانت أربع أخماس المتحركات، ولا يمكن أن تكون نسبة السواكن من المتحركات أكثر من هذا، فلهذا اقتضى النظر البلاغي أن يجعل وزناً برأسه، وليس أخذ هذا الوزن عن العرب يثبت".^(٢)

وعلى النحو ذاته نقف على قول الأخفش: "وفي الشعر الرَّمْل، وهو عند العرب عيبٌ. وهو ممّا تسمّي العرب، وهو كلّ شعر مهزول، ليس بمؤلّف البناء. ولا يحدّون في ذلك شيئاً، وهو نحو قول عبيد: (مخلع البسيط)

أفقر من أهله ملحوبُ فالقطيّاتُ فالذّنوبُ

ونحو قول ابن الرّبعري: (الهج)

ألا لله قـوْمٌ و لدتْ أختُ بنى سهم

هشامٌ وأبو عبد منافٍ مدرّة الخضم

(١) الفصول والغايات: أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري، تحقيق: محمود حسن زنتاتي، دار الآفاق الجديدة، ١٩٣٨م، ص ١٣١.

(٢) منهاج البلغاء: ص ٢٣٩، ٢٤٠.

وعامة المجزوء يجعلونه رملاً، وفيه التّحريد، ولا يحدّون فيه شيئاً، إلّا أنّهم يريدون به غير المستقيم، مثل الحرد في الرجلين." (١)

فالأخفش - وهو عروضي صرف. قد ابتعد عن تحديد القاعدة العرضية إلى الذوق، ومن ثم وجدناه يقول إن الأبيات فيها (الرمل) وهو عيب، وهو كل شعر مهزول ليس بمؤلف البناء، أو أن فيها (التحريد) وهو غير مستقيم وهكذا.

فإذا ما وقفنا على ما قاله الخالديان، اتضح لنا كيف يحكم الذوق والاستحسان العقلي عند الوقوف على المأخذ الموسيقي، دون الاستناد إلى القاعدة، على ما يبدو من قولهما: "حدّثنا ابن دريد عن أبي عبيدة، قال أبو حاتم: قال لي أبو عبيدة: تريد أن أنشدك شعراً يجمع لك فراسة الخيل؟ قلت: نعم، فأنشدني: (المنسرح)

ذاك وقد أذعُرُ الوحوشَ بصنْدٍ ستِ الخدِّ رحبٍ لبائهُ مُجَزَّرُ

طويل خمسٍ قصيرٍ أربعةٍ عريض ستّ مقلّصٍ حشورُ

(١) كتاب القوافي لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم بدمشق، ١٩٧٠م، ص ٦٧، ٦٨. والحرد في الرجلين "مصدر الأخرذ الذي إذا مشى رَفَعَ قوائمه رفعاً شديداً ويَضَعُها مكانها من شِدَّة قَطافته في الدَّوَابِّ وغيرها. وحرد الرجلُ فهو أحرذ إذا تَقَلَّتْ عليه درعُه فلم يستطع الانبساط في المشي العين. كتاب العين: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال ٣ / ١٨٠، والرملة في المشي من رمل رملاً ورملاً إذا هرول أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ١ / ٣٨٧).

ذكر ابن قتيبة أنَّ هذا الشعر لا يخرج من العروض، ولا ندري على ما يُترك هذا القول، مع صحّة هذا الشعر في الذوق وسلوكه في السّمع، ويضطرب في الذوق مثل:

أَقْرَ من أهله ملحوبُ فالقُطَيَّاتُ فالذَنوبُ

ومثل: (السريع)

هل بالديار أن تُحبب صمّم لو أن ربعاً ناطقاً كلم

وفي هاتين القصيدتين وغيرهما من الأبيات التي تحفو على السمع ولا يصححها الذوق عددٌ كثيرٌ، لو تتبعنا ذلك في هذين الشعرين دون غيرهما لكثرت واتّسع ما يحفو عنه السّمع، إلاّ أنّنا نعلم أنّهم لم يذكروا شيئاً من ذلك إلاّ بحجّة ناطقة ودليل صحيح، غير أنّ الذوق يصحّ هذه الأبيات التي قدّمنا ذكرها في صفة الفرس، ولا ينبو عنها السّمع لأطرّادها واستقامتها، وإن كانوا قد ذكروا أنّها خارجة عن جميع الأعراب التي أتت بها أشعار العرب." (١)

أما المظهر الثاني الذي يرجع التركيز فيه إلى كون المصطلح غير واضح المعالم، مما يجعله عرضة للتداخل مع مصطلحات شبيهة، فيمكن أن يتجلى في وقوفنا على إسهامات نقادنا فيما عرف بـ (الإقعاد) الذي لا يتعلق بزحاف

(١) كتاب الأشباه والنظائر للخالدين (أبو بكر محمد بن هاشم، وأبو عثمان سعيد بن هاشم، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، الهيئة العامة لقصور الثقافة (الذخائر ٨١)، ٢٠٠٢ من ج ٢/ ١٥٩ - ١٦١.

ولا قافية، بقدر ما يتعلق بالإخفاق في تلبية احتياجات السامع الموسيقية، ومدى اهتمام القدماء بالذوق، واحتكامهم إليه في كثير من الأمور التي لم تكن حددت بعد، ففي الإقعاد يتم دخول الشاعر في العروض من غير تقفية ولا تصريح، موهماً من يسمع النصف الأول أنه سوف يأتي بالثاني موافقاً له، ولكن الشاعر يأتي به على خلاف ذلك.^(١)

وقد تعددت مشارب النقاد في الوقوف على طبيعة الإقعاد، بين من يضرب الصفح عن تسمية المصطلح أصلاً، ويمثله قول المبرد في قول الشاعر: (الكامل)

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار
"قوله: (أفبعد مقتل مالك بن زهير)، مزاحف ناقص جزءاً، وهذا في هذه العروض جائز، وهي التي يقال لها المقطوعة في الكامل، ونظيره قول حميد بن ثور: (الكامل)

أبلغ أمير المؤمنين فإنّه طبُّ يلوم المستليم ويعذر
أني كبرت وأنّ كلّ كبير ممّا يظنّ به يملّ ويقبر^(٢)
وبعضهم يسوقه في إطار (الإقواء) أو (الإكفاء) منبهاً على أن ذلك من زعم بعض الناس، كما فعل ابن قتيبة حين قال: "قال أبو محمد: كان أبو

(١) ينظر: كتاب القوافي للقاضي أبي يعلى التنوخي، تحقيق: د. عوني عبدالرؤوف، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٩٧٨م، ص ٧٩.

(٢) التعازي والمراثي لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد الديباجي، دار صادر، الثانية، ١٩٩٢م، ص ٢٨٠.

عمرو ابن العلاء يذكر أن الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعةً وأخرى مخفوضةً، كقول النابغة: (البسيط)

قالت بنتو عامرٍ خالوا بني أسدٍ يا بُوس للجهلِ ضراراً لأقوامٍ
وقال فيها:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَأَ النَّوْرِ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

وكان يقال إن النابغة الذبياني وبشر بن أبي حازم كانا يقويان، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره ففطن فلم يعد للإقواء.

وبعض الناس يسمى هذا (الإكفاء)، ويزعم أن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت، كقول حجل بن نضلة، وكان أسر بنت عمرو بن كلثوم وركب بها المفاوز، واسمها النوار:

حَنَّتْ نَوَارٌ وَلَاتَ هَنَّا حَنَّتِ وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَارٌ أَجْنَتْ
لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا مَشْرُوبًا وَالْفَرْثَ يُعَصِّرُ فِي الْإِنَاءِ أَرَنْتِ

سمي إقواءً لأنه نقص من عروضه قوة، وكان يستوي البيت بأن تقول متشرباً، يقال: أقوى فلانُ الحبل إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى، وهو حبلٌ قوي، مثل قول حميد: (الكامل)

أَنِّي كَبَرْتُ وَأَنَّ كَلَّ كَبِيرٍ مِمَّا يُضَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيَفْتُرُ
وكقول الربيع بن زياد: (الكامل)

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

ولو كان (بن زهيرة) لاستوى البيت. (١)

وبعضهم يسوق الإقعاد في إطار (الإقواء) لكنه ينبه في النهاية على تسمية الخليل له بالإقعاد، كما فعل ابن عبدربه حين قال: "وأما الإقواء والإكفاء فهما عند بعض العلماء شيء واحد، وبعضهم يجعل الإقواء في العروض خاصة دون الضرب، ويجعلون الإكفاء والإيطاء في الضرب دون العروض، فالإقواء عندهم أن تنقص قوة العروض، فيكون (مفعولن) في الكامل، ويكون في الضرب (متفاعلن) فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة، فيقال: أقوى في العروض، أي أذهب قوته، نحو قول الشاعر: (الكامل)

لما رأَت ماء السلى والفَرث يُعَصَّر في الإناء أَرزَت

ومثله: (الكامل)

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

والخليل يُسمى هذا المقعد. (٢)

وإذا كانت النظرة إلى الإقعاد على أنه لون من ألوان الإقواء فيها لون من الغموض والتداخل نتيجة اعتبار القدماء للبيت المصرع، ويقينهم بأنه يدخله

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاکر، دار الحديث، الثالثة، ٢٠٠١م، ١ / ٩٥، ٩٦.

(٢) العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ٥ / ٤٨٢، وكلمة المقعد مصحفة في الأصل.

من الإقواء وغيره ما يدخل القصيدة - إذا كان كذلك فإن النقد العربي لم يعدم من يهتم بتحديد المصطلح وتعدد أبعاده في كثير من الأحيان، فأبو العلاء المعري يشير في غير موضع من مؤلفاته إلى تسمية هذا اللون بالإقعاد فتراه يقول مثلاً: "والإقعاد في الكامل، مثل قول الربيع بن زياد: (الكامل)

أَقْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

وقد فسرت الإقعاد الذي قصد في العدو. (١)

ثم يشير صراحة في موضع آخر إلى عدم معرفة الخليل لهذا اللون فيقول: "وبيت الربيع بن زياد. . . تسميه العرب المقعد، ولم يذكر هذا الفن من الشعر الخليل، وذكره الأخفش فيما أغفله الخليل. ويجب أن يكون اسمه على مذهب الخليل والأخفش: القطع؛ وروى عن أبي عبيدة أن مثل هذا يسمى الإقواء. (٢)"

ورغم هذه الجودة في قول المعري، إلا أننا لم نقف على أبعاد المصطلح كاملة إلا مع وقوفنا على ما قاله التنوخي وابن رشيق والمرزوقي، فإضافة إلى تحرير المصطلح في هذه الإسهامات النقدية، نجد وعياً نقدياً من ابن رشيق والتنوخي في تتبع صور الإقعاد في أبحر الشعر، والوصول إلى صلاحية ثلاثة أبحر لدخوله فيها هي (الكامل والطويل والخفيف)، ثم التمثيل لكل بحر بأكثر من مثال، على النحو الذي يبدو في قول ابن رشيق: "ومن التزحيف في الأوساط الإقعاد، وهو أن تذهب مثلاً نون (متفاعلن) أو

(١) رسالة الصاهل والشاحج: ص ٥٩٥.

(٢) الفصول والغايات: ص ١٣٥.

(مستفعلن) في عروض الضرب الثاني من الكامل، وتسكن اللام، فيصير عروضه كضربه (فعالتن) أو (مفعولن)، كما قال الشاعر، وهذا هو القطع عند أصحاب القوافي:

أَقْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

فجاء هذا على معنى التصريع وليس به، فهو عيب، وأقبح منه قول الآخر:

إنني كبرت وإن كل كبير مما يظن به علي ويقتتر
لأنه أتى بالعروض دون الضرب بحرف، لا لتوهم تصريع ولا إشكال،
وإنما نذكر مثل هذا ليجتنب إذا عرف قبحه، وجاء منه في الطويل قول
النابغة الذبياني:

جزى الله عبساً عبس آل جزاء الكلاب العاويات وقد

أنشده النحاس، وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي:

لعمرى لقد بر الضباب بنوه وبعض البنين حمة وسعال
هكذا روايته بالحاء غير معجمة، وهو الصحيح، وبعضهم يرويه (غمة)
بالغين معجمة، وزعم الجمحي أن الإقعاد لا يجوز لمولد، وقد أتى به
البحثري في عروض الخفيف، فقال يهجو شاعراً:

ليس ينفك هاجياً مضروباً ألف حد ومادحاً مصفوعاً

قياساً على قول الحارث بن حلزة الإشكري:

أسد في اللقاء ذو أشبال وريبع إن شنعت غبراء
وابن قتيبة يسمى هذا الزحاف إقواء^(١).

كما تبدو الجودة أيضاً في قول التنوخي: "وأما الإقعاد فهو يدخل في
العروض من غير تفتية ولا تصريح، يوهم سامع النصف الأول أن الشاعر يأتي
بالثاني موافقاً له، فيأتي به خلاف ذلك، مثال قول النابغة:

جزى الله عبساً عبس آل جزاء الكلاب العاويات وقد
فيظن سامع نصف هذا البيت أول وهلة أن الشاعر قد استفتح شعراً
مصرعاً من ثالث الطويل، ثم يأتي المنشد بنصفه الثاني فيكون مقيد ثاني
الطويل، لأن العروض في هذا البيت فعولن، وذلك لا يكون في الطويل إلا في
الثالث إذا كان مصرعاً، والضرب مفاعلن، وذلك لا يكون إلا لثانيه، ومثله:

إذا ما اتَّصَلْتُ قُلْتُ يَا لَ تَمِيمٍ وَأَيْنَ تَمِيمٍ مِّنْ مَّحَلَّةِ أَهْوَذَا
ومنه قول عمر بن أبي ربيعة:

دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ قَسَّيسٍ صَوَّرُوهَا فِي جَانِبِ الْمِحْرَابِ

فهذا من الخفيف وفيه تشعيث في العروض، وهو رد فاعلاتن إلى
مفعولن، وهذا لا يحسن إلا في التصريع، ومثله من الخفيف أيضاً:

أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ ذُو أَشْبَالٍ وَرَيْبَعٌ إِنْ شَعَبَتْ غَبْرَاءُ

(١) العمدة: ١/١٤٣، ١٤٤.

ومثله من الطويل لعامر بن جوين:

خَلِيلِي كَمْ بِالْجِزْعِ مِنْ مَلَكَاتٍ وَكَمْ بِالصَّعِيدِ مِنْ هِجَانٍ مُؤَبَّلَةٍ

ومثله:

وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارًا نَشَرَتْ عَلَيْهِ بَرْهًا وَرِحَالَهَا

فالنصف الأول مصرع الكامل الثامن والنصف الثاني من الكامل الأول:

ومثله:

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَى مَشْرُوبًا وَالْفَرْثَ يُعَصِّرُ بِالْأَكْفِ أَرْنَتْ

ومثله من الكامل أيضاً قول حميد:

إِنِّي كَبُرْتُ وَإِنَّ كُلَّ كَبِيرٍ مِمَّا يُظَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيَفْتَرُ

وهذا عند الخليل إقعاد، وعند أبي عبيد وأبي عبيدة إقواء.^(١)

والملاحظ أن اختلاف النقاد في تسمية (الإقعاد) كانت ترجع إلى اعتبارات مختلفة، فمن نظر إلى اختلاف شطري المطلع في التقفية رأى أن يسميه بـ (الإقواء) ملاحظة للمعنى اللغوي للإقواء، ففي القاموس المحيط "وَحَبْلٌ قَوٌّ مُخْتَلِفُ الْقُوَى. . . وَالْحَبْلُ جَعَلَ بَعْضُهُ أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ، وَالشُّعْرُ خَالَفَ قَوَائِيَهُ بِرَفْعِ بَيْتٍ وَجَرَّ آخَرَ"^(٢)، ومن نظر إلى اختلاف العروض والضرب في مطلع البيت من الكامل (متفاعلن) . سماه بـ (القطع)، لأن

(١) القوافي للتونجي: ص ٧٩ - ٨٢.

(٢) القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي، دار الحديث، (قوة).

التفعيلة تحول به إلى (متفاعل)، ومن نظر إلى اجتماع العيين عروضاً وقافية سماه ب (المقعد) تشبيهاً له بالمُقعد الذي لا يستطيع الحركة.

وتبدو إشارة ابن قتيبة إلى محاولة تصويب الخطأ بقوله (ولو كان بن زهيرة لاستوى البيت).^(١) تبدو هذه الإشارة على قدر هائل من الأهمية؛ إذ تمثل نواة المشاركة الجيدة التي استثمرها المرزوقي بعد ذلك، حيث قال: "وقوله (ابن زهير) جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة، ولو قال (زهير) لاستقام له وكان يكون متفاعلاً، وهم يدخلون على الأعلام التغيير كثيراً، لكنه مال إلى هذا وجعله فعلاً، وقد فعل في أول المقطوعة مثل ذلك، لكنه في ذلك أعذر لأنه جعلها مصرعة، ولم يرض بأن يجعله فعلاً حتى سكن العين منه وجعل (مفعولن)، ويسمى مقطوعاً مضمرًا، وفعل أيضاً مثله في قوله: (ومجنبات ما يذقن عذوفاً)، والعذر فيه كالعذر في قوله (أفبعد مقتل مالك بن زهير)، ولو قال (عذوفة) لاستقام له، وربما مالوا إلى المزاحف من غير ضرورة، على ذلك قول المتنخل في الطائية:

أبيت على معار فاخرات بهن مُلوّب كدم العباط

رووا أن كل العرب ترويه معار فاخرات بالتثنية، وإنما هو من الضرب الأول من العروض الأولى من الوافر: مفاعلتن مفاعلتن فعولن، فجعل مفاعلتن الثاني مفاعلين بالعصب، وهو في زحاف هذا البحر جائز، لكنه لو روى معارى بفتح الياء لسلم، ولم يفعل.^(٢)

(١) الشعر والشعراء: ٩٦ / ١.

(٢) شرح الحماسة للمرزوقي: ٩٩٣ / ١.

ففي قول المرزوقي نجد تعليلاً للتغيير في الأسماء بجواز تغيير زهير إلى (زهير)، واكتشاف الفعل ذاته في شطرة أخرى من قصيدة الربيع عند قوله: ومجنبات ما يذقن عدوفاً.

وإن كان يؤخذ على المرزوقي وقوفه في الإقعاد عند بحر الكامل فقط، وقد قال ابن قتيبة في البيت الثاني: "وليست هاهنا ضرورة فيحتاج الشاعر إلى أن يترك صرف معارٍ ولو قال: (يبيتُ على معارٍ فأخيراتٍ) كان الشعر موزوناً والإعراب صحيحاً، قال أبو محمد: وهكذا قرأته على أصحاب الأصمعي" (١)

فإذا ما خرجنا من المزالق التي اصطلح على تسميتها. وجدنا كثيراً من المزالق التي تحتكم إلى الذوق، وتثير جدلاً بين النقاد، حيث إن بعضهم لا يرى في كثير منها ما يستحق الوقوف أمامه، على النحو الذي يديه لنا قول الصاحب: "ثم ابتداءً (يعني أبا الفضل بن العميد) بذكر سقطات البحترى فعد ما حرت فيه، وعجزت عن استيعاب حفظه وتقصيه، فمما علق بنفسي أن أنشد قصيدته التي أولها: (الطويل)

(متى تسالي عن عهده تجديه)

حتى انتهى إلى قوله فيها:

أبا غالب بالجوذ تذكر واجبي إذا ما غني الباخلين نسيه

فإن قوله: (نسيه) مختل الإعراب بعيد من الصواب" (٢)

فقد عارض ابن رشيق من قال بوقوع الاضطراب فيه بقوله: "ولست أرى به بأساً، هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه بناء القافية، فإذا أسكن الياء وما

(١) الشعر والشعراء: ١ / ٩٩.

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: ٣٦، ٣٧.

قبلها مكسور لم تكن الهاء إلا مكسورة إتباعاً لما قبلها، لا سيما وهي طرف، وقد فعلوا مثل هذا في وسط الكلمة.. وقال رؤبة:

(كأن أيديهن بالقاع القرق)

ولم يقل أيديهن بالضم استتقلاً، وأيضاً فكأنه . أعني البحري - نوى الوقوف، ثم جر القافية كعادتهم في تحريك الساكن أبداً إلى الجر. (١)

كما أن اتحاد المخرج أو قرب مخارج الحروف كان يشكل هو الآخر ملمحاً نقدياً جيداً، وضعه نقاد الشعر في اعتبارهم، أثناء وقوفهم مع الأبيات التي أحسوا فيها بنشاز موسيقي، على النحو الذي يبدو في قول الصاحب بن عباد في قول الشاعر: (الطويل)

كريمٌ متى أمدحُه أمدحُه والورى معي ومتى ما لُمْتُه، لُمْتُه وحدي

"اعلم أن أحد ما يحتاج إليه في الشعر سلامة حروف اللفظ من الثقل، وهذا التكرير في أمدحُه، أمدحُه مع الجمع بين الحاء والهاء مرتين، وهما من حروف الحلق، خارج عن حد الاعتدال، نافر كلّ النفاذ" (٢)

فالنقد في البيت ذوقي صرف ينبع من إحساس الناقد بصعوبة نطق الحاء والهاء المتكررتين في كلمتين متتاليتين، بخاصة مع اختلاف حركة الحاء وترددها بين الفتح والسكون، وهو ما أكده صاحب معاهد التنصيص بقوله: "والشاهد فيه التنافر أيضاً، لما في قوله (أمدحه) من الثقل لقرب مخرج

(١) العمدة: ٢ / ٢٤٩.

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: ٣٤، ٣٥.

الحاء من مخرج الهاء، لأن المخارج كلما قربت كانت الألفاظ مكدودة قلقة غير مستقرة في أماكنها، وإذا بعدت كانت بعكس الأول، ولهذا لم يوجد في كلام العرب العين مع الغين، ولا مع الحاء، ولا مع الخاء، ولا الطاء مع التاء، حذراً مما مر، وأيضاً فيه ثقل من جهة التكرار في أمدحه ولمته"^(١).

بينما كان النقد ذوقياً ترشحه القاعدة في قول الصاحب بن عباد: "ومن أبياته (يعني المتنبي) السنية الجماعية قوله: (الكامل)

لعظمت حتى لو تكون أمانة ما كان مؤتمناً بها جبرين
وقلب هذه اللام إلى النون أبغض من وجه المنون، ولا أحسب جبريل -
صلى الله عليه - يرضى منه بهذا المجاز المحرم، والله عز وجل أعلم، هذا
على ما في معنى البيت من الفساد والقبح."^(٢)

فالنقد هنا كان نقداً ذوقياً رشحت له القاعدة، إذ إن "من عيوب القوافي
ترك التناسب: أن يكون الروي على حرفين متقاربين كما قال بعض العرب:
(الرجز)

بني إن البر شيء هين المنطق اللين والطعيم

وهذا من الشاذ النادر الذي لا يلتفت إليه"^(٣).

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب، ١٩٤٧م، ج ١/ ٣٧.

(٢) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: ص ٦٠.

(٣) سر الفصاحة: ص ١٨٧.

ناهيك عن أن تغيير الاسم بهذه الصورة قد ضاعف العيب في البيت، ورغم استساغة التغيير في الأسماء، إذ لم يسمع بتغيير (جبريل) إلى (جبرين)، وإنما سمع تغييرها إلى (جبرائيل)، ورغم كل هذا لا يخفى ما في حكم الصاحب من قسوة على المتنبي، أدت إلى وصم البيت كله بفساد المعنى.

ثانياً: (النقد القاعدي)

ويعنى به ذلك النقد الذي ينطلق من القاعدة في رصد مأخذه، غير خاضع للذوق الخالص، لأن الناقد فيه يكون مهموماً بالحكم النقدي الذي نصب نفسه قاضياً فيه، ومن ثم فعمل الناقد هنا إما أن ينطلق من البيت محل النقد ثم يدير حوله النقد منطلقاً من القاعدة العروضية، وهذا دأب الناقد الأدبي، أو أن يسرد القاعدة العروضية، ثم يمثل لها بالشاهد الشعري، وهذا دأب كتاب العروض.

فمن النقد الذي ينطلق من البيت ملاحظة (القبض) في بحر الطويل، على النحو الذي يبدو من قول الآمدي في (الموازنة) في بيت أبي تمام: (الطويل)

وأنت بمصرٍ غايتي وقرابتي بها، وبنو أبيك فيها بنو أبي
"وهذا من أبيات النوع الثاني من الطويل، ووزنه (فعولن مفاعيلن) وعروضه وضربه مفاعلن؛ فحذف نون فعولن من الأجزاء الثلاثة الأولى، وحذف الياء من مفاعيلن التي هي المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضاً؛ لأنه حذف خامسه، وكذلك قوله من هذا النوع: (الطويل)

كساك من الأنوار أبيض وأصفر فاقع وأحمر ساطع
فحذف النون من آخر (فعولن) كلها، وهي أربعة، وحذف الياء من
(مفاعيلن) التي في المصراع الثاني أيضاً، كما فعل في البيت قبله، ومن ذلك
قوله من هذا النوع أيضاً: (الطويل)

يقول فيسمع ويمشي فيسرع ويضرب في ذات الإله فيوجع
فحذف النون من (فعولن) الأول، والياء من (مفاعيلن) التي تليها، ومن
(فعولن) التي هي أول المصراع الثاني، وذلك كله يسمى مقبوضاً، وهو من
الزحاف الحسن الجائز، إلا أنه إذا جاء على التوالي والكثرة في البيت الواحد
قبح جداً^(١).

وواضح من الأمثلة التي ساقها الآمدي تتابع (القبض) في حشو الطويل،
سواء في (فعولن) أو (مفاعيلن)، مما أحال الزحاف وهو حسن الدخول في
البحر، إلى زحاف قبيح، غير أن هذا القبح لم يكن على درجة واحدة كما
يبدو من كلام الآمدي، فقول الشاعر:

كساك من الأنوار أبيض وأصفر فاقع وأحمر ساطع
أخف من البيتين الذين ساقهما بعد ذلك، ويؤكد ذلك قول ابن رشيق:
"ومنه أعني الزحاف ما يستحسن قليله دون كثيره، كالقبل اليسير والفالج والثلثغ
مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي لخاله أبي ذؤيب: (الطويل)

(١) الموازنة: ١ / ٣٠٦، ٣٠٧.

لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شاتمي تستحيرها
فنقص ساكناً بعد كاف سواك ؛ وهو نون (فعولن)، وهذا هو القبض،
ومن رواه (خليلاً سواك) قبض الياء من (مفاعيلن)، وهو أشد قليلاً، ومنه
يحتمل على كره، كالفدع والوكع والكرم في بعض الحسان، ومثاله في الشعر
كثير وكفأك قول امرئ القيس بن حجر: (الطويل)

وتعرف فيه من أبيه شمائلاً ومن خاله ومن يزيد ومن
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا ونائل ذا: إذا صحا وإذا سكر
فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ما عمل في معناه مثله، إلا أنه على ما
تراه من الزحاف المستكره، حكى ذلك أبو عبيدة.^(١)

فإذا ما قارنا قول ابن رشيقي بقول ابن سلام: "قال يونس: عيوب الشعر
أربعة: الزحاف، والسناد، والإقواء، والإيطاء، والإكفاء وهو الإقواء. والزحاف
أهونها وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فينكره السمع ويثقل على
اللسان، وهو في ذلك جائز، والأجزاء مختلفة فمنها ما نقصانه أخفى، ومنها
ما نقصانه أشنع قال الهذلي: (الطويل)

لعلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شاتمي تستحيرها
فهذا مزاحف في كاف (سواك) وهو خفي، ومن أنشده:

لعلك إما أم عمرو تبدلت (خليلاً سواك) شاتمي تستحيرها
فهذا أقطع، وهو جائز وهو نحو قول الفرزدق: (الطويل)

(١) العمدة: ١ / ١٣٩، ١٤٠.

فإن كان هذا الأمر في جاهلية علمت من المولى القليل حلائبه
ولو كان هذا غير دين محمد لأديته أو غصّ بالماء شاربه
مزاحف خفي، ومن قال: (لأديت أو لغصّ بالماء شاربه) فهو أفضح،
وهو أكثر من أن يعد، وكان الخليل بن أحمد يستحسنه في الشعر إذا قل في
البيت والبيتين، فإذا توالى وكثر في القصيدة سمح.^(١)

إذا ما قارنا بين القولين استبان لنا كيف سماه ابن سلام (خفياً)، لعدم
الإحساس به، أو لاستساغته في كثير من الأحيان، وكيف كان للرواية دور في
دخول الزحاف أو عدم دخوله، ووجدنا براعة ابن رشيق في الاعتماد على
تشبيه هذه العيوب ببعض العيوب الخلقية التي يقبل بعضها وينفر من الآخر.

ومن النقد الذي ينطلق من البيت أيضاً اجتماع الخبن والطبي في
المنسرح، على النحو الذي يبدو في قول الأمدي في بيت أبي تمام:

إلى المفدى أبي يزيد يضل غمر الملوك في ثمده

وهذا من النوع الأول من المنسرح، ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن
مستفعلن مفعولات مستفعلن، فحذف السين من مستفعلن الأولى ومن
مستفعلن التي هي أول المصراع الثاني فبقى متفعلن، وهذا ينقل إلى مفاعلن،
ويسمى مخبوناً؛ لأنه حذف ثانية، وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فبقى
مستعلن، فينقل إلى مفتعلن، ويقال له: مطوي؛ لأنه ذهب رابعه، وحذف الواو
من مفعولات الأولى والثانية، فصار فاعلات، ويقال له أيضاً: مطوي؛ فأفسد
البيت بكثرة الزحاف، وتقطيعه:

(١) طبقات فحول الشعراء: ١ / ٦٩، ٧٠.

إللمفد / دا أبي ي / زيد الذي يضللغم / رملوك / فيثمده
مفاعلن / فاعلاتُ / مستفعلن مفاعلن / فاعلاتُ / مُفتعلن
ثم قال في هذه القصيدة:

جَلَّة أنماره وهمداناه والشُّم من أزه ومن أده
فحذف الفاء من مستفعلن الأولى، فعادت إلى مفتعلن، وحذف الواو
من مفعولات الأولى ومفعولات الثانية فصارت فاعلات، وحذف الفاء من
مستفعلن الأخيرة فصارت مفتعلن، وتقطيعه:

جللتان / مارهيو / همدانهي وششممن أذهي و / منأده
مفتعلن / فاعلات / مستفعلن مفتعلن / فاعلات / مفتعلن
وهذه الزحافات جائزة في الشعر غير منكرة إذا قلت، فأما إذا جاءت في
بيت واحد في أكثر أجزائه فإن هذا في غاية القبح، ويكون بالكلام المنشور
أشبه منه بالشعر الموزون.

ومن هذا النوع من المنسرح قوله:

ولم يغير وجهي عن الصبغة ال أولى بمسفوع اللون ملتعمه
وتقطيعه:

ولم يغي ير / وجهي / نصصبغتل أولى بمسفوع اللون ملتعمه
مفاعلن / مفعولات / مستفعلن مستفعلن / مفعولات / مفتعلن

"فحذف السين من مستفعلن الأولى فصارت مفاعِلن وحذف الفاء من مستفعلن الأخيرة فصارت مستعلن فنقل إلى مفتعلن، ومثل هذه الأبيات في شعره كثير إذا أنت تتبعته، ولا تكاد ترى في أشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيئاً"^(١).

والظاهر أن النقد الموسيقي المحتكم إلى القاعدة كثيراً ما كان يهمل الذوق وهو يحتكم إليها، وبخاصة إذا كان الشاعر قد وافق القاعدة العروضية، ولكنه خرج على المؤلف، على النحو الذي نقف معه على بعض التجديدات الجيدة كما حدث مع الطويل والبسيط والرمل، حيث أتى بها الشاعر تامة، كما تقتضي الدائرة العروضية، على النحو الذي يبدو في قول الآمدي: "وقال (يعني أبا تمام): (البسيط)

لم تنتقض عروءٌ منه ولا قوةٌ لكن أمر بنى الآمال ينتقض
وهذا من النوع الأول من البسيط، ووزنه مستفعلن فاعِلن، وعروضه
وضربه فعلن، فزاد في عروضه وهو (فعلن) حرفاً فصار فاعِلن؛ لأنه قال (قوة)
فشدد، وذلك إنما يجب له في أصل الدائرة لا في هذا الموضع، فإن خففها
حتى تصير على وزن فعلن فيتزن البيت كان مخطئاً من طريق اللغة، ثم نقص
من فاعِلن الأول من المصراع الثاني الألف فصار فعلن، وهذا يسمى مخبوناً
لأنه حذف ثانيه."^(٢)

(١) الموازنة: ١ / ٣٠٨، ٣٠٩.

(٢) الموازنة: ١ / ٣٠٧، ٣٠٨.

وإذا كان قول الأمدى (فإن خففها) يشعر بأن الشاعر قد لجأ إلى التمام
ضرورة - فإن الثعالبي قد نسبه إلى الخطأ في بحر الطويل والخفيف في قوله
في بيت المتنبي:

تفكره علم ومنطقه حكم وباطنه دين وظاهره ظرف
حيث قال: "وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب
(مفاعيلن) في عروض الطويل غير مصرع، وإنما جاء (مفاعيلن)، قال
الصاحب: ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر
الطويل، فما نجد له على خطئه مساعداً، قال القاضي أبو الحسن: وقد
عيب أيضاً بقوله: (الرملة)

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب
لأنه أخرج الرمل على (فاعلاتن) وأجرى جميع القصيدة على ذلك في
الآيات غير المصرعة، وإنما جاء الشعر على (فاعيلن) وإن كان أصله في
الدائرة فاعلاتن"^(١).

والعجيب أن ينصرف النقد من الثعالبي والصاحب إلى تمام البحر في
بيت المتنبي، وعدم التعليق على القبض وهو كثير في البيت، على عكس قول
الهدلي السابق:

لَعَلَّكَ إِمَّا أُمَّ عَمْرٍو تَبَدَّلْتَ سِوَاكَ خَلِيلاً شَاتِمِي تَسْتَحِيرُهَا

(١) الصبح المنبى عن حيثية المتنبي: الشيخ يوسف البديعي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار
المعارف، الثالثة، ص ٣٦٦، وينظر: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، ص ٦٧، ٦٨.

فالببت المنقود كان محل اهتمام الناقد في هذا القسم كما ظهر لنا، يذكره أولاً، ثم يدير حوله نقده، كما كان يحدث في النقد الذوقي، ولكنه هنا يستند إلى القاعدة وينطلق منها في نقده وتطبيقه، ولا يؤخذ على الناقد هنا إلا القسوة المتعمدة في الحكم الذي أطلقه الصاحب على المتنبى، طالما أن أصل الدائرة يشهد للشاعر ولأمثاله، وطالما أن النسق الموسيقي للقصيدة كان جيداً ومنضبطاً.

أما النقد الذي كان ينطلق من القاعدة العروضية، فيمكن أن يمثله قول ابن رشيقي عن (الخزم): "ويأتون بالخزم - بزاي معجمة - وهو ضد الخرم - بالراء غير المعجمة - الناقص منهما ناقص نقطة، والزائد زائد نقطة، وليس الخزم عندهم بعيب؛ لأن أحدهم إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن، إذا سقط لم يفسد المعنى، ولا أحل به ولا بالوزن، وربما جاء بالحرفين والثلاثة، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف، أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه: (الوافر)

اشدد حياز يمك للموت فإن الموت لاقيكاً

ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكاً

فزاد (اشدد) بياناً للمعنى لأنه هو المراد، قال كعب بن مالك الأنصاري

يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه: (الطويل)

لقد عجبت لقوم أسلموا بعد عزهم إمامهم للمنكرات وللغدر

فزاد (لقد) على الوزن، هكذا أنشدوه، وأنشد الزجاج وزعم أصحاب
الحديث أن الجن قالته:

نحن قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
رمناه بسهمين فلم نخط فؤاده

فزاد على الوزن (نحن) وأنشد الزجاج أيضاً:

بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعاً.

فزاد (بل) وأنشد أيضاً:

يا مطر بن خارجة بن مسلم أجفى وتغلق دوني الأبواب

وإنما الوزن (مطر بن خارجة) والياء والألف زائدة..

ومما جاء فيه الخزم في أول عجز البيت وأول صدره، وهو شاذ جداً،

قول طرفة:

هل تذكرون إذ نقاتلكم إذ لا يضر معدماً عدمه

فزاد في أول صدر البيت (هل) وزاد في أول العجز (إذ) والبيت من

قصيدته المشهورة:

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه

وقال جريرة بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الأنصاري:

لقد طال إيضاعي المخدم لا أرى في الناس مثلي من معد
حتى تأوبت البيوت عشية فوضعت عنه كوره تشاءب
فاللام في (لقد) زائدة، وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم، وقالت
الخنساء:

أقذئ بعينك أم بالعين أم أوحشت إذ خلت من أهلها
فزادت ألف الاستفهام، ولو أسقطتها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً،
وروي أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس:

كأن ثبيراً في عرانيں وبله

فما بعد ذلك بالواو فيقول:

وكأن ذرى رأس المجيمر غدوة

وكأن السباع فيه غرقى عشية

معطوفاً هكذا؛ ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض^(١)

قال التنوخي: "وأما الخزم بالزاي المعجمة فهو زيادة تلحق أوائل الأبيات
ولا يختص بذلك وزن دون وزن، ولا يعتد بتلك الزيادة في تقطيع العروض.
فيزداد البيت حرفاً واحداً كقول طرفة:

أَتَذْكُرُونَ إِذْ تُقَاتِلُكُمْ إِذْ لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدْمُهُ

(١) العمدة: ١ / ١٤١. ١٤٣.

وقد يحزم بحرفين، كقول طرفة أيضاً: (١)

إِذْ أَنْتُمْ نَخْلٌ نَظِيفٌ بِهِ فَإِذَا مَا جُرَّ نَضْطَرْمَةٌ
فإذا قارنا ما قاله ابن رشيق بما قاله التنوخي - ظهر لنا أن منهج النقد هنا كان يسير حسب منهج العروضيين، من التعريف بالعيب، ثم رصد صورته، بحيث يأتي البيت محل النقد كالشاهد النحوي الذي يؤتى به تدليلاً على القاعدة، دون محاولة لتفسير مجيء هذا العيب أو قياسه على أمثاله.

والواضح من كلام النقاد هنا أن الزيادة تكاد تكون محصورة في أدوات التأكيد أو الاستفهام أو النداء، فأما الاستفهام والنداء فنظن أنهما أصل في لجوء العربي إلى الخزم، إذ كثيراً ما كان العربي يستعيض عنها بنبرة الصوت، فظن من ليس خبيراً بالعروض أن الأداة التي قبل البيت جزء منه، أو أن هذه الزيادة لم يكن مصدرها الشاعر وإنما الراوي، وقد نسب أبو العلاء المعري هذا المذهب إلى البغداديين حيث قال: "والضرب الآخر حدث مع الضرورة، وهو على أنواع: منه ما زيد للحاجة إليه فعرف مكان زيادته وثقل على الناهض بشؤونه، فمثله مثل ألف الاستفهام وواو العطف وفائه وغيرها من الحروف الفاردة تزداد على الأبيات التامة وهي غنية عنها، ليعلم أنها استفهام أو معطوفة على ما قبلها من الأبيات، وقد حكى محمد بن يزيد المبرد في كتاب التعازي أن بعض الرواة ينشد قول الخنساء بزيادة ألف الاستفهام، يعني قولها:

(١) القوافي للتنوخي: ص ٧٩ - ٨٢.

أَقْدَى بِعَيْنِكَ أَمَّ بِالْعَيْنِ أَمَّ ذَرَفَتْ أَنْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا
والبغداديون الآن ينشدون كثيراً من أبيات (قفا نبك) التي في أوائلها
(كأن) بزيادة واو العطف، وهو شيء أخذوه عن الشيوخ الماضين، فيقولون:

وَكأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ بِنَحْرِهِ

وَكأَنَّ ذُرّاً رَأْسِ الْمَجِيْمِرِ غُدُوَّةً

ولا أستحسن ذلك، ولا أزعم أنه يفعله إلا قوم لا يحفلون بإقامة الوزن.
وقد حكى أنهم ربما خزموا بالحرفين مثل: هل، وبل، وقد ادعى على (طرفة)
أنه خزم النصف الأول والثاني فقال في قصيدته التي أولها:

أَشْجَاكَ الرَّبْعُ أَمَّ قَدْمُهُ أَمَّ رَمَادُ دَارِسُ حُمْمُهُ

هل تذكرون إذ نُقْتُكُمْ إذ لا يضُرُّ مُعْدِمًا عَدْمُهُ

فخزم الأول بهل، والثاني ياذ، وإنما تقويم الوزن أن يقال:

تذكرون إذ نُقْتُكُمْ لا يضُرُّ مُعْدِمًا عَدْمُهُ

وكذلك ينشده البغداديون اليوم، والرواية الأخرى معروفة^(١).

ورغم أن ابن رشيق قد نقل ما يؤكد مذهب أبي العلاء، مع التعليل
الصوتي الجيد له، حيث قال: "وقال عبدالكريم بن إبراهيم: مذهبهم في
الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف

(١) رسالة الصاهل والشاحج: ص ٤٧٥، ٤٧٦.

التي تعطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة، وأخذ الخزم من خزامة الناقة، ومن شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخزم الذي يحدفونه من أول البيت، وقد قال غيره: إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكتة؛ فلذلك جعلوه في الوتد المجموع؛ لأن المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً، ولا يتبدأ بالساكن، فيسقط أيضاً، والسكتة لا تحتمل عندهم إلا حرفاً واحداً^(١).

أقول، رغم كل ذلك يبقى لأبي العلاء فضل الدفاع عن الصورة الأولى التي ترك عليها الشاعر أبياته، ونسبة الصورة المخزومة الى الرواة، واستنكار هذا الفعل موسيقياً، بينما فهم من كلام ابن رشيق أن الشاعر هو الذي فعل، على ما يبدو من قوله: (فزاد في أول صدر البيت "هل")، (فزادت ألف الاستفهام) وغير ذلك.

(١) العمدة: /١٤٣.

المبحث الثالث

قضايا نقدية

أولاً: تعدد المصطلح

من القضايا النقدية التي صاحبت النقد الموسيقي قضية تعدد المصطلح واختلاطه، وهو أمر يوحى ظاهره باضطراب النقد العربي أمام تفسير المزالق الموسيقية التي كان يقع فيها الشعراء، ولكن النظرة المتأنية تثبت لنا أن ذلك التعدد كان مرجعه إلى اختلاف الاعتبارات التي ينطلق منها الناقد، حتى لو كان منطلقاً تشبيهاً، مثلما حدث في باب التخليع الذي سماه الأخفش من قبل بالرمل أو التحريد.

فإذا ما وقفنا على مصطلح (التضمين) الذي تناوله النقاد تحت مسميات (التضمين/ المجاز/ الإغرام/ الإدماج) - اتضح لنا أن نظرة النقاد إلى التضمين قد سيطر عليها اهتمامهم بوحدة البيت، وتفضيل البيت السائر الذي لا يحتاج إلى قران، فإذا نظرنا- مثلاً - إلى التضمين الذي عني به العروضيون "أن لا تستقل الكلمة التي هي القافية بالمعنى حتى تكون موصولة بما في أول البيت الثاني؛ وذلك مثل قول النابغة الذبياني:

وهم وردوا الجفار على تميم وهم أصحاب يوم عكاظ أني

شهدت لهم مواطن أتيتهم بنصح الود مني^(١)

وعرفنا كيف كان ينظر إليه على أنه عيب من العيوب، ثم وقفنا بعد ذلك على بعض التطورات التي أحدثها الشعراء على هذا اللون، كالذي رواه ابن

(١) سر الفصاحة: ص ١٨٧.

سنان الخفاجي في قوله: ومن عيوب القوافي أن يتم البيت ولا تتم الكلمة التي منها القافية حتى يكون تمامها في البيت الثاني مثل أبيات كتبها إلى الشيخ أبو العلاء بن سليمان في بعض كتبه، وحكى أن أبا العباس المبرد ذكرها في كتابه الموضوع في القوافي، وسمى هذا الجنس من عيوب القافية (المجاز) والأبيات:

شبيهه بابن يعقوب ولكن لم يكن يو
سف يشرب الخمر ولا يزني ولا يو
سع بالامواه القهوة مزجاً لم يكن دو
ن في صبح وإمساء وهذا منكر يو
شك الرحمن أن يصلية في نار خزي هو
لها أهل فلا يكشف عنه ربنا السو
فإن الأخضر الإبطين ذا الفحشاء لا يو
قد النار لأضياف لوو قيل له ذو
دنانير وأموال فيارحمن لا تو
سع الرزق على هذا الذي منظره لو
لو والفعل ستوق فوزن الريش لا يو^(١)

(١) سر الفصاحة: ص ١٨٦.

إذا وقفنا على هذه التطورات أدركنا كيف يمكن الاطمئنان إلى الطبع في تحديد العيب في الأبيات، لأن الطبع هو الذي يدلنا على عدم استساغة ما رواه الباقلاني في قوله: (١)

رب أخ كنت به مغتبطاً أشد كفى بعرا صحبته
تمسكاً منى بالود ولا أحسبه يزهّد في ذي أمل
تمسكاً منى بالود ولا أحسبه يُغيّر العهد ولا
يحول عنه أبداً فخاب فيه أملي

ليس لأن الأبيات قد خرجت عن الميزان كما رأى الرجل بقوله: "من سبيل الموزون من الكلام أن تتساوى أجزاؤه في الطول والقصر، والسواكن والحركات، فإن خرج عن ذلك لم يكن موزوناً" (٢)، ولكن لأنها أرهقت

(١) إعجاز القرآن للباقلاني: (أبو بكر محمد بن الطيب) تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف الخامسة، ١٩٨١م، ص ٥٦، ونسبها الصحاح بن عباد لابن دريد، وأورد منها عدة أبيات بعد هذه الأبيات، ينظر: الإقناع في العروض وتخريج القوافي ص ١٥، ويمكن أن يكون البيت فيها مكوناً من ست عشرة تفعيلية على روي الدال، مقسمة على النحو التالي:
رُب أخ/ كنت به/ مغتبطاً/ أشد كفاي/ بعري/ صحبته/ تمسكاً مني بال/ ودّ ولا/
أعهد/ يغيّر الـ/ ودّ ولا/ يحول عند/ به أبداً/ ما ضمّ رو/ حي جسدي.
فانقلب الـ/ دهر به/ فرمّت أن/ أصلح ما/ أفسد فاسد/ تعصيت أن/ يأتي طو/ عاً فتأذّ/
يت أرجح/ به فلمّـ/ لا لِحّـ في الـ/ غيّ إبا/ ء ومضى/ مرتكباً/ غسلت إذ/ ذاك يدي.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني: ص ٥٦.

المتذوق في البحث عن وقفة، يلتقط معها بعض أنفاسه، ويستروح فيها
عذوبة الشعر دون جدوى.

وأظن أن هذا العيب بعيد عن العروض، اللهم إلا في الأبيات التي رواها
ابن سنان الخفاجي، ولعل هذا هو ما دعا المبرد إلى تسميته هناك مجازاً،
وكأن وقفات الشاعر كانت وقفات مجازية، يجوز للشاعر أن يضرب الصفح
عنها، في حين تبدو إشارة التنوخي إلى قرب التضمين والإغرام في أصل اللغة
الذي يعني شدة الملازمة - إشارة جيدة، حيث حدد العيب بأنه "تمام وزن
البيت قبل تمام المعنى، كقول النابغة:

هم وَرَدُوا الجفار على تَمِيمٍ وهم أصحابُ يومِ عُكاظِ إني
شهدتُ لهم مَواطنٍ يَخَيِّرُهُمُ بِنُصْحِ الصَّدرِ مِنِي
وبعض الناس يسمي هذا (إغراماً)، ويجعل التضمين مثل قوله:

أَمَويِّ إِنْ يُصْبِحَ صَدَايَ بِقُفْرَةٍ مِنْ الأَرْضِ لا مَاءٌ لَدَيَّ وَلا خَمْرُ
تَرى أَنَّ ما أَمَلَلْتُ لَمْ يَلِكُ وَأَنَّ يَدِي مِمَّا عَلَّقْتُ بِهِ صِفْرُ

ومعنى التضمين والإغرام عائد إلى شيء واحد في اللغة، كما تقول:
ضمنتك كذا وأغرمتك إياه. ويكون معناهما ألزمتك إياه، فكأن الشاعر قد ألزم
البيت الثاني في إتمام الحال ومن ذلك سمي الغريم غريماً لملازمته، قال
تعالى: "إن عذابها كان غراماً"^(١).

(١) القوافي للتنوخي، ص ٢٠٣، وكلمة (الإغرام) مصحفة في الأصل.

وتعريف ابن الدهان يمكن أن يضع حلولاً جيدة لبعض الإشكالات التي صاحبت هذا المصطلح، إذ إن هذا المصطلح ينطوي على شقين: أحدهما يتعلق بصدر البيت في تعلقه بالبيت الذي يليه، والآخر يتعلق بعجز البيت حال تعلقه بالبيت الذي يليه، يقول ابن الدهان: "التضمين ألا يقوم معنى البيت بنفسه حتى يؤتى بما بعده، وبعضه أحسن من بعض، وسمي تضميناً لأن كل واحد من البيتين مضمن بصاحبه محتاج إليه، فإن كان التضمين في أول البيت كان أحسن منه إذا كان في القافية، وذلك نحو قوله^(١)"

كَأَنَّ الْمُدَامَ وَصَوَّبَ الْعَمَامَ وَرِيحَ الْخُزَامِي وَنَشَرَ الْقَطْرَ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا طَرَّبَ الطَّائِرُ الْمَسْتَحِرَّ

ومثال الثاني:

وهم وَرَدُوا الجفار على تَمِيم وهم أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظِ إني
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ تُنَبِّئُهُمْ بِوَدِّ الصَّدرِ مِنِّي^(٢)

وقد لاحظ ابن الدهان وغيره ملمح دخول البيت الأول في الثاني فشقوا له اسماً يوافق هذا الملمح فسموه الإدماج، يقول ابن الدهان: "والإدماج: أن

(١) لامرئ القيس في ديوانه، طبعة دار صادر، ص ١١٠.

(٢) الفصول في القوافي لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان النحوي، تحقيق: د. صالح بن حسين العايد، دار اشبيلية، الثانية، ١٤١٨هـ، ص ٩٣، ٩٤. وقد ذهب إلى ذلك ابن عبد ربه أيضاً حيث يقول: "وأما المضمن فهو أن لا تكون القافية مُسْتَعْنِيَةً عن البيت الذي يليها، نحو قول الشاعر:

وهم وَرَدُوا الجفار على تَمِيم وهم أَصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظِ إني
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَالِحَاتٍ تُنَبِّئُهُمْ بِوَدِّ الصَّدرِ مِنِّي"

وهذا قبيح، لأن البيت الأول متعلق بالبيت الثاني لا يستغني عنه، وهو كثير في الشعر. ينظر: العقد الفريد: ٤٨٣/٥.

يكون بعض الكلمة في آخر البيت، وبعضها الآخر في أول البيت الآخر،
وسمي إدماجاً من اندمجت في الموضوع إذا دخلت فيه، فكأن البيت الثاني
لتعلقه بالأول داخل في جملته، وذلك كقوله:

فليس المال فاعلمه بمال وإن أغناك إلا للذي
يريد به العلاء ويصطفيه لأقرب أقربيه وللقصيّ^(١)

وهذا الإدماج قريب من القسم الثاني الذي أشار إليه ابن الدهان في
التضمين، في حين ذهب ابن رشيق والسهيلي إلى أن المدمج والمداخل شيء
آخر غير الذي ذهب إليه ابن الدهان، يتعلق بارتباط شطري البيت بعضهما
ببعض، وهو ما عرف حديثاً بالتدوير^(٢) يقول ابن رشيق: "والمداخل من
الآبيات ما كان قسمه متصلاً بالآخر غير منفصل منه، وقد جمعتهما كلمة
واحدة، وهو المدمج أيضاً"^(٣).

ويقول السهيلي معلقاً على قول بحير بن زهير بن أبي سلمى يوم الفتح:

ضربناهم بمكة يوم فتح النبي الخير بالبيض

"في البيت مداخلة، وهو انتهاء القسم الأول في بعض كلمة من القسم
الثاني، وهو عيب عندهم إلا في الخفيف والهجج"^(٤).

(١) الفصول في القوافي: ص ٩٤، ٩٥.

(٢) ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين، الخامسة، ص ١١٣، ١١٤،
ودير الملاك: محسن أطيّمش، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، ١٩٨٢م، ص ٣٠٦،
وسايكولوجية الشعر: نازك الملائكة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠، ص ١٥٤.

(٣) العمدة: ١ / ١٧٧.

(٤) الروض الأنف: للسهيلي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، ١١٩ / ٤،
وينظر: العمدة ١ / ١٧٨.

وإذا ما وقفنا على مصطلح (الإقواء) وجدنا من يسميه (الإقواء، أو الإكفاء، أو التجميع) نتيجة لاختلاف الاعتبارات التي ينطلق منها الناقد في التسمية، فقد ظن بعض النقاد أن الإقواء خاص به فسموه (إقواء) رجوعاً إلى الأصل اللغوي الذي اشتق منه الإقواء يقول ابن قتيبة: "قال أبو محمد: كان أبو عمرو بن العلاء يذكر أن الإقواء: هو اختلاف الإعراب في القوافي، وذلك أن تكون قافية مرفوعةً وأخرى مخفوضةً، كقول النابغة:

قالت بُنو عامرٍ خالُوا بني أسدٍ يا بُؤس للجهلِ ضرَّاراً لأقوامِ

وقال فيها:

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَا النَّوْرُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

وكان يقال إن النابغة الذبياني وبشر بن أبي خازم كانا يقويان، فأما النابغة فدخل يثرب فغنى بشعره ففطن فلم يعد للإقواء.

وبعض الناس يسمي هذا الإكفاء ويزعم أن الإقواء نقصان حرف من فاصلة البيت، كقول حجل بن نضلة، وكان أسر بنت عمرو ابن كلثوم وركب بها المفاوز، واسمها النوار:

حَنَّتْ نَوَاژُ وَلَا تَ هَنَّا وَبَدَا الَّذِي كَانَتْ نَوَاژُ أَجْنَتْ

لَمَّا رَأَتْ مَاءَ السَّلَا وَالْفَرْثَ يُعَصِّرُ فِي الْإِنَاءِ أَرْنَتْ

سمي إقواءً لأنه نقص من عروضه قوة، وكان يستوي البيت بأن تقول (متشرباً) يقال أقوى فلانُ الحبل إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى، وهو حبلٌ قوٍ، مثل قول حميد:

إِنِّي كَبْرْتُ وَإِنَّ كُلَّ كَبِيرٍ مِمَّا يُضَنُّ بِهِ يَمَلُّ وَيَفْتُرُ

وكقول الربيع بن زياد:

أَفْبَعَدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

ولو كان بن زهيرة لاستوى البيت. (١)

فاختلاف إعراب القوافي بالرفع والجر وهو ما عرف بالإقواء سماه البعض بالإكفاء، في الوقت الذي ذهب فيه إلى أن الإقواء نقص حرف من فاصلة البيت، كما نقص عروض البيت الثاني من قول حجل بن نضلة . هذا النقص الذي جعل إحدى قوى البيت أغلظ من الأخرى، كما يفعل بالحبل، ومن ثم فهو إقواء قياساً على الأصل اللغوي، وإن كانت التسمية به ضعيفة، على ما يفهم من قول ابن قتيبة: (ويزعم)، وإن كان يؤخذ على ابن قتيبة عدم التصريح بالإقواء كما قال في الإكفاء.

كما لوحظ في الإقواء شطري البيت في مطلع القصيدة قياساً على ما عرف عند العروضيين بالتصريع، فوجدنا من النقاد من يسمي تهئية الشاعر للتصريع في شطر البيت الأول ثم العدول عنه بعد ذلك (التجميع)، على ما يبدو من قول ابن رشيق: "ومن ابتداء القصائد التجميع، وهو: أن يكون القسم الأول متهيئاً للتصريع بقافية ما، فيأتي تمام البيت بقافية على خلافها كقول جميل:

(١) الشعر والشعراء: ١ / ٩٥، ٩٦.

يا بشن إنك قد ملكت وخذي بحظك من كريم واصل
فتهيات القافية على الحاء، ثم صرفها إلى اللام، ومثله قول حميد بن
ثور الهاللي:

سل الربع أتى يمت أم سالم؟ وهل عادة للربع أن يتكلما؟!
فتهيات له قافية مؤسسة لو شاء، ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة،
ويروى أم أسلم فخرج عن التجميع، ومن أشد التجميع قول النابغة الذبياني:

جزى الله عبساً عبس آل بغيضٍ جزاء الكلاب العاويات وقد
وإنما التجميع فيما شابه الإطلاق، أو قارب ذلك، كقول جميل فيما
تقدم وقول حميد، وهو الإكفاء والسناد وفي القوافي، إلا أنه دونهما في
الكراهية جداً.. وإذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمسور الداخل من غير
باب.

ومن الشعر غير المصرع ما لا يجوز أن يظن تجميعاً، وذلك نحو قول
ذي الرمة واسمه غيلان بن عقبة:

أأن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك
لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة، ولا مستعمل مثلها، وإن كان
استعمالها جائزاً لو وقع.^(١)

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ١٧٧، ١٧٨.

ولكن قول ابن رشيقي: ومن أشد التجميع قول النابغة:

جزى الله عبساً عبس آل جزاء الكلاب العاويات وقد

يجعلنا على يقين من وقوعه في الخلط بين التجميع والإقعاد، لمراعاة التصريح في كل، حيث يقول في موضع آخر: "ومن التزحيف في الأوساط الإقعاد، وهو أن تذهب مثلاً نون (متفاعلن) أو (مستفعلن) في عروض الضرب الثاني من الكامل، وتسكن اللام، فيصير عروضه كضربه (فعلاتن) أو (مفعولن)، كما قال الشاعر، وهذا هو القطع عند أصحاب القوافي:

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ رُهَيْيْرِ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

فجاء هذا على معنى التصريح وليس به، فهو عيب، وأقبح منه قول الآخر:

إنى كبرت وإن كل كبير مما يضمن به على ويقتر لأنه أتى بالعروض دون الضرب بحرف، لا لتوهم تصريح ولا إشكال، وإنما نذكر مثل هذا ليجتنب إذا عرف قبحه، وجاء منه في الطويل قول النابغة الذبياني: (١)

جزى الله عبساً عبس آل جزاء الكلاب العاويات وقد

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١/١٤٣، ١٤٤.

علماء بأن التجميع إنما يرجع الى القافية، بينما يرجع الإقعاد إلى مراعاة الوزن، يقول قدامة: "التجميع: وهو أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روى متهيئ لأن تكون قافية آخر البيت بحسبه، فتأتي بخلافه، مثل ما قال عمرو بن شأس:

تذكرت ليلي، لات حين اذكارها وقد حني الأصلاب، ضالاً بتضلال
ومثل قول الشماخ:

لمن منزل عاف ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين
ومن عيوب القوافي: أن تكون قافية المصراع الأول من البيت الأول على روي ينبئ أن تكون قافية آخر البيت بحسبه فيأتي بخلافه كقول عمرو بن شأس:

تذكرت ليلي لات حين اذكارها وقد حنى الأضلاع بتضلال
فلما قال: اذكارها أو هم أن الروي حرف الراء بوصل وخروج وردف قبله ثم جاء بالقافية على اللام، كذلك قول الشماخ:

لمن منزل عاف ورسم منازل عفت بعد عهد العاهدين
وقد سمي هذا الفن: التجميع، وهو على كل حال من أسهل عيوب القوافي وأقربها إلى الجواز والصحة.^(٢)

(١) نقد الشعر: ص ١٨٥.

(٢) سر الفصاحة: ص ١٨٧، ١٨٨.

كما وجدنا من النقاد من يسمي (الإكفاء) بـ (الإجازة) ناسباً للتسمية إلى الزعم أيضاً، على ما يبدو من قول ابن عبد ربه: "وزعم يونس أن الإكفاء عند العرب هو الإقواء. وبعضهم يجعله تبديل القوافي، مثل أن يأتي بالعين مع الغين لشبههما في الهجاء، وبالبدال مع الطاء، لتقارب مخرجيهما، ويحتج بقول الشاعر:

جارية من ضبة بن أد كأنها في دِرْعها المنعط

والخليل يُسمى هذا الإجازة، وأبو عمرو يقول: الإقواء: اختلاف إعراب القوافي بالكسر، والضم، والفتح. وكذلك هو عند يونس وسيبويه.^(١)

والمسوغ في الإطلاق هنا هو وقوع التغيير في القافية حتى مع تقارب مخرج الروي فيها لأن أحد حرفي الروي أقوى في الصفة من الآخر، كما في الطاء والبدال، أو أقرب في المخرج، كما في العين والغين، وهو الأمر الذي جعل ابن سلام هو الآخر يسوي بين الإقواء والإكفاء بقوله: "والإقواء هو الإكفاء، مهموز وهو أن يختلف إعراب القوافي، فتكون قافية مرفوعة، وأخرى مخفوضة أو منصوبة، وهو في شعر الأعراب كثير، ودون الفحول من الشعراء، ولا يجوز لمولد لأنهم قد عرفوا عيبه، والبدوي لا يأبه له فهو أعذر.

فقلت ليونس: أكان عبيدالله بن الحرّ يقوي؟ قال: الإقواء خير منه، يعني من فوقه من الشعراء يقوى، غير أن الفحول قد استجازوا في موضع نحو قول جرير:

(١) العقد الفريد: ٥ / ٤٨٢.

عَرِينٌ مِنْ عُرَيْنَةَ لَيْسَ مَنَّا بَرءْتُ إِلَى عُرَيْنَةَ مِنْ عَرِينِ
عَرَفْنَا جَعْفَرًا وَبَنِي عُبَيْدٍ وَأُنْكَرْنَا زَعَانِفَ آخَرِينَ
وَقَالَ سَحِيمُ بْنُ وَثِيلٍ:

عَدَرْتُ الْبُزْلَ إِنْ هِيَ خَاطَرْتَنِي فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنِ اللَّبُونِ
وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ
فموضع هذه الأبيات له ولجربير، النصب، ولكنه كأنه سكت عند
القافية. (١)

وقول ابن سلام الأخير يوحي بأن الإقواء الذي يقوم على اختلاف
إعراب القوافي يمكن الخروج منه بالسكت أو التقييد، وهو أمر قد صدر حتى
من الفحول.

ثانياً: التعليل

اصطحب النقاد في رحلتهم النقدية كثيراً من المعاني اللغوية التي تساعد
في فهم المصطلح العروضي، وتسهم في تصويره وتقريبه للأذهان، مما جعل
تعليلاتهم للمصطلح تسير في اتجاهين أساسيين، فهي إما تعليلات لتسويغ
وقوع الشاعر في بعض المزالق الموسيقية، أو تعليلات جيدة لتسمية العيب أو
المصطلح ذاته، من خلال الاستناد إلى الأصل اللغوي الذي اشتق منه اسم
العيب في لغة العرب.

(١) طبقات فحول الشعراء: ١ / ٧١، ٧٢.

ففي الصورة الأولى نقف مثلاً على تعليل ابن رشيق لوقوع الخزم بقوله:
 "وقال عبدالكريم بن إبراهيم: مذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق بما
 بعده وصلوه بتلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم
 والفعل على الفعل والجملة على الجملة، وأخذ الخزم من خزيمة الناقة، ومن
 شأنهم مد الصوت فجعلوه عوضاً من الخزم الذي يحذفونه من أول البيت،
 وقد قال غيره: إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكته؛ فلذلك جعلوه في
 الوند المجموع؛ لأن المفروق لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً، ولا
 يتبدأ بالساكن، فيسقط أيضاً، والسكته لا تحتمل عندهم إلا حرفاً واحداً؛
 وهذا اعتلال مليح بين جدّاً." (١)

كما نقف على فلسفة التصريح في قول ابن سنان الخفاجي: "والذي
 أراه أن التصريح يحسن في أول القصيدة ليميز بين الابتداء وغيره ويفهم قبل
 تمام البيت روي القصيدة وقافيتها، ولذلك قال أبو تمام:

..... وإنما يروك بيت الشعر حين يصرع

... فإن قال لنا قائل: كيف يكون التصريح وغيره من الأصناف التي
 أشرت إليها حسناً إذا قل وإن كثر لم يكن حسناً قيل له: هذا غير مستنكر ولا
 مستطرف وله أشباه كثيرة، فإن الخال يحسن في بعض الوجوه ولو كان في
 ذلك الوجه عدة خيلان لكان قبيحاً، ويكون في بعض النقوش يسير من سواد
 أو حمرة أو غيرهما من الألوان فيحسن ذلك المزاج والنقش بذلك القدر من

(١) العمدة: ١ / ١٤٣.

اللون، فإن زاد لم يكن حسناً، وتستحسن غرة الفرس وهي قدر مخصوص فإن كان وجهه كله أبيض أو زاد ذلك القدر من البياض لم يحسن، وأشباه هذا أكثر من أن يحصى، والعلة فيه أنه إنما كان حسناً بالإضافة إلى غيره، وقد ترك التصريح جماعة من الشعراء المتقدمين والمحدثين في أول القصيدة، كما ابتداء ابن أحمر قصيدته، فقال:

قد بكرت عاذلتي بكرة تزعم أنني بالصبا مشتهر

فلم يصرع ثم قال من بعده:

بل ودعيني طفل أنى بكر فقد دنا الصبح فما انتظر

وربما أخل الشاعر بالتصريح في جميع القصيدة^(١)

وتعليل ابن سنان الخفاجي تعليل جيد لولا إهماله النص على حكم وقوع التصريح في غير الابتداء، وهو ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: "وسبب التصريح مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منشور، ولذلك وقع في أول الشعر، وربما صرع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذ بالتصريح إخباراً بذلك وتنبهاً عليه، وقد كثر استعمالهم هذا حتى

(١) سر الفصاحة: ص ١٨٩، ١٩٠.

صرعوا في غير موضع تصريح، وهو دليل على قوة الطبع، وكثرة المادة، إلا أنه إذا كثر في القصيدة دل على التكلف"^(١)

وكل هذا يجعلنا نقدر تعليل ابن سلام الجيد لقبول الزحاف في القصيدة في قوله: "فإن قيل: كيف يستحسن منه شيء وقد قيل هو عيب؟ قال: يكون هذا مثل القبل والحول واللثغ في الجارية، قد يشتهي القليل منه الخفيف، وهو إن كثر عند رجل في جوار، أو اشتد في جارية، هجن وسمح. والواضح في الخيل يستطرف ويشتهي خفيفه، مثل الغرة والتحجيل، فإذا كثر وفشا كانت هجنة ووهناً. وخفيف البلق يُحتمل في الخيل"^(٢).

وفي الصورة الثانية نجد تعليل التسمية مصدر اهتمام كثير من كتاب العروض العربي كالتبريزي وابن الدهان وغيرهم، ويأتي تعليل التسمية مصاحباً لتعريف المصطلح أو سابقاً عليه، تأكيداً على قول ابن الأعرابي: إن "الأسماء كلها لعلّة خصّت العرب ما خصّت منها، من العلل ما نعلمه ومنها ما نجهله،.. فإن قال قائل: لأي علة سمي الرجل رجلاً والمرأة امرأة والمؤصل الموصل ودعد دعداً؟ قلنا: لعلل علمتها العرب وجعلناها أو بعضها، فلم تزل عن العرب حكمة العلم بما لحقنا من غموض العلة وصعوبة الاستخراج علينا"^(٣).

(١) العمدة: ١ / ١٧٤.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١ / ٧٠.

(٣) المزهر للسيوطي، دار الفكر، ١ / ٤٠٠.

فالتبريزي مثلاً عندما يقف على مصطلح الوقص يقول: "والموقوص ما سكن ثانيه بعد سكونه، وهو (مفاعلن) في الكامل، وأصل الوقص في اللغة أن يسقط الرجل من دابته فتندق عنقه، فلما كان الحرف الثاني متحركاً في الأصل وأسقط وكان قريباً من الأول شبه بمن تندق عنقه"^(١).

وابن الدهان عندما يقف على مصطلح (الإيطاء) يقول: "والإيطاء هو: رد كلمة بلفظها ومعناها، وكلما تباعد كان أحسن، وسمي إيطاء من وطيء الإنسان في طريقه على إثر وطء قبله، فيعيد الوطاء على ذلك الموضع، فكذلك إعادة القافية"^(٢).

ويبدو التركيز على التشبيه في التسمية العروضية - كما سبق - ملمحاً جيداً في نظرة العروضيين إلى المصطلح العروضي، حتى وإن لم يصرح فيه بالتشبيه أحياناً، على النحو الذي يبدو في قول المظفر بن الفضل: "وقال الخليل بن أحمد: رتَّبْتُ البيت من الشعر ترتيب البيت من الشَّعر يريد الخباء، قال: فسَمَّيْتُ الإقواء ما جاء من المرفوع في الشُّعر والمخفوض على قافية واحدة، وإنما سَمَّيْتُهُ إقواءً لمخالفته، لأن العرب تقول: أقوى الفاتلُ إذا جاءت قوَّة من الحبل تخالفُ سائر القوَى، قال: وسَمَّيْتُ تَعْيُرَ ما قبل حرفِ الرويِّ سناداً، من مساندة بيت الى بيت إذا كان كلُّ واحدٍ منهما مُلقى على صاحبه، ليس هو مستويّاً كهذا، قال: وسَمَّيْتُ الإكفاء ما اضطرب حرفُ رويِّه

(١) كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٢م، ص ٦٤.

(٢) الفصول في القوافي: ص ٨٧.

فجاء مرةً نوناً ومرةً ميماً ومرةً لاماً، وتفعل العرب ذلك لثُربٍ مَخْرَجِ الميم من النون، كقوله:

بناتٌ وطَّاءٍ على حدِّ الليلِ لا يشتكينَ ألماً ما انقنينِ
مأخوذ من قولهم: بيت مُكفأ إذا اختلفت شقافه التي في مؤخره،
والكفاء: الشقة في مؤخر البيت، والإيطاء ردُّ القافية مرتين كقوله:

ويُخزريك يا ابنَ القَيْنِ أيامُ وعمرو بنُ عمرو إذ دعا يالَ دارِمِ
أوطأ قافيةً على قافيةٍ سماهُ إيطاء.

وأما التَّضمين فهو أن يُبنى البيتُ على كلامٍ يكون معناه في بيت يتلوهُ
من بعده مُقتضياً له كقول الشاعر:

وسعدُ فسائلُهُم والرَّبابُ وسائلُ هوازنَ عنَّ إذا ما
لَقيناهُم كيف تعلوهُم بواثرُ يَقرينَ بيضاً وهاما^(١)

أما نظرة اللغويين فيبدو التركيز فيها على أصل الإطلاق عند العرب،
فملمح التسمية في الرجز - مثلاً - يرجع إلى تشبيهه بداء يصيب الإبل، على
ما يبدو من قول الفيروز آبادي: "وبالتحريك ضَرَبٌ من الشُّعْرِ، وزُنُهُ مُسْتَفْعَلُنْ
سِتَّ مَرَّاتٍ، سُمِّي لِتَقَارُبِ أَجْزَائِهِ، وَقَلَّةِ حُرُوفِهِ. وَزَعَمَ الحَليُّ أَنَّهُ لَيْسَ بِشُعْرٍ،
وَإِنَّمَا هُوَ أَنْصَافُ أَيْبَاتٍ وَأَثَلَاتٌ. وَالْأَرْجُوزَةُ القَصِيدَةُ مِنْهُ جِ أَرَاجِيزُ، وَقَدْ رَجَزَ

(١) نضرة الإغريض: ص ٢٥٣. ٢٥٤.

وَأَرْجَزَ وَرَجَزَ بِهِ وَرَجَزَهُ أَنْشَدَهُ أَرْجُوزَةً، وَدَاءٌ يُصِيبُ الْإِبِلَ فِي أَعْجَازِهَا، وَهُوَ أَرْجَزٌ، وَهِيَ رَجْزَاءٌ. (١)

وقول ابن منظور: "الرَّجَزُ: داء يصيب الإبل في أعجازها. والرَّجَزُ: أن تضطرب رجلُ البعير أو فخذه إذا أراد القيام أو ثار ساعةً ثم تنبسط. والرَّجَزُ: ارتعادٌ يصيب البعير والناقة في أفخادهما ومؤخرهما عند القيام وقد رَجَزَ رَجْزاً وهو أَرْجَزٌ والأُنثى رَجْزاءٌ وقيل: ناقة رَجْزاءٌ ضعيفة العَجْزِ إذا نهضت من مَبْرَكِهَا لَمْ تَسْتَقِلَّ إِلَّا بَعْدَ نَهْضَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ يَهْجُو الْحَكَمَ بْنَ مَرْوَانَ بْنِ زُبَاعٍ:

هَمَمْتَ بخير ثم قَصَّرْتُ كما ناءتِ الرَّجْزَاءُ شُدًّا
... كما أن الرَّجْزَاءَ أَرَادَتِ التُّهُوضَ فَلَمْ تَكُدْ تَنْهَضُ إِلَّا بَعْدَ ارْتِعَادٍ شَدِيدٍ
ومنه سمي الرَّجْزُ مِنَ الشَّعْرِ لِتَقَارُبِ أَجْزَائِهِ وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقٍ.
إنما سمي الرَّجْزُ رَجْزاً لِأَنَّهُ تَتَوَالَى فِيهِ فِي أَوَّلِهِ حَرَكَةٌ وَسُكُونٌ ثُمَّ حَرَكَةٌ وَسُكُونٌ
إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ أَجْزَاؤُهُ يَشْبَهُ بِالرَّجْزِ فِي رِجْلِ النَّاقَةِ وَرِعْدَتِهَا وَهُوَ أَنْ تَتَحَرَّكَ
وَتَسْكُنَ ثُمَّ تَتَحَرَّكَ وَتَسْكُنَ وَقِيلَ: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاضْطِرَابِ أَجْزَائِهِ وَتَقَارِبِهَا
وقيل: لِأَنَّهُ صَدُورٌ بِلَا أَعْجَازٍ وَقَالَ ابْنُ جَنِيٍّ: كُلُّ شَعْرٍ تَرَكِبُ تَرْكِيبَ الرَّجْزِ
سُمِّيَ رَجْزاً وَقَالَ الْأَخْفَشُ مَرَّةً: الرَّجْزُ عِنْدَ الْعَرَبِ كُلِّ مَا كَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ
وَهُوَ الَّذِي يَتَرْتَمُونَ بِهِ فِي عَمَلِهِمْ وَسَوْفِهِمْ وَيَحْدُونَ بِهِ قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ: وَقَدْ
رَوَى بَعْضُ مَنْ أَثْبَقَ بِهِ نَحْوَ هَذَا عَنِ الْخَلِيلِ قَالَ ابْنُ جَنِيٍّ: لَمْ يَحْتَفِلِ الْأَخْفَشُ
هَهُنَا بِمَا جَاءَ مِنَ الرَّجْزِ عَلَى جِزَائِنِ نَحْوِ قَوْلِهِ: يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ قَالَ: وَهُوَ

(١) القاموس المحيط: (رجز).

لَعَمْرِي بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا جَاءَ مِنْهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ جُزْءٌ لَا قَدْرَ لَهُ لِقَلَّتْهُ فَلِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ الْأَخْفَشُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَإِنْ قُلْتَ: فَإِنَّ الْأَخْفَشَ لَا يَرَى مَا كَانَ عَلَى جُزْأَيْنِ شِعْرًا قِيلَ: وَكَذَلِكَ لَا يَرَى مَا هُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ أَيْضًا شِعْرًا وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ ذَكَرَهُ الْآنَ وَسَمَاهُ رَجْزًا وَلَمْ يَذْكُرْ مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى جُزْأَيْنِ وَذَلِكَ لِقَلَّتْهُ لَا غَيْرَ وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا سُمِّيَ رَجْزًا لِاضْطِرَابِهِ تَشْبِيهًا بِالرَّجْزِ فِي النَّاقَةِ وَهُوَ اضْطِرَابُهَا عِنْدَ الْقِيَامِ فَمَا كَانَ عَلَى جُزْأَيْنِ فَالاضْطِرَابُ فِيهِ أَبْلَغُ وَأَوْكَدُ. .. وَالْإِتْجَازُ: صَوْتُ الرَّعْدِ الْمُتَدَارِكِ. وَارْتَجَزَ الرَّعْدُ ارْتِجَازًا إِذَا سَمِعْتَ لَهُ صَوْتًا مُتَابِعًا. وَتَرَجَّزَ السَّحَابُ إِذَا تَحَرَّكَ تَحْرُكًا بَطِيئًا لِكَثْرَةِ مَائِهِ قَالَ الرَّاعِي:

وَرَجَّافًا تَحِنُّ الْمُنُّ فِيهِ تَرَجَّزَ مِنْ تِهَامَةٍ فَاسْتَطَارَا

وغيث مُرْتَجَزٍ: ذُو رَعْدٍ^(١).

فَالْوَاضِحُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ سَبَبَ التَّسْمِيَةِ عِنْدَ الْفِيْرُوْزَابَادِيِّ سَبَبٌ مَجْمَلٌ يَكْمُنُ فِي تَقَارُبِ أَجْزَائِهِ، وَقِلَّةِ حُرُوفِهِ، أَمَا ابْنُ مَنْظُورٍ فَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى الْأَصْلِ فِي لَمَحِ التَّشَابُهِ، إِذْ رَكَزَ عَلَى صُورَةِ الْبَعِيرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ فَيَقُولُ: "وَالرَّجْزُ: أَنْ تَضْطَرِبَ رِجْلُ الْبَعِيرِ أَوْ فَخْذَاهُ إِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ أَوْ نَارَ سَاعَةً ثُمَّ تَنْبَسِطُ. وَالرَّجْزُ: ارْتِعَادٌ يَصِيبُ الْبَعِيرَ وَالنَّاقَةَ فِي أَفْحَاذِهِمَا وَمُؤَخَّرِهِمَا عِنْدَ الْقِيَامِ".

ثُمَّ حَاوَلَ تَوْضِيحَ الْإِرْتِبَاطِ مِنْ خِلَالِ التَّرْكِيزِ عَلَى الْحَرَكَةِ وَالسَّكُونِ فِي بَحْرِ الرَّجْزِ فِي قَوْلِهِ: "قَالَ أَبُو إِسْحَاقٍ. إِنَّمَا سُمِّيَ الرَّجْزُ رَجْزًا لِأَنَّهُ تَتَوَالَى فِيهِ

(١) لسان العرب: (رجز)، ٢/ ٣٥٢.

في أوله حركة وسكون ثم حركة وسكون إلى أن تنتهي أجزاؤه يشبه بالرجز في رجل الناقة ورعدتها وهو أن تتحرك وتسكن ثم تتحرك وتسكن" وذلك أن الناقة الرجاء تقوم في المرة الثالثة، وهي المرة التي تقابل الوتد المجموع في تفعيلة الرجز (مستعلن)، التي كثيراً ما يحذف ثانيها فتحول إلى (متفعلن)، أو يحذف رابعها فتحول إلى (مستعلن).

خاتمة:

أما بعد فقد انتهى البحث إلى إمكانية الاطمئنان إلى سلامة نظرية النقد الموسيقي في الأدب العربي، وإلى قدرته الجيدة على توجيه الشعراء إلى الطريقة المثلى التي يتقبلها الذوق وتطمئن لها الأذن، والتنبيه على النشاط الموسيقي فور وجوده، وقد تكشفت معالجة النقد الموسيقي في الأدب العربي عن عدة نتائج عدّة، يمكن إجمالها في تقرير الحقائق الآتية:

أولاً: كثيراً ما كان الناقد في المآخذ الموسيقية التي كان يأخذها على الشاعر مدفوعاً بدوافع وأسباب متعددة، منها ما يرجع إلى الناقد ذاته ويأتي على رأسها الذوق والخصومة، ومنها ما يرجع إلى الشاعر كالتنمر الفني، ومنها ما يرجع إلى البيئة التي يدور فيها النقد، على ما يبدو لنا من التصرف في باب الرواية.

ثانياً: كثيراً ما كان النقد الموسيقي في الأدب العربي يسير في اتجاهين أساسيين يشكلان نظريته: فإما أن يأتي في شكل مآخذ يأخذها الناقد على الشاعر إذا ما أحس الناقد بخلل موسيقي في البيت الشعري، سواء أخالف قاعدة أو قياساً أم لم يخالف، ويبدو تركيز النقاد في الجانب الذوقي على الحس الموسيقي أكثر من تركيزهم على القاعدة، ربما لاجتماع أكثر من عيب في القصيدة، وأنفة النقاد إزاء هذا التداعي من الوقوف أمام كل عيب على حدة، أو لأن القاعدة العروضية لم تكن تعد من يتنكر لها، نتيجة تداخل المصطلح.

وإما أن يأتي في صورة وضع أطر تضبط العملية الإبداعية قبل أن يقع الشاعر فيها، هو ذلك النقد الذي ينطلق من القاعدة في تقرير مأخذه، غير خاضع للذوق الخالص، لأن الناقد فيه يكون مهموماً بالحكم النقدي على الأبيات، الذي نصب نفسه قاضياً فيها، ومن ثم فعمل الناقد هنا إما أن يسرد القاعدة العروضية، ثم يمثل لها بالشاهد الشعري، وهذا دأب كتاب العروض، أو ينطلق من البيت محل النقد ثم يدير حوله النقد المنطلق من القاعدة العروضية، وهذا دأب الناقد الأدبي.

ثالثاً: كان هناك كثير من القضايا النقدية التي صاحبت النقد الموسيقي منها قضية تعدد المصطلح واختلاطه، وهو أمر يوحى ظاهره باضطراب النقد أمام تفسير المزالق الموسيقية التي كان يقع فيها الشعراء، ولكن النظرة المتأنية أثبتت لنا أن ذلك التعدد كان مرجعه إلى اختلاف الاعتبارات التي ينطلق منها الناقد.

ومنها (التعليل) حيث اصطحب النقاد في رحلتهم النقدية كثيراً من المعان اللغوية التي تساعد في فهم المصطلح العروضي، وتسهم في تصوره وتقريبه للأذهان، مما جعل تعليلاتهم تسير في اتجاهين أساسيين، فهي إما تعليلات لتسوية وقوع الشاعر في بعض المزالق الموسيقية، أو تعليلات جيدة لتسمية العيب أو المصطلح ذاته، من خلال الاستناد إلى الأصل اللغوي الذي اشتق منه اسم العيب في لغة العرب.

وينبغي أن نلفت النظر إلى أن في تعليل التسمية جهود دلالية جيدة، وقف عليها أصحاب المعجمات العربية، وهي في حاجة إلى دراسة دلالية تبرز مكنوناتها، وتكشف عن روعة العروضيين في اللجوء إليها في اصطلاحاتهم.

كثيراً ما كان يحدث تداخل في النقد الموسيقي بين الاحتكام إلى القاعدة أو الذوق.

مراجع البحث

- أبو العتاهية أشعاره وأخباره، تحقيق: د. شكري فيصل، مكتبة دار الملاح، دمشق.
- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- إعجاز القرآن للباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الخامسة، ١٩٨١ م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الثانية.
- الإقناع في العروض وتخريج
- القوافي للصاحب بن عباد، تحقيق: د. عبدالحميد محمد بدران، الأولى، ٢٠٠٩ م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ هـ)، دار الهداية.
- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: د. عبادة كحيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، (مصورة عن طبعة بولاق)، ٢٠٠٧ م.

- التجديد الموسيقي في الشعر العربي الحديث: د. عبدالحميد محمد بدران، بحث مستل من مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العدد السابع والعشرون، ٢٠٠٨م، الجزء الثامن.
- التعازي والمرثي لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد الدياتي، دار صادر، الثانية، ١٩٩٢م.
- تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، اختصار أبي المرشد سليمان بن علي المعري، تحقيق: مجاهد محمد محمود الصواف ومحسن غياض عجيل، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ١٩٧٩م.
- جمهرة اللغة: ابن دريد (محمد بن الحسن)، تحقيق: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، الأولى، ١٩٨٧م.
- الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٢م.
- خاص الخاص: الثعالبي (عبدالملك بن محمد)، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- دير الملاك، محسن أطيمش، منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالعراق، ١٩٨٢م.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق: د. عبدالمنعم خفاجي، سعيد جودة السحار، د. عبدالعزيز شرف، مكتبة مصر.

- ديوان امرئ القيس، طبعة دار صادر، بيروت.
- ديوان شعر ابن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي، تحقيق: د. يونس أحمد السامرائي، عالم الكتب، الأولى، ١٩٩٧م.
- رسالة الصاهل والشاجح، أبو العلاء المعري، تحقيق: د. عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، الثانية، ١٩٨٤م.
- الروض الأنف للسهيلي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.
- سايكولوجية الشعر، نازك الملائكة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٠م.
- سر الفصاحة، عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٨٢م.
- سمط اللآلي، أبو عبيد البكري، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٩م، (الذخائر ١٨٤).
- شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (أحمد بن محمد بن الحسن)، تحقيق: أحمد أمين وعبدالسلام هارون، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الثانية، ١٩٦٨م.
- الشعر والشعراء الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، الثالثة، ٢٠٠١م.

- الصبح المنبى عن حثية المتنبى: الشيخ يوسف البديعي، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار المعارف، الثالثة.
- الصحاح: الجوهري (إسماعيل بن حماد) تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، الثالثة، ١٩٨٤م.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني بجدة.
- العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الثالثة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل.
- الغربال، مؤسسة نوفل، بيروت، ط/ ١٤، ١٩٨٨.
- الفصول في القوافي لأبي محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان النحوي، تحقيق: د. صالح بن حسين العايد، دار إشبيلية، الثانية، ١٤١٨هـ.
- الفصول والغايات أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان المعري، تحقيق: محمود حسن زنتي، دار الآفاق الجديدة، ١٩٣٨م.
- القاموس المحيط: مجد الدين الفيروزآبادي، دار الحديث.

- القسطاس في علم العروض للزمخشري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ١٩٧٧م.
- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، الخامسة.
- كتاب الأشباه والنظائر للخالدين (أبو بكر محمد بن هاشم، وأبو عثمان سعيد بن هاشم، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، الهيئة العامة لقصور الثقافة (الذخائر ٨١)، ٢٠٠٢م.
- كتاب البارع في علم العروض لأبي القاسم علي بن جعفر (ابن القطاع) تحقيق د / أحمد محمد عبدالدايم . المكتبة الفيصلية ١٩٨٥م.
- كتاب العين . أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب القوافي لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم بدمشق، ١٩٧٠م.
- كتاب القوافي للقاضي أبي يعلى التنوخي، تحقيق: د. عوني عبدالرؤوف، مكتبة الخانجي، الثانية، ١٩٧٨م.
- كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي، تحقيق: الحساني حسن عبدالله، معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٧م.
- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: الصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد، الأولى، ١٩٦٥م.

- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، صادر، بيروت، الثالثة، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، دار الفكر.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص: الشيخ عبدالرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب، ١٩٤٧م.
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، الأولى، ١٩٨٣م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة دار الغرب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٩٨٦م.
- الموازنة للآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، الرابعة.

- نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر بن الفضل العلوي، ٥٨٤. ٦٥٦ هـ، تحقيق. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، الثانية، ١٩٩٥ م.
- النقد الأدبي: د. سعد ظلام، مطبعة الأمانة.
- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، الثالثة، ١٩٧٩ م.
- الوساطة بين المتنبّي وخصومه: القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي - عيسى البابي الحلبي.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أبو منصور الثعالبي (عبدالمك بن محمد)، تحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

المقطع العربي الصوتي ودوره في تعليم اللغات:

اللغة العربية أنموذجاً

إعداد:

الدكتور مراد حميد عبدالله العبدالله

الدكتور شمس الجميل أيوب

الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

توطئة:

تميز النظام الصوتي في اللغة العربية بقدرته على التشكل في جميع الظروف المحكية، فقد حلل علماء اللغة والصوت الكلام المحكي إلى مكوناته الدقيقة ابتداءً من الصوت المفرد "Single sound" الذي سُمي بـ"الوحدة الصوتية" "Phoneme" وما يصاحبه من تغييرات صوتية تؤدي إلى إنتاج تنوعات صوتية "Allophone" ويمكن تسميتها بالـ"منحرفة" عن الصوت العربي الأصلي، لتنتج أصواتاً مقارنة للصوت الأصلي، وهذه تمثل الفئة الأولى من مكونات الكلم في العربية، وسميت هذه العناصر الصوتية "Phonetic Elements" بالمستوى الإفرادي للأصوات العربية " The Individual Phonetics Level in Arabic System" ثم ينتقل العلماء إلى تحليل هذه الأصوات وهي تتراصّ مع بعضها لتكوين الكلمات، ومن ثم الحمل والعبارات، وهذا الترتيب خاضع لمستوى صوتي أيضاً دُرِس تحت ما يسمى بـ"المستوى التركيبي للأصوات" "Structural Phonetics level" وسمي أيضاً بالوحدات الصوتية فوق القطعية " supra-segmental phonemes"، وهذا المستوى يمثل الحلقة الثانية من حلقات البناء الكلامي التي تشكّل نواة الدراسة الصوتية السياقية، فالصوت ليس له دلالة أو قيمة

معنوية إذا كان منعزلاً عن سياق أقرانه، بينما تكتسب قيمتها الدلالية من التوظيف والبناء لتشكيل الكلمات التي يرغب الفرد في التعبير عن حاجته لها، فكان لهذه التراكيب الصوتية "Phonetic Structures" مميزات وأنواع لا بدّ من الوقوف عندها ودراستها دراسة مفصّلة لتحليلها ومعرفتها ليتسنى لمتعلم العربية من الوقوف على مكونات اللغة من الناحية الصوتية على الأقل؛ لأنها تشكّل المستوى الأساس في بناء اللغة، فدراسة المقطع الصوتي من أولويات دراسة المستوى التركيبي للأصوات فلا بدّ من الوقوف عنده وتحليله حتى نتمكن من استعماله وسيلة سهلة وميسّرة لتعليم العربية لغير ناطقيها، لذلك سنبدأ بدراسة المقطع لأنه يشكل المحور الأساس الذي تتجمع على أساسه الأصوات العربية، فاللغة العربية لا تتكون فقط من الأصوات المفردة بل تتكون من تجمّعات لهذه الأصوات وتخرج بشكل دفعات هوائية^(١) مترابطة وفق نسق سياقي صوتي سُمي بـ"المقاطع"، وتتجمع هذه المقاطع لتكوّن السلسلة الكلامية للغة؛ وهي ليست سوى مجموعة تكتلات صوتية تنطق بكيانات ذاتية، فمجموع هذه الأصوات المتناسقة والمنتظمة في تراكيب لغوية يحمل كل منها خصائص تعكس لنا الصور الذهنية والدلالات المرتبطة في سياقاتها اللغوية وفق التنوعات الصوتية المنتظمة^(٢)، فمجموعة من المقاطع تُكوّن ما يسمى بـ"الكلمات" "Words".

١- انظر: الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي في اللغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، القاهرة: مركز اللغة العربية، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٩٩، وانظر: عبدالله، عادل الشيخ، مقدمة في علم الأصوات، كوالالمبور: مركز البحوث، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط١، ٢٠٠٤م، ص٩٢.

٢- انظر: عبدالحليل، عبدالقادر، التنوعات اللغوية، "عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩م، ص٧٢.

المقطع الصوتي "Syllable"

يأتي المقطع الصوتي "Syllable" في اللغة العربية بعد دراسة الوحدات الصوتية وتنوعاتها، ليبين لنا كيف تتكون هذه الوحدات، ويألف بعضها مع بعض وفق ما اتفق عليه علماء اللسانيات في مجال علم الصوت، فعندما قلبنا في كتب التراث اللغوي لم نجد هناك إشارة للمقطع عند علماء اللغة المتقدمين أمثال "الخليل، سيبويه، ابن جني...". على الرغم من أن دراسة المقطع كانت على صلة بدراسة علم العروض في الشعر العربي إلا أننا لم نجد تفصيلاً لذلك إلا عند الفارابي "٣٩٩هـ" في كتابه "الموسيقى الكبير". ثم جاء بعده أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد "٥٩٥هـ"، وكانت إشاراته "الفارابي" نحو التتابعات الصوتية في الأصوات الصحيحة والمعتلة قد سبق بها الغرب بعشرة قرون على الأقل وجاوز به الإدراك إلى الابتكار، فوضع له المصطلح الدال عليه وهو "المقطع"^(١)، فيقول: "كل حرف غير مصوت أتبع بمصوت قصير به فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات القصيرة حركات وكل حرف لم يتبع بصوت أصلاً وهو يمكن أن يقرن له، فإنهم يسمونه الحرف الساكن، وكل حرف غير مصوت قرن به مصوت طويل فإننا نسميه المقطع الطويل"^(٢)،

١- انظر: المسدي، عبدالسلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، "ليبيا، الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٩٨٦م"، ص ٢٦٠.

٢- الفارابي، نصر محمد بن محمد بن طرخان، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبدالملك خشبة، "القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر"، ص ١٠٧٥.

فالفارابي ركّز في كتابه على الجوانب الموسيقية في الكلام العربي وما يتعلق به بدراسة المقطع الشعري في علم العروض، في حين لمحنا ذكراً لهذا المصطلح عند ابن جني لكنه دلّ على شيء مغاير تماماً لما يدل عليه المصطلح فيقول: "اعلم أن الصوت عَرَضٌ يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له في الحلق والشم والشفيتين مقاطع تشبيه وامتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها..."^(١)، فإن ابن جني لم يتكلم عن المقطع بمفهوما الحالي بل تكلم بعده وسيلة ينقطع بها هواء النفس الخارج من الرئتين لتكون الصوت المراد، فليس له علاقة بمفهوم المقطع في الدراسات الصوتية الحديثة، في حين لم يختلف هذا المصطلح عما قرره الفارابي الذي بيّن بكلامه ضمناً أن المقطع لم يكن شائعاً بين علماء العربية بدليل أننا لم نجد له إشارة أو استعمال في كتب القدماء^(٢)، بل ركز هؤلاء على دراسة الأصوات المفردة وبيان صفاتها ومخارجها وما يعثرها من تغييرات في حالة البناء نتيجة مجاورتها للأصوات الأخرى، لذلك واجه المقطع عند تعريفه اختلافاً في الرأي عند علماء اللسانيات والصوتيات فلم يجد له تعريفاً واحداً يجمع عليه المحدثون على الرغم من أن نظم الكتابة قديماً كانت تعتمد على المقاطع

١- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦.

٢- انظر: الصيغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، "بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م"، ص ٢٧٥.

في لغاتها وكانت تسمى بالكتابة المقطعية^(١)، "Syllabic Writing" وشيوعها، لذلك فقد ذهب علماء الصوت بتقسيم الأصوات إلى قسمين رئيسيين هما^(٢):

- الأول: الوحدات الصوتية المقطعية "Segmental Phonemes".

- الثاني: الوحدات الصوتية غير المقطعية "Supra-Segmental Phonemes".

وهذا التقسيم لا بد أن يكون خاضعاً إلى وجود الصوت في سياقه التركيبي "Structural Context" لأن وصف الصوت بأنه مقطعي أو لا وهو خارج السياق يعد ضرباً من اللغو لأن المقطعية ليست صفة ملازمة للصوت بل هي صفة تنشأ عند مقارنة الصوت مع ما يصاحبه من أصوات سابقة له أو لاحقة إليه، وهذا ما تتميز به أغلب اللغات ومنها العربية التي تتميز بينهما تميزاً قاطعاً، لذلك لم نجد تعريفاً للمقطع يصدق على جميع لغات البشر؛ وهذا يرجع إلى اختلاف اللغات في نظامها المقطعي^(٣)، فمنهم من عرفه،

١- انظر: حسنين، صلاح الدين صالح، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي المقارن،

"الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٤م"، ص١٣٨.

٢- انظر: نور الدين، عصام، علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، بيروت: دار الفكر

الليباني، السلسلة الألسنية، ط١، ١٩٩٢م"، ص٩١، وانظر: الخولي، محمد علي، الأصوات

اللغوية، الرياض: مكتبة الخريجي، ط١، ١٩٨٧م، ص١٩٦.

٣- انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، "القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م،

ص٢٩٤، وانظر: كمال الدين، حازم علي، دراسة في علم الأصوات، "القاهرة: مكتبة الآداب،

ولهذا نجد أن اللغات لا تتفق جميعها في النظام المقطعي بل لكل منها نظامه الخاص فهي مختلفة عن الأخرى، فبقي المصطلح عائماً مفتوحاً يقبل كل التعريفات؛ لذلك ظهر نزاعٌ حادٌ بين العلماء كل منهم ينظر إليه وفق خط أبحاثه ونهج دراسته ومدرسته، وليس بالضرورة أن تتطابق مع نهج الآخرين فلذلك تعددت النتائج والآراء وكثر الخلاف فيها^(١)، وهذا دفعنا إلى القول على وجوب تحديد مقاطع كل لغة بما يتلاءم مع بنيتها الصوتية وخصائصها ومميزاتها وطرق متكلميها في التلفظ بها فلكل لغة -إذن- خواصّها وميزاتها في تتابع الوحدات الصوتية، فكانت لدينا مجموعة كبيرة من الآراء كل منها مثلت رأي كاتبها، وكل باحث يأتي لا يرضى عن تعريف سابقه لذلك بقي الجدل قائماً في تعريف المقطع حتى يومنا هذا.

ماهية المقطع:

اختلفت تعريفات المقطع الصوتي واحتدم الجدل حول إمكانية وضع تعريف يجمع عليه العلماء أجمع، وربما يرجع هذا الخلاف إلى أن الدراسات والبحوث العربية القديمة لم تتناوله بالشرح والتفصيل فبقي الخلاف والجدل قائمين حتى يومنا هذا، لكن الجدل والخلاف مستمران حتى في المسائل التي تناولها القدامى، لذلك يمكن أن نرجع الخلاف إلى أسباب قد تكون لها علاقة بلهجة كل عالم لساني، وربما ليس كذلك بل يمكن أن يكون المقطع شديد التعقيد بحيث لم يتمكن علماء العربية من

ط ١، ١٩٩٩م"، ص ٨٨، وانظر: خليل، حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة، "مصر-

الإسكندرية: دار المعارف العلمية، ٢٠٠٧م"، ص ٧٥-٧٦.

١- انظر: نور الدين، عصام، علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، ص ١٠٣.

تحديده ووضع تعريف مانع جامع يفي بمتطلبات المفهوم والمصطلح في آن واحد، فالمقطع هو عبارة عن عملية ضم الوحدات الصوتية "Phonemes" أحدها إلى الآخر لينتج عنها المقاطع، والمقطع "Syllable" يأتي مباشرة بعد الوحدة الصوتية، لذلك يكون أكبر من الوحدة الصوتية وأصغر من الكلمة؛ لأن بعض الكلمات قد تحتوي على أكثر من مقطع في بنيتها الهيكلية^(١)، فمن المعروف أن هذه الوحدات تخرج على شكل مجموعات وكل مجموعة منها تسمى "مقطعاً" مثل مجموعة الوحدات في كلمة "كُتِبَ"، فالمقطع في أبسط أشكاله هو: عبارة عن تتابع عدد من الوحدات الصوتية "ك+فتحة" و"ت+فتحة" و"ب+فتحة"، وبهذا التتابع تتكون البنية المقطعية التي تختلف من لغة إلى أخرى من خلالها تبين حدود المقطع "Syllable Boundary"^(٢)، فالكلام بناء على ذلك يتألف من الأصوات اللغوية المفردة يجمعها المتكلم لتكون على شكل دفعات صوتية تؤديها الأعضاء النطقية، وهذه الدفعات تحتوي على كمية من الأصوات الصحيحة "Consonants" والمعتلة "Vowels" سواء أكانت قصيرة أم كانت طويلة^(٣)، فعند نطقنا بعبارة "كُتِبَ زياداً" نجد أنها تتكون من دفعات صوتية مختلطة بين الأصوات الصحيحة الساكنة والمعتلة "الصوائت القصيرة أو الطويلة، لكن هذا التوزيع للأصوات لا يكون اعتباطاً، فكل لغة تضع قيوداً على تتابع أصواتها من حيث ما يسبقها وما يليها، فمنهم من ذهب إلى أنه كلما زادت صعوبة نطق

١- انظر: كمال الدين، حازم علي، دراسة في علم الأصوات، "القاهرة: مكتبة الآداب، ط ١، ١٩٩٩م"، ص ٨٧.

٢- انظر: خليل، حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ٧٥، وانظر: العاني، سليمان حسن، في التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، "السعودية: النادي الأدبي الثقافي، ط ١، ١٩٨٣م"، ص ١٣١، وانظر: عبابنة، يحيى، دراسات في فقه اللغة وفونولوجيا العربية، "الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م"، ص ١٣.

٣- انظر: الصيغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي، ص ٢٧٦.

الصوت زادت معه القيود على الأصوات التي تسبقه وأخرى لم تلحقه، لذلك فمن الممكن تقسيم الكلام إلى مقاطع بمجرد السماع لكن ليس من الممكن تعيين الحدود "Bound" التي ينتهي عندها المقطع ليبدأ بعدها المقطع الذي يليه، لأن الكلام الإنساني متداخل الأجزاء بحيث يكتسب الجزء القوي شيئاً من الضعف في الجزء الضعيف وبالعكس، فضلاً عن ذلك فإن الكلام المتواصل يتكون من أصوات لغوية تختلف في نسبة وضوحها السمعي^(١)، فكما أن الوحدة الصوتية هي أصغر وحدة دلالية قادرة على التفريق بين المعاني، لذلك عُدَّ المقطعُ أيضاً أصغر وحدة صوتية تركيبية ذات دلالة لا يمكن تجزئتها إلى أصغر من ذلك، وهذا ما ذهب إليه المحللون اللسانيون في أثناء تحليلهم للكلام إلى وحدات صوتية أكبر^(٢)، وتُعد دراسة الأنظمة المقطعية العربية "Syllabic System" من المباحث الجديرة بالاهتمام في مجال الدرس اللساني الصوتي؛ لما لها من دور ناجع في عملية تعليم اللغات وتعلمها، فالباحث يلاقي مشقةً وعناءً كبيرين في تحديد الكلمة عند دراسة لغة غير لغته الأم، فكان المقطع وسيلة يسيرة تساعد في تحديد حدود الكلمات التي تتألف من مقطع واحد أو اثنين؛ إذ حاولت اللغات الأجنبية أن تعتمد على المقطع الصوتي للكشف عن معالم مفرداتها، لكنها لم توفق في ذلك كما وُفقت العربية في تحليل مفرداتها لأنها لغة تتميز

١- انظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص ٢٠٠، وانظر: أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٩٠م، ص ١٣٩، وانظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ص ٨٧.

٢- انظر: عبدالحليل، عبدالقادر، التنوعات اللغوية، ص ٧٣، وانظر: عبدالله، عادل الشيخ، مقدمة في علم الأصوات، ص ٩٣، وانظر: إبراهيم، خليل في اللسانيات ونحو النص، عمان: دار المصرية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م، ص ٥٢، وانظر: شاهين، توفيق محمد، في علم اللغة العام، القاهرة: مكتبة وهبة، ط ١، ١٩٨٠م، ص ١٠٦.

بخطها العربي المتّصل الذي يعجز الفرد عن تحديد معالم الكلمة التي تلحقها علامات الاشتقاق والصرف والنحو التي تسهم في تغييرها كلياً، كما يعجز في بعض الأحيان عن فصل الكلمات التي تكتب متصلة بعضها ببعض كما في "سألتمونيها"؛ لذا كان المقطع أفضل وسيلة لحل هذا اللبس، فكانت لدراسة المقطع أهمية وفائدة عظيمة عند دراسة اللغة العربية وتعلمها، لأنها تُعيننا وتساعدنا في معرفة الصيغ العربية من الصيغ غير العربية عبر معرفة النسيج التكويني الذي تتألف منه الكلمات العربية من غير العربية^(١)، لذلك فإن "دراسة المقاطع في أية لغة من اللغات يعين على معرفة الصيغ الجائزة فيها كما يعين على معرفة موسيقى الشعر وموازينه..."^(٢)، فيمكننا أن نُعرِّف المقطع بأنه مجموعة من الوحدات الصوتية أُتلفت معاً لتشكيل أجزاء صوتية منطوقة نتيجة إخراج دفعة هوائية من الرئتين يستريح عند نطقها النَّفس، ويكون أكبر من الصوت وأصغر من الكلمة لها معانٍ دلالية عند اجتماعها، لكن هناك من ذهب إلى تعريف المقطع من وجهتين اثنتين هما^(٣):

١ - الاتجاه الأول: تعريف فوناتيكي "Phonetician".

- ١- انظر: طحان، ريمون، الألسنية العربية، "بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٧٢م"، ص ٧٠-٧٣، وانظر: مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، "بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م"، ص ١٢٢.
- ٢- انظر: عبدالنواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث في اللغة، "القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٩٨٥م"، ص ١٠٢.
- ٣- انظر: مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، ص ١١٩-١٢٠، وانظر: بشر، كمال، علم الأصوات، "القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م"، ص ٥٠، وانظر: خليل، حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ٧٥-٧٦.

٢ - الاتجاه الثاني: تعريف فونولوجي "Phonological".

ولكل من الوجهتين تعريفات خاصة، لكن ظل علماء اللسانيات غير راضين عنها فبقي الجدل محتدماً حول تعريف المقطع وبقي الباب مفتوحاً أمام الدرس اللساني الصوتي؛ ليدلي كل عالم بدلوه من التعريفات علّهم يصلون في نهاية المطاف إلى تعريف شامل يلي طموحات المصطلح، وهذا ما لا اعتقده لأن مجال البحث العلمي لا يقف عند نهاية محددة.

مكونات المقطع "Parts of Syllable"

لقد تميّز المقطع بأنه يجمع الوحدات الصوتية المفردة في تجمعات تتشكّل وفقها كلمات ذات دلالة، لكن هذه الأصوات المفردة خضعت لقواعد وشروط بُنيت وفُعّدت اعتماداً على الاستقراء اللغوي، فالقاعدة وُضعت تبعاً للكلام الموجود وليس العكس، فكانت عملية وصف اللغة العربية مقطعيّاً صعبة ومعقدة جداً لكن علماء العرب تمكّنوا أخيراً من وضع القاعدة التي يتشكّل وفقها المقطع في اللغة العربية الفصحى، التي عمادها الأساس هو الصعود والنزول بين الأصوات المتتابة، وهذه الآلية تشكّلت وفق وضوح الصوت من عدمه علاوة على ذلك عدد الأصوات التي يجب أن يتكون منها المقطع، فضلاً عن نوعية التتابعات بين الأصوات لئلا يحدث نوع من الصعوبة النطقية أثناء الانتقال بينها، فليس كلُّ صوت صالحاً لأن يجاور حرفاً آخر في المقطع، لأن لكل صوت خصائصه وصفاته ومميزاته،

قد لا تتناسب مع ما يجاوره من أصوات أخرى لذلك يؤدي إلى عدم نطقه بشكل صحيح أثناء مجاورته مع الأصوات الأخرى^(١).

لقد فُعدت قواعد المقاطع الصوتية بناءً على عملية تتابع الأصوات، الذي ألقى بظلاله على الكلمات العربية التي امتازت عن غيرها من اللغات بموسيقية ونغم رائعين، فقد ذهب علماء اللسانيات إلى تسمية كل من هذه الأصوات تبعاً لمواقعها في الكلمات ودقة وضوحها في السمع ف"نظرية المقاطع قامت في أساسها على فكرة تفاوت الأصوات في درجة إسماعها، فقد اهتمّ الأصواتيون ببيان درجة إسماع كل صوت أو ترتيب الأصوات في مجموعات بحسب درجة إسماعها"^(٢)، وحددوا لكل فئة منها مكاناً تكون فيه لا يمكن للفئة الأخرى أن تحل محله فكانت على نوعين هما:

أولاً: الأصوات المعتلة "Vowels": وتسمى أيضاً بـ"الأصوات المقطعية" "Segmental Phonemes"، وتضم أصوات اللين الطويلة "أ، و، ي"، وأصوات الحركات القصيرة "الفتحة والضمة والكسرة"، وتشغل هذه الأصوات الستة الجانب العلوي من المقاطع وقد سميت بـ"أصوات القمة" "Peak" أو "القمة المقطعية"^(٣)، "Syllabic Peak" وهذه الأصوات لا تقع إلا قمة، فهي الأكثر اتساعاً وانفتاحاً بين بقية الوحدات وسميت أيضاً بـ"النواة" "Nucleus" لأنها تقع في وسط المقطع المغلق وفي أواخر المقطع المفتوح، وتتميز هذه الأصوات بوضوحها السمعي العالي؛ لذلك احتلت هذه الأصوات الدرجة

١- انظر: حسان، تمام، *مناهج البحث في اللغة*، "المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧٩م"، ص ١٣١.

٢- عمر، أحمد مختار، *دراسة الصوت اللغوي*، ص ٢٩١.

٣- انظر: مبارك، مبارك، *معجم المصطلحات الألسنية*، "بيروت: دار الفكر اللبناني، ط ١، ١٩٩٥م"، ص ٢٧٦.

الأولى من حيث قوة إسماعها، وقد اتفق العلماء على وجوب أن يكون في نهاية كل مقطع صوت من الأصوات المقطعية يختم به، فيعتمد عليها في حساب عدد المقاطع التي تتكون منها الكلمة التي على أساسها تتبين لنا حدود المقطع "Bounds Syllable"، فضلاً عن ذلك نلمح أن حدود المقاطع تكون دائماً غاية في الوضوح السمعي^(١).

ثانياً: الأصوات الصحيحة "Consonants" وتسمى أيضاً بالأصوات "غير المقطعية" "Supra-Segmental Phonemes"، وتضم كل الأصوات الصحيحة الصامتة في اللغة العربية الفصحى، فتكون هذه الأصوات في قاعدة المقطع "Basic" أي تكون في أسفل الرسم البياني لها، ويمكننا إرجاع سبب ذلك كونها المادة الأساس في بناء الكلمات، وقد أطلق عليها علماء الصوتيات بـ"الهوامش" تارة وبـ"الأودية" "Valleys" والهوامش لا تقع إلا قواعد للمقطع، لذلك فلكل مقطع هامشان كل واحد منهما يتكون عادة من صوت صامت واحد أو أكثر وقد يكون صفرًا أي لا وجود له نحو المقطع "عَنْ" فهو يتكون من "ع+فتحة+ن"، فالهامش الأول هو "ع" والنواة أي القمة هي الفتحة والهامش الثاني هو "ن" أما المقطع "ذا" فيتكون من "ذ + ا + صفر" فالهامش الثاني كما موضح هو صفر أي بلا هامش ثاني له^(٢)، وتحتل هذه الأصوات الدرجة الثانية من حيث قوة الإسماع فتكون أقل إسماعاً من نظيرتها؛ لأن القاعدة لا بد أن تكون أضعف إسماعاً من القمة التي تشترك معها في المقطع. وهذا يشير إلى الحد الأدنى من الوضوح السمعي ولأنها

١- انظر: الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي في اللغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، ص ٢٠١، وانظر: حسنين، صلاح الدين صالح، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي المقارن، ص ١٤١، وانظر: الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، "بيروت: دار الشرق العربي، ط ٥، ١٩٩٠م"، ص ١٩٩.

٢- انظر: عبابنة، يحيى، دراسات في فقه اللغة وفونولوجيا العربية، ص ١٤، وانظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص ١٩٢.

أقل إسماعاً وقعت في القاعدة فلا يمكن لها أن تقع في القمة^(١)، وعليه نخلص إلى أن تضمين العربية لصوت العلة "الصائت" سواء أكان قصيراً أم كان طويلاً يضيفي على الكلمة وضوحاً سمعياً؛ لأن هناك أصواتاً امتازت بقلّة وضوحها السمعي، فهذا التمازج إذن يُحدِث موازنة بين الطرفين بحيث إنك لن تجد مقطعاً ذا إسماع واضح جداً، وآخر درجة إسماعه منخفضة جداً. وهذا ما تميز به المقطع في اللغة العربية عن غيره من اللغات، فنظر العلماء إلى المقطع -وفق هذا التقسيم- على أنه عبارة عن تتابع أصواتي يحتوي على قمة واحدة فيها من الوضوح ما يجعلها مختلفةً، وجزء ثانٍ هو القاعدة التي غالباً ما تكون أصواتاً صامتة تمتاز بقلّة وضوحها السمعي، فكل مقطع يتكون من علة "صائت" واحد سواء أكان طويلاً أم قصيراً إضافة إلى عدد من الصوامت، فلا تقل عن الواحد ولا تتجاوز الثلاثة مع وضوح معنى المقطع عملياً، فالقمة هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح السمعي، والوديان هي أقل ما يصل إليه هذا الصوت من الوضوح^(٢).

وهذا الوضوح وقلته يسهم في إضفاء الإيقاع الموسيقي خصوصاً عند التراوح بين الصعود والنزول، وهذا الصعود والنزول يكون خاضعاً لثلاث درجات من التوتر في العضلات التي تسهم في عملية إنتاج الصوت، وهذه الدرجات^(٣) هي:

الدرجة الأولى: توتر متصاعد "Growing Tension".

الدرجة الثانية: توتر يصل إلى نقطة الذروة "Peak Tension".

-
- ١- انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٩١، وانظر: ظلمات، غازي مختار، في علم اللغة، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ١٥٢، وانظر: أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، ص ١٤٠.
 - ٢- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٨٨، وانظر: الصيغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي، ص ٢٧٦.
 - ٣- انظر: عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٩٥.

الدرجة الثالثة: توتر متناقض "Decreasing Tension".



الأصوات تحتوي

على حركة واحدة "قصيرة أو طويلة" ويرمز لها - كما هو موضح في المخطط أعلاه- بالرمز "ح" للحركة القصيرة والرمز "ح ح" للحركة الطويلة، ومن صوت صامت واحد ويرمز له بـ "ص" أو صوتين ويرمز لهما بالرمز "ص ص"، وأما عدد الأصوات التي يحتويها المقطع فهذا يتوقف على نوع المقطع نفسه، ويكون للمقطع نقطة بداية "Implosion" ونقطة نهاية "Explosion". فتحليل الكلام إلى مقاطع أمر قد يكون أيسر من تحليل المقاطع إلى مكوناته الصوتية فهو أمر بالغ الصعوبة^(١)، وقد تميزت المقاطع الصوتية

١- انظر: علام، عبدالعزيز، علم الصوتيات، ص ٢٧٩، وانظر: حسنين، صلاح الدين صالح، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي المقارن، ص ١٣٨-١٤٠، وانظر: الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي في اللغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، ص ٢٠١، وانظر: عبابنة، يحيى، دراسات في فقه اللغة وفونولوجيا العربية، ص ١٤٤.

للكلمات بميزات جعلت منها قادرة على أن تكون المادة الصوتية الرئيسة التي يتألف منها الكلام، وهذه الميزات تلخّصت بالآتي^(١):

١- الاتحاد بين أصوات المقطع الواحد عبر تواتر الأصوات المقطعية تارة والأصوات غير المقطعية تارة أخرى؛ مما أضفى على المقطع اتحاداً وموسيقيةً.

٢- التماسك النطقي بين أصوات المقطع الواحد لأنها شكّلت تجاذباً بين الأصوات نفسها، فكان هناك قواعد لتوالي الأصوات في المقاطع؛ مما سهّل عملية نطقها.

٣- التماسك النفسي، وهذا يعني أنها متتابعة ومتّصلة في الكلام وليست منفصلة عن بعضها، وتنطق دفعة واحدة وبزمن واحد وفي جرعة نفسية واحدة، وتوقّف النفس عند النطق بها يعني أن المقطع قد انتهى وبدأ مقطع آخر يتلو الأول.

فالمقطع الصوتي إذن ما هو إلا أداة صوتية أكبر من الوحدة الصوتية، ثمّكن المتكلم والمتعلم من تحليل الكلمات والعبارات والجمل إلى مقاطع صغيرة ليتمكن من تحديد السلسلة الكلامية تحديداً دقيقاً ليتمكن المتعلم من الوقوف على أصوات الكلمة كافة بنطقها الصحيح ومعرفة الصامت من الصائت فيها وعدم الخلط بينهما.

أنواع المقاطع "Kinds of syllable"

١- انظر: نور الدين، عصام، علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، ص ٩٣، وانظر:

عبدالله، عادل الشيخ، مقدمة في علم الأصوات، ص ٩٤-٩٥.

للمقاطع في اللغات أنواع، اختلفت هذه تبعاً لاختلاف اللغات، فلم يجد علماء الصوت أنواعاً مشتركة تجمع اللغات الإنسانية مع بعضها، فهناك أنواع تصلح للغة ما لا تصلح أن تكون مقاطع للغة أخرى وهكذا، وهذا ما لمحّه المحدثون عند دراساتهم للمقاطع الصوتية دراسة تجريبية "Experimental Study"، فاللغة العربية حملت لنا أنواعاً تمكن العلماء من تحديدها اعتماداً على القوة النَّفسية لكمية الأصوات المنطوق بها، فشاركت هذه القوة في تحديد أنواع المقاطع وصفاتها ومميزاتها ومكونات كل نوع منها، فتحددت أنواع المقاطع في اللغة العربية حسب العناصر المكونة لها، فالمقاطع العربية انقسمت إلى نوعين رئيسيين وذلك حسب طبيعة الصوت الأخير في المقطع؛ أي من حيث نهايته^(١) وهما:

المقطع الأول: المقطع المفتوح "Open Syllable": وهو المقطع الذي يكون منتهياً بصوت علة "صائت" "Vowel"، سواء أكان طويلاً أم كان قصيراً والذي يمثل قمة المقطع "Peak"، ويسمى أيضاً بالمقطع الحر "Free"، ويتكون من صوت صامت مع صوت علة "قصير أم طويل" كما في المقاطع الآتية:

"نا = ن + ا"، "في = ف + ي"، "ذا = ذ + ا" = "ص + ح" أو "ص + ح ح"

المقطع الثاني: المقطع المغلق "Close Syllable": وهو المقطع الذي ينتهي بصوت صحيح "صامت" "Consonant" ويسمى أيضاً بـ"المقطع

١- انظر: الحولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص ١٩٥، وانظر: أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، ص ١٤٦ وانظر: مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، ص ١٢٠-١٢١، وانظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص ٥٥.

المقيد "Restricted"، ويتكون من صوت صامت ثم حركة قصيرة ثم يغلق بصامت ساكن "ص+ح+ص"، ويكون على الشكل الآتي: المقطع المغلق = "عُن = ع+الفتحة+ن" "مُن = م+الفتحة+ن" = "ص+ح+ص".

ثم انقسم المقطع الصوتي من جانب آخر إلى قسمين معتمداً في ذلك على المدى الطولي للأصوات المكونة، وهذا يعتمد على عدد الأصوات الصحيحة والمعتلة التي تؤلفه، وهذان القسمان هما^(١):

١- المقطع القصير "Short Syllable": وسمي قصيراً اعتماداً على نهاية المقطع، وهو الذي ينتهي بحركة قصيرة "Short Vowel" الفتحة والضمة والكسرة، لذلك يكون دائماً مقطوعاً مفتوحاً لأنه يتكون من صوت صامت وينتهي بحركة القصيرة "ص+ح"، وتكون على الشكل الآتي: ضَرْب = "ض+الفتحة، ر+الفتحة، ب+الفتحة"، وبالترميز المقطعي يكون "ص+ح" لكل المقاطع، وهذا المقطع هو الذي يسمى بـ"المقطع القصير المفتوح".

٢- المقطع الطويل "Long Syllable" وسمي بذلك اعتماداً على نهاية المقطع، فالمقطع الطويل هو الذي يتكون من صوت صحيح وحركة طويلة

١- انظر: البركاوي، عبدالفتاح عبدالعليم، مقدمة في علم الأصوات، القاهرة: الجريسي للطباعة، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٨٣-١٨٤، وانظر: الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، الأردن: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٠١، انظر: الخولي، الأصوات اللغوية، ص١٩٦-١٩٧، وانظر: مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، ص١٢٠-١٢١، انظر: الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، ص٢٠٠، العبيدي، رشيد، معجم الصوتيات، بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية ٢٢، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٩٢.

"Long Vowel" وهي "ا، و، ي" ويسمى أيضاً بـ"المقطع الطويل المفتوح" ويتكون من "ص+ح ح"، أو أن يكون مبتدئاً ومنتهاً بصوت صحيح "صامت" "Consonant" بينهما حركة قصيرة ويسمى حينها بـ"المقطع المغلق"، ويتكون المقطع من صامت صحيح + حركة قصيرة + صامت صحيح "ص+ح+ص"، يضاف إلى ذلك المقطع الذي سمي بـ"المقطع الطويل المفرد الإغلاق" ويتكون من صوت صحيح يليه حركة طويلة ثم يغلق بصوتين صامتين أيضاً عند الوقف عليه ويسمى بـ"المقطع المديد" "ص+ح ح+ص+ص"، وتكون هذه المقاطع على الأشكال الآتية:

في = "ف + ي"، "ص+ح ح" = مقطع طويل مفتوح

عَنْ = "ع+الفتحة+ن"، "قَدْ"، "ص+ح+ص" = مقطع طويل مغلق.

وهناك نوعان آخران يتفرعان من المقطع المغلق^(١) وهما:

أ- المقطع القصير المزدوج الإغلاق "Short Double closure" ويسمى أيضاً بالمقطع "المديد المقفل" ولا يقع إلا عند الوقف عليه، ويتكون المقطع من صوت صامت يليه حركة قصيرة ثم يكون منتهاً بصوتين صامتين "ص+ح+ص+ص"، ويكون على الشكل الآتي:

"بنت = ب+حركة قصيرة+ن +ت" = "ص+ح+ص+ص"

ب- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق "Long Double closure": ويتكون المقطع من صوت صامت يليه صوت حركة طويلة ثم يكون منتهاً

١- وانظر: خليل، إبراهيم، في اللسانيات ونحو النص، ص ٥٥، وانظر: شاهين، توفيق محمد،

في علم اللغة العام، ص ١٠٧-١٠٨.

بصوت مشدد وهو عبارة عن صوتين صامتين أحدهما متحرك والآخر ساكن،
 "ص+ح ح+ص+ص" ويكون على الشكل الآتي:

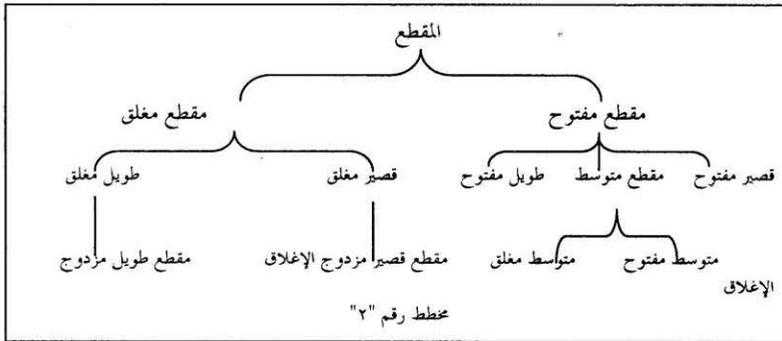
"قاص=ق+حركة طويلة+ص+ص" = "ص+ح ح+ص+ص"

- **المقطع الثالث:** المقطع المتوسط "Medium Syllable": ويتكون من نوعين هما:

أ- مقطع متوسط مفتوح: ويتكون من صوت صحيح "صامت" وحركة طويلة "ص+ح ح" مثل المقطع "كا" في قولنا "كاتب".

ب- مقطع متوسط مغلق: ويتكون من صوت صحيح "صامت" وصوت علة قصير "Short Vowel" "حركة قصيرة" وصوت صحيح صامت "ص+ح+ص"، مثل المقطع: "يَكُ" في قولنا "يَكْتُبُ"^(١)، ويمكننا تمثيل

هذا المقطع بالصيغة الآتية: "ص+ح+ص+ح"



أهم الشروط الواجب توفرها في المقطع الصوتي

١- انظر: حسنين، صلاح الدين صالح، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي المقارن،
 "القاهرة: مكتبة الأدب للتوزيع، ط ١، ٢٠٠٦م"، ص ١٤١، وانظر: الصيغ، عبدالعزيز،
 المصطلح الصوتي، ص ٢٧٨-٢٧٩.

لكل شيء في الوجود اللغوي له شروط يجب توفرها ليكتمل بناؤه بشكل صحيح، لأنها ستكون قاعدة تبنى عليها اللغة، لذلك ذهب علماء اللسانيات الصوتية إلى التأكيد على ضرورة مراعاة بناء المقطع وفق الشروط الخاصة لكل لغة، وتبعاً للنظام الخاص فيها، ولما كان اهتمامنا منصباً على دراسة المقطع في اللغة العربية الفصحى وجب علينا أن نولي هذا الجانب اهتماماً أكبر، لذلك كان لزاماً علينا أن نبين أهم الشروط الواجب توفرها، والتي يحتم على الدارس والمتعلم متابعتها والتقيد بها، لذلك سنلخص هذه الشروط في نقاط عدّة^(١) وهي كالآتي:

١- يجب الابتداء بصوت صحيح "صامت" واحد أو بصوت شبه صحيح "Semi-Consonant"، ويسمى هذا الصوت بداية المقطع "Onset"، لأن النطق بصوت الحركة في بداية المقطع يتطلب جهداً حنجرياً عالياً فمن المستحيل النطق بها في بداية الكلام.

٢- يجب أن يكون الصوت الثاني من المقطع هو صوت علة "قصير أو طويل" ليشكل بذلك العنصر الثاني من مكونات المقطع العربي.

١- البركاوي، عبدالفتاح عبدالعليم، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، القاهرة: كلية اللغة العربية، ط٢، ٢٠٠٢م، ص١٩١، وانظر: الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص١٠٥ و١١٣، وانظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص١٩٦-١٩٧، انظر: نور الدين، عصام، علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، ص٩٤-٩٧، وانظر: بشر، كمال، علم الأصوات، ص٥١.

٣- يغلق المقطع العربي بصوت صحيح "صامت" واحد أو صوت علة "صائت" عندها يظل المقطع مفتوحاً أي منتهياً بصوت حركة قصير "ص+ح".

٤- لا يمكن أن يبدأ المقطع في العربية بصوتين صحيحين "صامتين" متتاليين، ولا يبدأ بصوت علة أيضاً، ولكن إن حدث والتقى الصامتان، فالعربية تلجأ إلى احتلاب همزة وصل تجنباً للبدء بصوتين صامتين متوالين، علاوة على ذلك التمكّن من النطق بالصوت الساكن، فعند النطق بفعل الأمر من "يَرُسُّم" نقوم بحذف ياء المضارعة ليبقى "رُسُّم" فعندها توالي صوتان صحيحان هما "الراء والسين"، وهذا ما لا يجوز في العربية لذلك تجتلب همزة الوصل قبل الراء لتمكين الناطق من الوصول للساكن الصحيح ولم يستعن بحركة قبل الفعل، لأنها محظورة أيضاً في العربية، فكانت الهمزة بحركتها مناسبة للابتداء والتخلص من هذا التوالي، إضافة إلى ذلك نلح الهمزة أيضاً عندما تُترجم الأسماء اللاتينية والإنجليزية إلى العربية لأن اللغة الأصلية التي تنتمي إليه الكلمة تجيز توالي صامتين، ومثال ذلك في ترجمة الاسم الإغريقي "Platon" فقد تُرجم إلى "أفلاطون"، فوجب الإتيان بصامت لبداية المقطع وهو "الهمزة" وكلمات معربة أخرى مثل "إقليم، إفرنج، إسفنج"^(١) أما في حالة تجاور الصوتين الصحيحين "صامتان" وسط الكلام أو آخره كما في قولنا "يَرُسُّم"، فنلاحظ تجاور كل من صوتي الراء والسين دون فاصل بينهما، وهذا جائز يقبله اللسان العربي لأن الصامت الأول وقع في نهاية المقطع الأول "يَرُّ" وأما الصامت الثاني فقد وقع في بداية المقطع الثاني "سُّم"؛ وعليه فلم يكن هناك أي اعتراض على هذا التابع لأنه يتناسب مع

١- انظر: فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، "بيروت: مطبعة

الكاثوليكية، ١٩٦٦م"، ص ٤٢-٤٣.

الذوق العربي^(١)، لكن يمكن أن يتوالى صامتان في نهاية المقطع وعند الوقوف عليه فقط، مثال: القُدْر.

٥- لا يمكن أن يُبنى المقطع العربي من أصوات صحيحة "صوامت" فقط، ولا حتى من أصوات علة "صوائت" فقط، ولا يبنى من صوت واحد سواء أكان صامتاً أم كان صائتاً.

٦- لا يمكن أن يتوالى في مقطع واحد صوتا علة "صائتان" بخاصة الحركات الطويلة منها لأن الصائت إما أن يكون حركة قصيرة "Short Vowel"، أو يكون حركة طويلة "صوت لين" "Long Vowel"، وكل من هذين النوعين لا يمكن أن يتوالى إلا بوجود صوت صحيح "صامت" لغرض تحريكه بالحركة العادية أو مدها بحروف المد، وإذا توالى الصوائت في بعض حالات الإسناد إلى المعتل فإنها تختصر الحركة الأولى، مثال ذلك إسناد الفعل "سعى"، إلى واو الجماعة إذ تصبح عندنا حركتان طويلتان، وحينئذ تختصر الحركة الأولى ويتم الانزلاق بين فتحة قصيرة "ـَ" وضممة طويلة "الواو" فتصبح "سَعُوا".

٧- اقتصار ورود بعض المقاطع العربية على حالة الوقف فقط، وذلك مثل المقطع الطويل "ص+ح+ص"، والمقطع الطويل المفرد الإغلاق "المديد" "ص+ح+ص+ص"^(١).

١- انظر: مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، ص ١٢٣-١٢٥، انظر: شاهين، عبدالصبور، في علم اللغة العام، ص ١٠٩، وانظر: بركة، بسام، علم الأصوات العام، "بيروت: منشورات مركز الإنماء القومي، ط ١، ١٩٨٨م"، ص ١٤٤-١٤٥، انظر: الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص ١٠٣-١٠٥، وانظر: حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ص ١٣٨-١٣٩.

٨- لا تسمح العربية عند بناء مقاطعها بالتقاء حركتين التقاءً مباشراً، وإذا حصل أن التقت حركتان فإن ذلك سيؤدي إلى تعمد السياق الصوتي العربي في خلق ما يسمى بأشبه الحركات كي تفصل بين الحركات المتتالية، لذلك قسمت الحركات "نواة المقطع" إلى نوعين هما:

أ- صوت علة أصلي "صائت" "Original Vowel": وهو الصوت الذي ينتمي إلى أصل الكلمة مثل الحركة الطويلة في المقطع "في".

ب- صوت علة مقحم "Insertion Vowel" وهو صوت العلة الذي يضاف بين صوتين صامتين لتسهيل النطق بهما، مثل إقحام صوت الكسرة التي تضاف قبل الصامت الأخير في بعض اللهجات العربية كما في "نَهْرٌ، جِسْرٌ، تَمْرٌ، مَهْرٌ، مَهْدٌ".

أشكال المقاطع المستعملة في العربية "Arabic Syllable"

لقد اختلفت المقاطع التي تتألف منها اللغات كلاً حسب طبيعة تركيب اللغة وتوصيفها، فكل لغة تختار لنفسها عدداً محدداً من المقاطع، فبعضها تختار شكلين أو ثلاثة أو عشرة، فضلاً عن تنوع أشكاله، وهذا الاختلاف في شكل المقطع يعتمد بشكل كبير على ثلاثة عوامل^(٢) رئيسة وهي:

١- عدد الأصوات الصحيحة "الصامته" التي تكون هامشاً للمقطع، ويتراوح عددها بين صفر وثلاثة أصوات في اللغات المختلفة.

١- تتكون نواة المقطع عادةً من صوت علة "الصائت".

١- انظر: الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص ١١٤-١١٦.

٢- انظر: الحولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص ١٩٣-١٩٥.

٢- يتراوح عدد الأصوات الصحيحة "الصوامت" في الهامش الثاني للمقطع ما بين صفر وثلاثة أصوات في اللغات المختلفة.

وسنوضح في كلامنا أنواع المقاطع في اللغة العربية والتي تميل في مقاطعها عادة إلى الاعتماد على المقاطع الساكنة أي التي تنتهي بصوت ساكن بينما يقل فيها توالي المقاطع المتحركة^(١).

بينما اختلف علماء الصوت في عدد من المقاطع التي تتألف منها العربية الفصحى فمنهم من ذهب إلى أنها ستة مقاطع، وآخرون ذهبوا إلى عدها سبعة وآخرون جعلوها خمسة، لكننا وجدنا أكثرهم يذهبون إلى جعل الكلام في العربية الفصحى يتألف من ستة أنواع من المقاطع، وهي على الشكل الآتي^(٢):

- **المقطع الأول:** صامت + حركة قصيرة "ص + ح"، مثل "ب، ف"، يسمى "مقطع قصير مفتوح".
- **المقطع الثاني:** صامت + حركة طويلة "ص + ح ح"، مثل "يا، كا، با" ويسمى بـ "مقطع طويل مفتوح".
- **المقطع الثالث:** صامت + حركة قصيرة + صامت "ص + ح + ص" مثل "بل، كم" ويسمى بـ "مقطع طويل مغلق".

١- انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٩١.

٢- انظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ١٦٣، وانظر: الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، ص ٢٠١، وانظر: حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، "القاهرة: دار الثقافة، ط ٢، ١٩٧٨م"، ص ٩٢، وانظر: عبدالنواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث في اللغة، ص ١٠٢، وانظر: بركة، بسام، في علم الأصوات العام، ص ١٤٥-١٤٦.

- المقطع الرابع: صامت + حركة طويلة + صامت "ص + ح + ص" مثل "عاش" يسمى "مقطع مغرق بالطول مغلق".

- المقطع الخامس: صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت "ص + ح + ص" مثل "مشتق" ويسمى بـ "مقطع مغرق في الطول مغلق بصامتين".

- المقطع السادس: صامت + حركة طويلة + صامت + صامت "ص + ح + ص" مثل "راد" ويسمى بـ "المقطع المديد في الطول مغلق بصامتين".

ومن هذه المجموعة من المقاطع يمكننا أن نتعرف على أكثر المقاطع استعمالاً وشيوعاً في اللغات، التي يحتل فيها المقطع المفتوح الصدارة بين المقاطع ليكون هو المقطع المشترك بين اللغات كافة، علاوة على ذلك يعد المقطع الأقصر في العربية لتكونه من صوتين على أقل تقدير، بينما نجد أن بقية المقاطع يتراوح وجودها بين لغة وأخرى، فأى كلمة في أي لغة تتكون غالباً من مقطع واحد إلى أربعة مقاطع أو خمسة على الأكثر، التي تكون نادرة الوجود أو تكون في طريقها للانقراض^(١) في حين نجد أن الكلمات العربية المشتقة سواء أكانت اسماً أم كانت فعلاً عندما تكون مجردة لا تزيد على أربعة مقاطع، ونادراً ما نجدها تتكون من خمسة مقاطع، "إنما الكثرة الغالبة من الكلام العربي تتكون من مجاميع من المقاطع على مجموعة لا تكاد تزيد على أربعة مقاطع"^(٢)، فالمقاطع أعلاه تتباين في استعمالها

١- انظر: الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص ١٠١، وانظر:

خليل، حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ٧٨-٧٩.

٢- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٩١.

وشيوعها، والمقاطع المفتوحة لها النصيب الأوفر في الشيع والانتشار في العربية الفصحى إذ تبلغ نسبة شيوعه ٦٠% في الكلام المتصل، بينما ترفض العربية الوقوف عليه لأن بسقوط الحركة الأخيرة سيندمج ما تبقى من المقطع بالمقطع اللاحق أو السابق له ليتشكل مقطع من نوع آخر، والعربية ليس فيها مقطع مكون من صوت واحد^(١)، ثم يليه المقطعان الطويل المفتوح والمقطع الطويل المغلق، وأقل المقاطع شيوعاً في الكلام هي المقاطع الطويلة والمديدة التي تعد نادرة وقليلة الشيوع والاستعمال في الكلام، ووروده في الكلام العربي مقيد بحالة الوقف خاصة المقطعان المغرق في الطول المغلق بصامتين، والمقطع المغرق بالطول المغلق، وهذا الشكل لا يتحقق إلا في نهاية الكلام ويتوقف عليه، والعربية تحاول التخلص من المقطع "ص+ح ح+ص" في حالة الوصل بسبب التقاء صوتين صامتين في مقطع واحد من دون فاصل بينهما وهذا غير جائز في العربية^(٢)، فضلاً عن ذلك إننا استطعنا ومن معرفتنا بالنظام المقطعي للغة العربية تحديد الدخيل والمغرب والأصيل من الكلمات العربية المتداولة والمستعملة في يومنا هذا، عبر معرفة النسيج

-
- ١- انظر: عبيدات، محمود مبارك، هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، "بحث منشور - الأردن: مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، مجلد ١٨، العدد ٢، سنة ٢٠١٠م"، ص ٨٢٧.
- ٢- انظر: الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي في اللغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، ص ٢١١-٢١٣، وانظر: الحولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص ١٩٥، وانظر: عبدالله، عادل الشيخ، مقدمة في علم الأصوات، ص ١٠٤، وانظر: الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية، ص ١٠١.

النسقي للألفاظ العربية والتتابع النظامي للمقاطع فيه، فالعربية لا تسمح بتوالي مقاطع معينة حتى لا يتحوّل البناء من بناء عربي أصيل إلى بناء أعجمي دخيل، وهذه المقاطع هي كالآتي^(١):

١- لا يسمح النسج العربي بتركيب كلمة مكونة من مقطعين؛ يتوالى فيها النوع الثالث من المقاطع الصوتية العربية "ص+ح+ص"، يليه مقطعان من النوع الثاني "ص+ح ح" "مقطع نوع ثالث +مقطعان نوع ثانٍ".

٢- لا يسمح البناء العربي بتأليف كلمة مكونة من توالي مقطعين الأول منهما من النوع الثاني، وثانيهما من النوع الخامس "مقطع نوع ثاني+ مقطع نوع خامس"، وإن حصل ووجد مثل هذا النسج؛ فالكلمة أعجمية مثل "جومرت".

٣- لا يسمح البناء العربي بتركيب كلمة مكونة من ثلاثة مقاطع يتوالى فيها "المقطع من النوع الثالث+ مقطعان من النوع الثاني" في كلمة واحدة، وإن تصادف وحدث ذلك ووجدنا كلمة تتوالى مقاطعها على أحد هذه القوالب ندرك أنها كلمة دخيلة غير عربية الأصل نحو "سرغايا".

٤- لا يسمح الكلام العربي بتركيب كلمة مكونة من ثلاثة مقاطع، يكون المقطع الأول فيها من النوع الثاني بينما المقطع الثاني والثالث من

١- انظر: البركاوي، عبدالفتاح عبدالعليم، مقدمة في علم الأصوات، ص ١٨٧، وانظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٩٦-٩٧، وانظر: الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، ص ٢٠٢.

النوع المقطعي الثالث "مقطع من النوع الثاني + مقطعان من النوع الثالث"، وإن وجدت مثل هذه الكلمة فإنها أعجمية مثل "شاهبندر".

٥- بينما نجد نسج الكلمات العربية ذات الثلاثة مقاطع أو الأربعة اعتمدت على الأنواع الثلاثة الأولى للمقاطع، من جانب آخر يصل عدد مقاطع الكلمات العربية- من الناحية الصوتية- إلى سبعة مقاطع أو أكثر كما في كلمة "أنلزمكموها، فسيكفيكمهم"، وذلك أثر اتصال اللواحق "Suffixes" والسوابق "Prefixes"، ومثل هكذا تركيب كلماتي نادر جداً في العربية، في حين أن العربية لم تقبل أن يكون من ضمن كلماتها كلمة مكونة من ثمانية مقاطع أو أكثر أبداً أو تكون كلمة في صدرها أو حشوها مقطع من النوع الخامس أو كلمة مجردة من السوابق أو اللواحق مؤلفة من أربعة مقاطع من النوع الأول أو كلمة مجردة من اللواحق مؤلفة من ثلاثة مقاطع من النوع الثاني، وإن وجدت هذه الكلمة على النسج المقطعي نفسه فهي كلمة أعجمية قطعاً مثل "قاديشا، عامودا"^(١).

وبذلك نشعر من خلال وصفنا للمقطع العربي أن له أهمية كبرى خصوصاً في إثبات أصالة الكلام العربي وتمييز الدخيل عنه، فعملية التقطيع للتركيب الكلامي العربي إلى مقاطعه المكونة عملية لا يمكن الاستغناء عنها،

١- انظر: مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، ص ١٢٢، وانظر: أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ص ٩٠-٩٩، وانظر: شاهين، توفيق محمد، في علم اللغة العام، ص ١١٠.

ولها من الفوائد الشيء الكثير وهو ما اتفق عليه أغلب علماء اللسانيات، فضلاً عن ذلك كان لهذا التقطيع مجموعة من الفوائد سنذكر منها الآتي^(١):

١- أن دراسة المقطع ومعرفة حدوده وأنواعه تسهل على متعلمي عروض الشعر المهمة لأنه يعتمد على التكرار النمطي للمقاطع القصيرة والطويلة وفقاً لحساب عددي لا حياد عنه.

٢- أن دراسة المقاطع الصوتية في اللغة العربية يسهم وبشكل فاعل على النطق السليم للكلمات.

٣- أن لدراسة المقاطع الصوتية فائدة كبرى لمتعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها، لأنه يتمكن من تقسيم الكلمة العربية إلى مقاطعها الأساسية ونطقها بشكل صحيح، لاسيما إذا كانت الكلمة محتوية على أصوات غير موجودة في لغته الأم، ومتكونة من مقاطع عدّة، لأن المعلم يدرّب المتعلم على ترديدها بشكل مقطعي؛ مما يسهل عليه نطقها بشكل صحيح.

٤- أن دراسة المقطع العربي تذلل الصعوبات الإملائية التي يواجهها غير العربي عند تعلمه العربية، لأنه يقوم بكتابة ما ينطق بالضبط وهذا قد لا يتلاءم مع قواعد الإملاء العربي، فنجد المتعلم غير العربي يكتب كلمة "مستحيل" بالشكل الآتي "موستحيل" لكن لو علم أن هذه الكلمة تتكون

١- انظر: إبراهيم، تحليل في اللسانيات ونحو النص، ص ٥٢-٥٣، وانظر: الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، ص ١٩٥-١٩٦.

من ثلاثة مقاطع، وهي كالاتي: "مس/ت/حيل/"، فلا يمكنه أن يخطئ في كتابتها مرة أخرى، لأن المتعلم نجده يتأثر صوتياً بأصوات العلة القصيرة "الحركات"، فيكتبها كما ينطقها "كتابٌ=كتابين"، "مستحيل=مستحيل أو مستحيل".

٥- لكل مقطع له درجة ارتكاز معينة تتمركز على قمته وقد يكون الارتكاز أساسياً رئيسياً أو ثانوياً، أو ارتكازاً ثالثاً ضعيفاً، فتوزيع الارتكاز بين مقاطع الكلمة الواحدة يعتمد على طبيعة اللغة وموقع الكلمة في الجملة، فكلمة "ضالع" نجد الارتكاز يقع في المقطع الأول "ضا" لكن الارتكاز في كلمة "ضالين" يقع على المقطع الأخير "لين"، لذلك فالمقطع ينقسم على قسمين اعتماداً على درجة الارتكاز، وهي كالاتي:

أ- المقطع الارتكازي: وهو المقطع الذي يأخذ ارتكازاً رئيساً في الكلمة أو الجملة، وهذا الارتكاز يجعل المقطع الصوتي أكثر إسماعاً وأكثر علواً عن غيره من المقاطع غير الارتكازية كما يجعل الارتكاز الرئيس نواة المقطع أكثر طولاً عن غيره من المقاطع.

ب- المقطع غير الارتكازي: وهو المقطع الذي يأخذ ارتكازاً ضعيفاً ليكون مقطعاً أقل إسماعاً وعلواً من المقطع الارتكازي في الكلمة الواحدة، وعليه فالكلمة الواحدة لا تحتوي إلا على مقطع ارتكازي واحد وبقية المقاطع غير ارتكازية.

الخاتمة

١- لم نجد أية إشارات واضحة عند علماء العرب القدامى تشير إلى اهتمامهم بالمقطع الصوتي سوى إشارات في بعض الكتب لا ترقى إلى أن تكون اهتماماً واضحاً موازنة بما أسسوه من المسائل الصوتية الأخرى، إذ ابتداء الاضطراب من المصطلح فلم نجد أية إشارات واضحة بهذا الخصوص، في حين لاحظنا أن معظم آراء علماء اللغة العرب المحدثين قائم على القياس والاستنتاج لما عند الغرب من جهود واضحة في هذا المجال، في حين لم نلاحظ أي نظرية خالصة وخاصة باللغة العربية تساعد في توضيح هذه الموضوعات.

٢- من الممكن توظيف دراسة المقطع عند تعليم اللغات لغير الناطقين بها لتجنب الأخطاء الإملائية.

٣- توظيف لفظ المقطع الصوتي عند علماء العرب القدامى لكنه لا يمت إلى مفهوم المقطع الحديث.

٤- المقطع الصوتي أداة طيبة لمعرفة مكونات اللغة عبر تشريح تركيباته الصوتية.

٥- للعربية مقاطع حددها علماؤها استناداً إلى الاستقراء التام لتراكيب اللغة العربية المستعملة وحتى المهملة.

٦- يساعد المقطع متكلم اللغة ومتعلمها على النطق الصحيح للكلمات، وهو ما يعتمد عليه معلمو اللغة عند تعليمهم الأطفال لعملية التهجي.

٧- تمكننا دراسة المقطع الصوتي من معرفة على أصول الكلمات العربية وتمييزها عن غيرها من غير العربية.

المراجع والمصادر

١. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، "القاهرة: مطبعة نهضة مصر".
٢. أيوب، عبدالرحمن، أصوات اللغة، "القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٩٠م".
٣. إبراهيم، خليل في اللسانيات ونحو النص، "عمان: دار المصرية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م".
٤. الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، "بيروت: دار الشرق العربي، ط٤".
٥. الأنطاكي، محمد، دراسات في فقه اللغة، "بيروت: دار الشرق العربي، ط٥، ١٩٩٠م".
٦. البركاوي، عبدالفتاح عبدالعليم، مقدمة في أصوات اللغة العربية وفن الأداء القرآني، "القاهرة: كلية اللغة العربية، ط٢، ٢٠٠٢م".
٧. البركاوي، عبدالفتاح عبدالعليم، مقدمة في علم الأصوات، "القاهرة: الجريسي للطباعة، ط١، ٢٠٠٤م".
٨. بركة، بسام، في علم الأصوات العام، "بيروت: منشورات مركز الإنماء القومي، ط١، ١٩٨٨م".

٩. بشر، كمال، علم الأصوات، "القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م".
١٠. حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، "القاهرة: دار الثقافة، ط٢، ١٩٧٨م".
١١. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، "المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٧٩م".
١٢. حسنين، صلاح الدين صالح، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي المقارن، "الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٤م".
١٣. خليل، حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة، "مصر- الإسكندرية: دار المعارف العلمية، ٢٠٠٧م".
١٤. الخولي، محمد علي، الأصوات اللغوية، الرياض: مكتبة الخريجي، ط١، ١٩٨٧م".
١٥. شاهين، توفيق محمد، في علم اللغة العام، "القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٩٨٠م".
١٦. الشايب، فوزي حسن، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، "الأردن: عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٤م".

١٧. الشنبري، حامد بن أحمد، النظام الصوتي في اللغة العربية دراسة وصفية تطبيقية، "القاهرة: مركز اللغة العربية، ط ١، ٢٠٠٤م".
١٨. الصيغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، "بيروت: دار الفكر المعاصر، ودمشق: دار الفكر، ط ١، ٢٠٠٠م".
١٩. طحان، ريمون، الألسنية العربية، "بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط ١، ١٩٧٢م".
٢٠. طليعات، غازي مختار، في علم اللغة، "دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ٢، ٢٠٠٠م".
٢١. العاني، سليمان حسن، في التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، "السعودية: النادي الأدبي الثقافي، ط ١، ١٩٨٣م".
٢٢. عبابنة، يحيى، دراسات في فقه اللغة وفونولوجيا العربية، "الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م".
٢٣. عبدالتواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث في اللغة، "القاهرة: مكتبة الخانجي، ط ٢، ١٩٨٥م".
٢٤. عبدالجليل، عبدالقادر، التنوعات اللغوية، "عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٩م".

٢٥. عبد الله، عادل الشيخ، مقدمة في علم الأصوات، "كوالالمبور: مركز البحوث، مطبعة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ط ١، ٢٠٠٤م".

٢٦. عبيدات، محمود مبارك، هاء السكت ودورها في تصحيح البنية المقطعية للكلمة العربية، "بحث منشور-الأردن: مجلة الجامعة الإسلامية، سلسلة الدراسات الإنسانية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، مجلد ١٨، العدد ٢، سنة ٢٠١٠م".

٢٧. العبيدي، رشيد، معجم الصوتيات، "بغداد: مركز البحوث والدراسات الإسلامية، سلسلة الدراسات الإسلامية ٢٢، ط ١، ٢٠٠٧م".

٢٨. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، "القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٧م".

٢٩. الفارابي، نصر محمد بن محمد بن طرخان، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبدالملك خشبه، "القاهرة: دار الكاتب العربي للطباعة والنشر".

٣٠. فليش، هنري، العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد، "بيروت: مطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م".

٣١. كمال الدين، حازم علي، دراسة في علم الأصوات، "القاهرة: مكتبة الآداب، ط١، ١٩٩٩م".
٣٢. مبارك، مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، "بيروت: دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٥م".
٣٣. المسدي، عبدالسلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، "ليبيا، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٦م".
٣٤. مهدي، مناف، الأصوات اللغوية، "بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م".
٣٥. نور الدين، عصام، علم وظائف الأصوات اللغوية "الفونولوجيا"، "بيروت: دار الفكر اللبناني، السلسلة الألسنية، ط١، ١٩٩٢م".

ظاهرة كسر أوائل الكلمات في اللهجة البغدادية المعاصرة

م.م علي حمد عبدالعزيز الحياتي

كلية التربية - الجامعة العراقية

ملخص البحث:

إن من محاسن مجالات الدرس اللغوي الحديث دراسة اللهجات العامية المنتشرة في أرجاء الأرض، ومنها اللهجات التي تنحدر من العربية الفصحى، والقصد هو توصيف الحالة التي عليها هذه اللهجات وليس بالضرورة الدعوة إلى اتباعها، وقد حاولت في هذا البحث المشاركة في جمع وتوصيف وتحليل ظاهرة من الظواهر اللغوية القديمة الحديثة، التي أثرت في اللهجة البغدادية المعاصرة؛ رغبة مني في بيان الصورة المعاصرة للهجة البغدادية وتطورها عن الفصحى، وبيان أسباب ذلك التطور من خلال دراسة ظاهرة كسر أوائل الكلمات في اللهجة البغدادية.

وقد رصد البحث مجموعة من الألفاظ والمصطلحات التي تأثرت بهذه الظاهرة، وقد تكون هذه الألفاظ التي رُصدت منتمية إلى رتبة الأسماء أو الأفعال، لذلك أفردت الأسماء عن الأفعال في البحث، ثم أتبع هذا الرصد ببيان وتحليل يوضح أسباب جنوح اللهجة البغدادية نحو هذه الظاهرة، مع مراعاة ما قيل في تحليل هذه الظاهرة قديماً وحديثاً، مراعيّاً في هذا البحث الحدود الزمانية والمكانية للهجة البغدادية وتمثل بحدود محافظة بغداد وضواحيها مكانياً، وما يزيد على عقد مضى زمانياً.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين، محمد بن عبدالله صلّ اللهم وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم نلقاه.

وبعد: فإن من جميل البحث اللغوي أن تراعى بالدراسة والبحث اللهجات العامية اليوم، وهي التي تُسمع أصواتها وألفاظها وتراكيبها في كل موطن، وتنتشر هذه اللهجات على ألسنة الخاصة والعامّة، فملاحظة هذه اللهجات يوضح للدارس مجموعة القوانين والتفسيرات التي رصدها اللغويون، والتي بدورها تحكم سير هذه اللهجات نحو التطور والتغير.

والعاميات التي تشيع اليوم على الألسن هي في حقيقتها تطور عن الفصحى، أو كما يطيب لبعض الكتاب والباحثين أن يسميها "فصحى محرفة"، وهذه حقيقة اللهجات في أغلب أحوالها، امتداد للهجات سلفت كانت شائعةً في ربوع هذه البلاد، يقول الدكتور رمضان عبدالنواب (ت ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م): "وإن من يتأمل هذا الذي رُوي لنا عن اللهجات القديمة، في بطون المصادر العربية، يخرج بنتيجة صريحة واضحة، وهي أن ما نراه الآن في بعض لهجاتنا الحية المعاصرة، ليس في بعض ظواهره، إلا امتداداً لهذا الذي روي لنا في القديم"^(١)، أي أن اللهجات المعاصرة منحدره من اللغة العربية الفصحى بلا ريب، بعد أن أصابها التحريف والتغيير في الأصوات

(١) بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالنواب: ٢٦٤.

والأبنية والتراكيب استجابة لقوانين التطور اللغوي التي تدور على جميع اللغات.

والذي أود التنبيه إليه في مطلع هذا البحث هو أنني لا أود الدعوة لتفعيد العاميات والركون إليها واتباعها بانحرافاتهما، بل الحال هو توصيف تلك الانحرافات التي أبعدت اللهجات عن الفصحى، وبيان الأسباب والعوامل والقوانين التي حكمت هذا التغير والتطور، وإلا فالأصلُ اتباع العربية الفصحى، وما تتبع هذه اللهجات إلا بياناً لصورة اللفظ بعد مقارنته بالفصحى وتوضيح الطوارئ التي تعرض له فتخرجه عن حاله الأولى، ولا يتحقق هذا إلا بتدقيق النظر في لهجاتنا العامية اليوم.

والذي يهمننا هنا هو اللهجة البغدادية التي هي مادة هذا البحث وبضاعته، وقد عازمت بعد توفيق الله وعونه على دراسة ظاهرة من الظواهر التي أصبح لها تأثيرٌ واضحٌ ظاهر على مفردات هذه اللهجة، وشائع بين أبناء الناطقين بها، وهذه الظاهرة هي كسر أوائل الكلمات، بمنهجٍ وصفيٍّ تحليليٍّ، فكان البحث بعنوان: "ظاهرة كسر أوائل الكلمات في اللهجة البغدادية المعاصرة"، وقضت خطة البحث أن تكون على مبحثين: الأول: تناول كسر أوائل الأسماء في اللهجة، والثاني: تناول ظاهرة كسر أوائل الأفعال، ويشمل ذلك الماضي من الأفعال والمضارع والأمر، وكل ذلك مصحوب باستقراء وتحليل لهذه الظاهرة.

والله أسأل أن يجعل ما كتبه في خدمة اللغة العربية وأهلها إنه تعالى قريب مجيب الدعاء. والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

إن ظاهرة كسر الحرف الأول من الكلمات المنتمية إلى شعبة الأسماء تعدّ من الظواهر الشائعة في لهجة البغداديين المعاصرة، وقد رصد البحث الذي بين أيدينا مجموعة من الألفاظ التي تخضع لهذه الظاهرة، وهذه الألفاظ هي على سبيل الاستشهاد لا الحصر، وذلك لأن حصر المفردات في لهجة كاملة لا يمكن في مثل هذا الموطن، ومن هذه الألفاظ: "سيّارة، طيّارة، سويج^(١)، ضعيف، رجال، رخيص، شعير، نظيف، بعير^(٢)، كبير^(٣)، سمين، نذر" وغيرها كثير. بموت فيكي وبس بلا خط بلا هم

وُنسب هذه الظاهرة إلى لهجة الحجازيين، كما صرح بهذا الباحثون قديماً وحديثاً، فقد أورد السيوطي (ت ٩١١هـ، ١٥٠٥م) في المزهري كثيراً من

(١) السويج: هو مفتاح السيارة.

(٢) وكل هذه الألفاظ تنطق بفتح أولها في لهجة الريف وضواحي بغداد.

(٣) والكاف تحول في اللهجة البغدادية إلى صوت مزدوج، يسمى باللاتينية *Affricata*، وهو الصوت الموجود في الإنجليزية في مثل *children* بمعنى أولاد. ينظر مزيد تفصيل عن هذا الصوت: فصول فقه اللغة، رمضان عبدالنواب: ١٤٥-١٤٦.

الشواهد لهذه الظاهرة الصوتية، تحت عنوان "ذكر ألفاظ اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم"^(١).

ومن هذه الألفاظ التي ذكرها السيوطي^(٢):

لهجة تميم	لهجة الحجازيين
مُرِيَة	مِرِيَة
الْحَصَاد	الْحِصَاد
الْحَجَّ	الْحِجَّ
رُضْوَان	رِضْوَان
الْقُنُوَة	القِنِيَة
زُهْد	زِهْد

ولعل هذه اللهجة الحجازية قد أُلقت بظلالها على بعض ألفاظ أهل البصرة، فقد قال الأزهري: "ويقال: حِنْفَسٌ لِلْحِنْفَسَاء"^(٣)، وهي لغة أهل البصرة، واستشهد بقول الشاعر:

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي: ٢٣٩/٢.

(٢) السابق نفسه.

(٣) والحنفساء دُوَيْبَةُ سَوْدَاءُ تَكُونُ فِي أَصُولِ الْحَيْطَانِ. ينظر: العين، الخليل: ٣٣١/٤.

وَالْحِنْفُسُ الْأَسْوَدُ مِنْ نَجْرِهِ مَوَدَّةُ الْعَقْرَبِ فِي السَّرِّ^(١)

وقد علل الدكتور صبحي الصالح (ت ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٦ م) هذه الظاهرة الصوتية من منظور اجتماعي، بعد أن أورد شواهد كثيرة لهذه الظاهرة، فقال: "على أننا بصورة عامة لاحظنا في الشواهد على تخالف العرب في نطق الأصوات، أن تميماً تجنح إلى الأشد الأفخم؛ لأنها بدوية، وأن قريشاً تختار الأرق الأنعم؛ لأنها حضرية"^(٢).

وقال في موضع آخر: "والأمثلة التي ذكرناها عن المعاقبة قليل من كثير، مما انطوت عليه بطون المعجمات والقواميس، فلا سبيل إلى إنكار ما تنطق به من ميل بعض العرب إلى الكسر، وبعضهم إلى الضم، ولا مفرّ من الاعتراف بتفضيل الحجازيين الكسر على الضم"^(٣).

فهو يرى أن المدنية والتحضر التي تحظى بالرقعة والنعومة هي وراء كسر أوائل هذه الكلمات عند الحجازيين، أما الفتح فيحمل من التفخيم ما يناسب البيئة البدوية.

ويعلل بعض الباحثين هذه الظاهرة في لهجة سكان محافظة الكرك في الأردن، بأنه نوع من القياس الخاطيء، قياساً على الألفاظ التي يحدث فيها

(١) جاء ذكر البيت في المعاجم ولم ينسب لقائل. ونسبه الجاحظ في "الحيوان" لبشر بن المعتمر (ت ٢١٠ هـ) في قصيدة له يذكر فيها كثير من الحيوانات. ينظر: الحيوان، الجاحظ: ٦ / ٢٩١.

(٢) دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٩٦.

(٣) السابق نفسه.

مماثلة صوتية إذا جاء بعد حركة الحرف الأول فيها حرف متلّو بكسرة قصيرة أو طويلة، كما في: بَعِير: أي بَعِير، وشَعِير: أي شَعِير^(١).

ولا أستطيع التعميم واعتماد العلة التي ذكرها صبحي الصالح إذا أردت تعليل هذه الظاهرة في لهجة البغداديين اليوم، وإن كان وصف المدينة ظاهراً على بغداد قديماً وحديثاً، فهي "أم الدنيا وسيدة البلاد" كما قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ، ١٢٢٩م)^(٢)؛ والسبب أن هذا التعليل غير مطرد بين الريف والمدينة في محافظة بغداد؛ إذ إننا نجد أن بعض أهل الريف والقرى الذين يستوطنون ضواحي بغداد وأطرافها أو ما يسمى بحزام بغداد وهي مناطق ريفية تحيط بمدينة بغداد يكسرون أول الكلمات فيقولون مثلاً: حَج، وزَلَم، بمعنى رجال، وذَبَّان. بمعنى ذُباب، وهدم مفرد "هدوم" بمعنى ملابس، ومحمد في مُحمد، كَرِيم، وسِرير في سَرير وفي أكثر الأسماء العَلَمِيَّة. وإن كانوا يشتركون بلفظها مع المدينة أحياناً. لكننا نجد أهل المدينة يقولون: (حَج) وأهل الريف يقولون: (حَجج)، مما يفرض علينا إعادة النظر في هذا التعليل من حيث تنزيله واطراده على اللهجات العامية اليوم خصوصاً في اللهجة البغدادية التي هي موضع البحث، وربما يكون التعليل بعلل أخرى إلى جانب هذه العلة أوفق وأكثر اطراداً، مع أننا لا ننكر ميل الحجازيين إلى الكسر بوجه عام.

ونريد أن نؤكد هنا حقيقة تتعلق بقضية ميل الحجازيين للأرق والتيمييين للأفخم، وهذه الحقيقة تنص على أن لهجة تميم عمّمت كسر أول صيغة

(١) لهجة الكرك، يحيى عبابنة وعبدالقادر مرعي: ٧٩، ٧٨.

(٢) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤٥٦/١.

(فَعِيل) فتحوّلت في نطقهم باطراد إلى (فَعِيل)، وإن كان اللغويون يشترطون لذلك أن يكون الحرف الثاني من حروف الحلق، نحو: "لَيْم، نَهيق، بَعير، نَحيف، رَغيف، بِخيل"^(١).

وهذه الظاهرة في لهجة تميم تعليلها صوتي محض عند المتقدمين، فيقول ابن جني (ت ٣٩٢هـ، ١٠٠٢م) في ذلك: "ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شَعِيرٍ وبعِيرٍ ورَغِيفٍ. وسمعت الشجري غير مرّة يقول: زَيْر الأسد يريد الزَّيْر. وحكى أبو زيد عنهم: الجِنَّة لمن خاف وعيدَ الله"^(٢).

ويقول ابن سيده (ت ٤٥٨هـ، ١٠٦٦م): "وفي فَعِيل لُغْتَان: فَعِيل وفَعِيل إذا كان الثاني من الحروف الستة... كسرت الفاء في لغة تميم، وذلك قولك: لَيْم ونحيف ورغيف وبخيل"^(٣).

ومع هذا كله يمكن لنا اليوم أن نخضع بعض الألفاظ في ميلها للكسر لقانون المدنية والتحضر، والسبب أننا نجد أحياناً في الريف اعتبار كسر أول بعض الألفاظ يُعدُّ مظهراً من مظاهر المدنية والتحضر، فنلاحظ ميل بعض الشباب أو الفتيات والنساء بشكل عام نحو استعمال الظاهرة نوعاً من ملامسة المدنية والتحضر، أو التدلّل والرقّة عند النساء كلفظ "سيّارة، طيّارة، سِجّين"، محاكاة لنطق المدنية، وتفصحاً يشاكل نطق الحضرة.

(١) ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالنواب: ٤٤.

(٢) الخصائص، ابن جني: ١٤٣/٢.

(٣) المخصص، ابن سيده: ٣٣١.٣٣٠/٤.

ويمكن تفسير ألفاظٍ أخرى في اللهجة خاضعة لهذه الظاهرة على أساس القياس الحاطي الذي ذكره الدكتور عبدالقادر وزميله، فنجد مثلاً بعض الألفاظ تشترك المدينة مع الريف في كسر أولها، كما يقولون: سمين في لفظ سمين، بيت في بيت، وجدّام بمعنى: فُدّام .

ويمكن تعليل بعض هذه الألفاظ بمبدأ السهولة والتيسير، فاللغات عموماً تسعى نحو السهولة والتيسير والاقتصاد في الجهد العضلي، وإذا كان هذا وارداً فمن الطبيعي أن تسعى أو تميل بعض اللهجات في تطورها نحو الكسر، وتنصرف عن الضم ما أمكن، وهذا التفسير يصدق على ما كان أوله مضموماً، وانتقلت اللهجة به في تطورها من الضم الكسر وذلك نحو: "طيور يقول البغداديون: طيور، وفي عُشب يقولون: عِشْب، وفي جُنود يقولون: جَنود، وفي فُسْتُق يقولون: فِسْتُق^(١)، وفي فُنْدُق^(٢) يقولون: فِنْدَق، وفي فُرْش جمع فِرَاش يقولون: فِرْش، وفي فُدّام يقولون: جِدّم.

والسبب في ذلك أن الضمة هي أثقل الحركات؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم

(١) يقول ابن منظور: الفستق: معروف. ونقل عن الأزهري: الفستقة فارسية معربة وهي ثمرة شجرة معروفة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: فصل الفاء ٣٠٨/١٠.

(٢) فُنْدُق مفرد: جمعها فنادق؛ وهي نُزُل، ومسكن مفروش لإقامة المسافرين بالأجر. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ١٧٤٥/٣.

الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة^(١)، حتى صُنفت الضمة بأنها حركة ضيقة نظراً لارتفاع اللسان حال النطق بها تجاه الحنك الأعلى إلى أقصى درجة في منطقة الحركات، إضافة إلى ذلك انضمام الشفتين حال النطق بها انضماماً شديداً^(٢).

إلا أن الانتقال من الفتح إلى الكسر لا يمكن تعليه بالسهولة واليسير، لأن الكسرة لا يمكن تصنيفها بأنها أخف من الفتحة صوتياً، لذلك تبقى الفتحة هي الأيسر والأسهل في النطق، لهذا تُفسر باقي الألفاظ التي جنحت اللهجة فيها من الفتح إلى الكسر، بما سبق من تعليقات.

وقد يُعترض على تفسير بعض المفردات بمبدأ السهولة واليسير بأن هناك بعض المفردات في اللهجة انتقل فيها من الأخر إلى الأثقل كلفظ: رَماد بفتح أوله، فإن البغداديين يقولون: رُماد بضم الراء، وفي طَبق يقولون: طُبُك^(٣)، وفي فَقْر يقولون: فُكْر، وفي بَصَل يقولون: بُصَل، وفي عيدان جمع عود يقولون: عودان، وفي صَباح الخير يقولون: صُبَاح^(٤) الخير، فقد انتقل نطق اللفظ من الأخر وهو الفتح إلى الأثقل وهو الضم، وهنا نقول: لا يلزم أن يكون السعي نحو السهولة واليسير مطرداً في كل جوانب اللغة، فقد نجد

(١) ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٤٨/١.

(٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٢٣٢ و ٢٣٤.

(٣) الطبك: نوع خاص من الأطباق يُصنع من حريد النخل يُستعمل لحفظ الخبز بعد انضاجه.

(٤) ضم الصاد في "صباح" خاص بأهل الأرياف من سكان ضواحي بغداد وكبار السن خصوصاً، ومثلها كلمة مَطبخ فإن أهل الأرياف يقولون: مُطبخ.

تطوراً عكسياً، وفي ذلك يقول الدكتور إبراهيم أنيس عن نظرية السهولة: "وليس معنى هذا أن النظرية تنطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة، فإذا وجد الباحث أن التطور كان عكسياً، أي من السهل إلى الصعب - كما وجد فعلاً في بعض الحالات - فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى خاصة تبرر هذا التطور"^(١).

وقد نلاحظ سبق لهجات المدينة والحضر نحو هذه السهولة وهذا الاقتصاد، وشيوع هذه الظاهرة في نطق أهل المدينة، مع قلته في نطق أهل الريف، لكن هذا لا يعني أن لهجات الريف لا تسعى نحو هذا الهدف المشترك بين اللغات عموماً، مع إمكان القول أن لهجة المدينة أسبق وأسرع في تطورها نحو هذا المبدأ خصوصاً فيما يتعلق بظاهرة كسر أوائل الأسماء.

وأود أن أقدم تفسيراً لجنوح لهجة الأرياف نحو هذه الظاهرة، وهذا التفسير ربما يكشف لنا عن بعض أسباب لجوء لهجات الريف نحو الكسر في بعض المفردات كما مرّ، فيظهر أن هذا الكسر هو نوع من التبدل ومحاكاة المدنية، فأبناء الريف ينظرون لأهل المدينة بنوع من الإعجاب، وأن مفرداتهم تتسم بالرقي والنعومة أكثر من مفردات الريف والقرى، لذلك يحدث نوع من المحاكاة والتقليد لهذه اللهجات طمعاً برقي الذوق اللغوي، وهذا قد يُعدُّ وجهاً من وجوه "الحدلقة والتفصح" أو "التععر في الكلام"^(٢)، أو كما

(١) الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٢١٧.

(٢) وهذه مصطلحات وضعت لما يقابل في اللاتينية: Hyperurbanismus، وفي الإنجليزية كلمة: Overcorrectness. ينظر: التطور اللغوي، رمضان عبدالنواب: ١١٥.

يسمىها فندريس "الإسراف في المدنية" و "المبالغة في المدنية" و "الغلوّ في مراعاة الصحة"^(١)، أو "المبالغة في التصويب"^(٢)، ولا يقتصر هذا على محاكاة اللغة الأدبية أو الفصحى بل يحدث في كل من يفخر بحمال العبارة ورقياً^(٣).

لهذا أقول: إن إعجاب أبناء الريف بلهجات المدينة حاصل، وإذا كان كذلك فمن الطبيعي أن يحدث نوع من المحاكاة لهذه اللهجات، مع صرف النظر عن كون اللهجة المدنية فصيحة أم غير فصيحة، لذا مالت لهجة أبناء الريف في بعض المفردات نحو الكسر باعتباره نوعاً من "التفصح"، وقد حُكي أن رجلاً من المتأدبين أراد شراء ضحية، فقال لبعض البائعين للأضاحي: بكم الكبش؟ بكسر الكاف، فضحك كل من سمعه، فلامه بعض أصحابه، وقال له: لِمَ لَمْ تَقُلْ: كَبَشْ بفتح الكاف، كما يقول الناس؟ فقال: كذا كنت أقول قبل أن أقرأ الأدب، فما الذي أفادتني القراءة إذن؟!^(٤).

وقد ألحق صبحي الصالح بهذه الظاهرة ظاهرة أخرى، وهي الاستبدالات التي تحصل بين صوتي الياء والواو، ووجه الإلحاق أن الياء لا تختلف عن الكسرة إلا في المدة الزمنية للصوت، فالياء هي امتداد للكسرة، وكذا الواو هي امتداد للضمة، فكما يميل الحجازيون للكسر يميلون إلى الياء فيقولون:

(١) ينظر: اللغة، فندريس: ٨٠.

(٢) ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي: ١٥٩.

(٣) ينظر: اللغة، فندريس: ٨٠.

(٤) ينظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، البطليوسي: ٥٦.

(صَيَّام و نَيَّام)، ويميل التميميون إلى الواو كما يميلون إلى الضم فيقولون: (صَوَّام و نَوَّام) بالواو امتداداً للضم^(١).

ويقول ابن السكيت (ت ٢٤٤هـ، ٨٥٨م): "أهل الحجاز يسمون الصواغ: الصياغ. قال ويقولون: المياثر والمواثر، والمواثق والمياثق... ويقال: هو المُنَاوَّب والمُنَايَّب، وشَيَّطَه وشَوَّطَه، وكذلك عار يَعِير وَيَعُور"^(٢).

أما في اللهجة البغدادية اليوم فنقول كما قلنا في أصل الظاهرة في قضية الميل إلى الكسر أو إلى الضم: من الصعب جداً تعميم الأحكام فإننا وإن وجدنا أمثال هذا التناوب كما في قول البغداديين: (عيفة) بمعنى اتركه، وقول أهل الريف (عوفة) بنفس المعنى، مع ذلك فإننا لا نلاحظ اطراد هذا الاستعمال، بل نجد استعمال صوت الواو في بعض المفردات عند البغداديين من أبناء المدن، في حين يستعمل أهل الريف المفردة نفسها لكن بصوت الياء، ومن أمثلة ذلك:

في لهجة الريف	في لهجة المدينة
صياي	صواني ^(٣)

(١) ينظر: دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح: ٩٧.

(٢) المخصص، ابن سيده: ٢٠٨/٤.

(٣) الصواني والصياني: عبارة عن أطباق عريض نسبياً يُقدم فيه أواني الطعام، واللفظان مترادفان، جاء في مختار الصحاح: "والصَّيْنُ بلد والصَّوَّاني الأواني منسوبات إليه"، مختار الصحاح، الرازي: ٣٧٥/١. فكأن أصل صنع الصواني كان بالصين فلذا نسبت إليه.

ففي المدينة لفظ "صواني" هو اللفظ الشائع، أما في الريف فيقولون:
"صيانِي"، مع أن الرقة مع الكسر والخشونة مع الضم كما مرَّ، لهذا نقول من
الصعب تعميم الأحكام على لهجة كاملة دون استقراء وتتبع دقيق.

المبحث الثاني

أولاً: الفعل المضارع:

من المعلوم للدارسين والمطلعين على قواعد اللغة وقوانينها أن اللغة العربية الفصحى تفتح حرفَ المضارعة في الفعل الثلاثي باطراد، وذلك نحو: (يكتب، يدرس، ينام، يحمل...)، إلا أننا نلاحظ اليوم في اللهجة البغدادية المعاصرة أنها تكسر حرف المضارعة في الياء والتاء والنون، وكسر ياء المضارعة وتائها ونونها ظاهرة شائعة عند جميع سكان بغداد بلا تمييز، بل تشيع في معظم محافظات العراق اليوم على ألسنة الناس، فيقولون: "يكتب، نلعب، تحمل، يصنع... الخ".

وهذه الظاهرة التي تُشير إليها ونرصدها في اللهجة البغدادية المعاصرة، هي في الحقيقة ظاهرة قديمة حديثة؛ فقد عرفتُها اللهجات العربية قديماً، وهي تعرف عند الباحثين في اللغة واللهجات باسم (التلتلة) أو (تلتلة بهراء).

وعندما ندرس هذه الظاهرة في اللهجة البغدادية من المناسب أن نشير إلى أن هذه الظاهرة ليست حكراً على اللهجة البغدادية اليوم بل نجد أن بعض اللهجات العامية العربية اليوم تشهد مثل هذه الظاهرة، ومنها اللهجة المصرية على سبيل المثال، يقول الدكتور شوقي ضيف (ت ٢٠٠٥م): "وهناك لهجات نسبتها اللغويون إلى القحطانيين، من ذلك التلتلة، إذ يكسرون

الفعل المضارع، فيقولون: تعلمون، تكتبون، تنجحون، كما نضع في عاميتنا المصرية^(١).

ويقول الدكتور رمضان عبدالتواب (ت ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م): "نرى كثيراً من اللهجات الحية المعاصرة في البلاد العربية المختلفة تكسر حرف المضارعة في نحو: (يكتب، ويفتح ويضرب، ويقول) وأشباهاها"^(٢).

وقد نص غير واحد من اللغويين على وجود هذه الظاهرة في اللهجات القديمة وتعرف عندهم بـ"الثتلثة" أو "ثتلثة بهراء" نسبةً إلى قبيلة "بهراء"^(٣). فيقول ابن جنى في ذلك: "وأما ثتلثة بهراء، فإنها تقول: تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف"^(٤).

وعزاها سيبويه (ت ١٨٠هـ، ٧٩٦م) إلى جميع العرب إلا الحجازيين^(٥)، ونسبها ابن منظور (ت ٧١١هـ، ١٣١١م) إلى كثير من القبائل العربية، فقال: "وتعلم، بالكسر: لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعه، وعامة العرب. وأما أهل الحجاز، وقوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة، وبعض هذيل، فيقولون: تعلم، والقرآن عليها. وزعم الأخفش أن كل ما ورد علينا من الأعراب، لم يقل إلا

(١) تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي -، شوقي ضيف: ١٢٣.

(٢) بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالتواب: ٢٦٥.

(٣) ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص، للحريزي: ٢٢٤، والمزهر، للسيوطي: ١/١٦٧، والخصائص، ابن جنى: ١٣/٢.

(٤) سر صناعة الإعراب، ابن جنى: ١/٢٤٢.

(٥) ينظر: الكتاب، سيبويه: ٤/١١٠.

تَعْلَمُ بِالْكَسْرِ"^(١)، وكذلك نسبها الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ) لجميع العرب إلا الحجازيين^(٢).

ويقول ابن فارس (ت ٣٩٥هـ، م ١٠٠٤م): "نَسْتَعِينُ) وَنَسْتَعِينُ) بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قريش، وأسدٌ وغيرهم يقولونها بكسر النون"^(٣).

والذي يظهر أن كسر أحرف المضارعة ظاهرة سامية قديمة أصلاً، فجذورها تمتد إلى أبعد من القبائل العربية المعروفة قديماً، بدليل وجودها في مجموعة من اللغات السامية، فقد وجدت هذه الظاهرة في العبرية والسريانية والحبشية^(٤)، كما وجدت في لهجات جنوب اليمن الحديثة كالمهرية والشحرية والبوتاحارية، وفي لهجات السريان في هذه الأيام^(٥).

ومن هذا يستدل الدكتور رمضان عبدالنواب بأن كسر حروف المضارعة هو الأصل في اللغة، والفتح أمر حادث في العربية القديمة؛ بدليل عدم وجوده - أي: الفتح - في اللغات السامية الأخرى، وبدليل ما بقي من الكسر في

(١) لسان العرب، ابن منظور: فصل (الواو) ٤٠٢/١٥-٤٠٣.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، الإستراباذي: ١٤١/١.

(٣) الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس: ٢٥.

(٤) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبدالنواب: ١٢٥.

(٥) ينظر: اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الجندى: ٣٩٧/١.

بعض اللهجات العربية القديمة واستمراره حتى الآن في اللهجات المعاصرة^(١). فكل ذلك يؤكد أن الأصل في حروف المضارعة هو الكسر.

إلا أن الدكتور إبراهيم أنيس (ت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م) يرى أصالة الفتح، حيث يقول: "نرجح أن الأصل في شكل حروف المضارعة هو ما شاع في لهجات الحجاز من الفتح في كل الحالات. وقد انحدر هذا الأصل إلى هذه اللهجات من السامية الأولى، ثم تطور إلى كسر في معظم اللغات السامية"^(٢).

والذي يؤيد وجهة الدكتور رمضان عبد التواب في أن الكسر هو الأصل ما ذكره سيبويه في كتابه من أن كسر أول الفعل المضارع لغة جميع العرب إلا الحجاز، فلغتهم الفتح، قال: وهو الأصل^(٣). فقول سيبويه: إن الكسر لغة جميع العرب يؤكد ظهور وشيوع هذه الظاهرة على الأصل، والفتح هو الذي يمكن أن يعتبر تطوراً في اللغة، أما قوله عن الفتح "وهو الأصل" فهذا تحليل منه لم يقم على دليل منطقي، وإلى نحو هذا ذهب ابن سيده (ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م)، بعد توصيفه لهذه الظاهرة أنها لغة الجميع إلا الحجازيين قال: "وجميع ما ذكرنا مفتوح في لغة أهل الحجاز وهو الأصل يعني تَعْلَمُ ونَعْلَمُ وما أشبهه وصارت لغتهم الأصل، لأن العربية أصلها

(١) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب: ١٢٥.

(٢) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ١٤٠.

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١١٠/٤.

إسماعيل عليه السلام، وكان مسكنه مكة^(١). بمعنى أن الأغلب كان على لسان العرب هو الكسر ثم ساد الفتح الذي هو للحجازيين، وأصبح هو الأصل متأخراً، أي: هو المعتمد في اللغة الفصحى المشتركة التي تعتمدها القبائل العربية في التخاطب ونصوصها الأدبية وليس أصلاً بمعنى أسبق وأقدم. وقد ردَّ بعض الباحثين على استدلال الدكتور رمضان عبدالنواب، فقوله بعدم وجود الفتح في الساميات، يُعترض عليه بأن العربية هي اللغة السامية التي بقيت في الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات، فالفتح ليس حادثاً فيها بل إنه الأصل، والكسر هو الذي حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم^(٢).

أما قضية استمراره في اللهجات اليوم فيرجع ذلك إلى أن اللهجات اليوم متوارثة عن لغات عربية قد يكون بعضها محافظاً على الصيغة القديمة، وقد يكون متطوراً عن هذه اللغات التي غيرت نهجها وفقاً لقوانين لغوية^(٣).

وقد فسر الدكتور إبراهيم أنيس هذه الظاهرة من المنظور الاجتماعي، وذلك بأن بعض القبائل التي تأثرت بحياة التحضر قد آثرت صوت اللين الأمامي الذي نسميه الكسرة، وأن بهراء قد تأثرت بما في الشام من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطردهما حرف المضارعة^(٤).

(١) ينظر: المخصص، ابن سيده: ٣٣٣/٤.

(٢) ينظر: اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبدالغفار حامد: ٢٩٥.

(٣) ينظر: لغة تميم، ضاحي عبدالباقي: ٢١٠.

(٤) ينظر: في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس: ١٣٩.

وهذا التعليل لا يستقيم في تفسير جنوح اللهجة البغدادية نحو هذه الظاهرة، وذلك لأن الظاهرة شائعة بين سكان المدينة والريف على حد سواء، بل ولا يستقيم حتى في تعليل شيوع هذه الظاهرة في اللهجات القديمة؛ لوجود هذه الظاهرة في لهجات البادية.

لذلك يعلق الدكتور عبده الراجحي (ت ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م) على هذا التعليل بأنه يصح لو أن الرواة لم ينسبوا هذه الظاهرة إلى تميم وهذيل، فتميم من قبائل البادية، وهذيل من القبائل الحجازية، لكن ذلك يمكن أن يرتضى لأن اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف^(١).

وقد بين الدكتور محمد عبدالخالق عضيمة (ت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) أن العرب تكسر حروف المضارعة في مضارع الثلاثي المبني للفاعل إذا كان ماضيه على وزن فَعِلَ، أي: مكسور العين، فيقولون: اعلم، ونعلم، وتعلم، وكذا في المثال والأجوف والناقص والمضاعف نحو: إيجل، وإحال، وإشقي وإعض^(٢).

وفسر ذلك كله بقوله: "وإنما كسرت حروف المضارعة تنبيهاً على كسر عين الماضي، ولم يكسروا العين لئلا يلتبس وزن بوزن يفعل المفتوح يلتبس بمضارع فعل يفعل ولم يكسر والياء للاستثقال"^(٣).

(١) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي: ١١٧.

(٢) ينظر: المعنى في تصريف الأفعال، عضيمة: ١٦٠.

(٣) المعنى في تصريف الأفعال، عضيمة: ١٦٠.

وكذلك كسروا حروف المضارعة غير الياء تنبيهاً على كون الماضي مكسور الأول وهو همزة، وكسروا ما أوله تاء زائدة نحو: تتكلم؛ تشبيهاً له بباب انفعال لدلالته على المطاوعة مثله^(١).

وكل ما علل به عزيمة يبدو أنه من قبيل القياس الخاطئ من الناطقين بهذه اللهجة، وإن سماه عزيمة: "تنبيهاً لـ"، لأن الكسر لهجي لا يظهر أنه واعٍ إلى درجة أن من يكسر حرف المضارع يريد التنبيه إلى ماضيه أو عين الفعل المكسور، فيبقى التوجيه أن ذلك من قبيل القياس الخاطئ على غيره مما كُسر.

وكما يبدو أن هذه الظاهرة كانت تقتصر على كسر تاء المضارعة فحسب، بدليل أكثر الشواهد التي يوردها اللغويون لهذه الظاهرة هي بالتاء، وبدليل لقب هذه الظاهرة أنها سُميت بـ"الثلاثة" نسبة إلى تحريك تاء المضارعة بالكسر، كما قالوا: "الكشكشة"^(٢) نسبة إلى الشين التي تُبدل من كاف الخطاب للمؤنث، أما ما حصل في اللهجة البغدادية المعاصرة ومن قبلها اللهجات العربية القديمة، فهو أن عُمِّمت هذه الظاهرة على ياء المضارعة ونونها أيضاً، فيقولون: يكتب، يدرس، يلعب، يزرع، يحمي، يدري، يضرب. كما يقولون في كسر تاء المضارعة: تكتب، تلعب، تدرس، تنجح، تمشح، وفي نون المضارعة يقولون: نجي، نلعب، نشرب، نلبس، نضرب.

فقد عُمِّمت هذه الظاهرة على حروف المضارعة مع أنها تختص بالتاء من حيث الأصل، كما في حال ظاهرة الكشكشة التي كانت تختص بكاف

(١) السابق نفسه.

(٢) وهي عبارة عن إبدال كاف المؤنثة في الوقف شيئاً أو إلحاقها شيئاً، وقد نسبها سيبويه إلى ناس كثير من تميم وناس من أسدٍ. ينظر: الكتاب، سيبويه: ١٩٩/٤.

الخطاب المكسورة في ضمير المؤنث عند الوقف، نحو: إنَّشِ أي: إنَّك، ومالش أي: مالك. وذلك للفصل بين كاف الخطاب المفتوحة للمذكر والمكسورة للمؤنث حال الوقف^(١)، ثم عُمِّمت حال الوصل وفي غير كاف الخطاب نحو: "الديش" أي الديك^(٢). وفي اللهجة البغدادية المعاصرة أيضاً قد عُمِّمت هذه الظاهرة على غير كاف الخطاب المؤنثة.

ثانياً- الفعل الماضي:

يكثُر في اللهجة البغدادية المعاصرة كَسْرُ أول الفعل الثلاثي المجرد، ولا فرق في هذا الكسر بين الفعل مفتوح العين أو مضموم العين^(٣) أو مكسور العين، وإنَّ عين الثلاثي المجرد في اللهجة مفتوحة باطراد، ولا تراعي اللهجة الفوارق الصوتية الفصيحة بين الأفعال المختلفة من حيث فتح عين الفعل أو ضمها أو كسرها، وهذه الظاهرة -كسر أول الفعل- تشيع في بغداد، بل وفي جميع محافظات العراق. ومن شواهد ذلك في اللهجة البغدادية:

النطق في اللهجة	النطق الفصيح
قَتَلَ	قَتَلَ
كَسَرَ	كَسَرَ
جَمَعَ	جَمَعَ

(١) ينظر: الكتاب، سيبويه: ١٩٩/٤.

(٢) ينظر: فصول في فقه اللغة، رمضان عبدالنواب: ١٤٧.

(٣) وإن كانت الأفعال مضمومة العين لا تستعمل في اللهجة إلا نادراً أصلاً، حسب تنبهي لمعجم الألفاظ التي تدرج على ألسنة البغداديين، لكن لو استعمل يُكسر أوله على الغالب، ولا أعرف سبب موت أو ضمور المفردات الفعلية مضمومة العين من حيث الاستعمال.

نَزَلَ	نَزَلْ
كَتَبَ	كِتَبْ
دَرَسَ	دِرْسْ
رَكَضَ	رِكْضْ
طَلَعَ	طِلْعْ
نَزَلَ	نِزَلْ
سَلِمَ	سِلْمْ
رَكَبَ	رِكَبْ
سَمِعَ	سِمِعْ
حَمَدَ	حِمْدْ
سَمِنَ	سِمِنْ
عَظُمَ	عِظْمْ
صَلَبَ	صِلَبْ
فَسَقَ	فِسْقْ
أَدَبَ	إِدَبْ
جَرَأَ	جِرْأْ
شَرَفَ	شِرْفْ
نَبَلَ	نِبَلْ

وتفسير هذه الظاهرة وهي كسر الحرف الأول في الماضي هو القياس على المضارع الذي يُكسر أوله في اللهجة باطراد، كما بينا في ظاهرة التثنية.

ولم تشهد اللهجات العربية القديمة هذه الظاهرة أو على الأقل لم تُنقل إلينا إن كانت موجودة بوصفها ظاهرة، وقد ذكر سيوييه في كتابه مثلاً واحداً لكسر الحرف الأول من الفعل الماضي في اللهجات العربية القديمة، وهو: مِتُّ تموت، ومُتُّ تموت أقيس^(١). وذكر ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م) أن ما كسر أوله من الماضي في كلام العرب هو: دِمْتُ أدوم، ومِتُّ أموت فقط^(٢).

وقد ذكر كارل بروكلمان شاهداً في باب قلب الأصوات التأثري، وهو نشوء حركات جديدة في أول الكلمة، وسماها حركة مساعدة، وهذه الحركة المساعدة كما يقول: هي في العربية الكسرة^(٣). فيبين أن العربية تميل إلى الكسر حتى في نشوء واستحداث حركات مساعدة، وذلك يعتمد على الخفة واليسر في النطق في أغلب أحواله.

وقد نجد في اللهجة البغدادية مجموعة من الأفعال الثلاثية المجردة مضمومة الفاء، مما يوجب علينا تحليل أو تعليل هذا الضم والأسباب التي دعت إليه، وعلّة عدم خضوع هذه المفردات الفعلية إلى ظاهرة كسر أولها كغيرها من مفردات اللهجة، ومن شواهد ذلك في اللهجة:

النطق في اللهجة	النطق الفصيح
صُبِّرَ	صَبَّرَ يَصْبِرُ
صُمِّدَ	صَمَدَ يَصْمُدُ
جُبِّرَ	جَبَّرَ يَجْبِرُ
رُمِّمَ	رَمَى يرمى

(١) الكتاب، سيوييه: ٤٠/٤.

(٢) ينظر: ليس في كلام العرب، ابن خالويه: ٥٩.

(٣) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان: ٧٣.

كُمَشَ يَكُمُشُ (٢)	كُمَشَ (١)
مَكَّرَ يَمَكُرُ	مَكَّرَ
طَفَّرَ يَطْفِرُ	طَفَّرَ (٣)
قَفَّرَ يَقْفِرُ	قَفَّرَ (٤)
سَبَقَ يَسْبِقُ	سَبَقَ
بَرَكَ يَبْرُكُ	بَرَكَ
نَوَى	نَوَى
بَقَّرَ يَبْقُرُ	بَقَّرَ بَطْنَهُ
طَمَعَ يَطْمَعُ (٥)	طَمَعَ
دَفَّرَ (٧) يَدْفُرُ	دَفَّرَ (٦)
طَبَعَ يَطْبَعُ	طَبَعَ

(١) تستعمل هذه المفردة رديفاً للفعل (أمسك).

(٢) الكمش: الرجل السريع الماضي. رجل كمش وكميش: عزوم ماضٍ سريع في أموره، كمش كمشا وكمش، بالضم، يكمش كماشة وانكمش في أمره. ينظر: لسان العرب: مادة (كمش) ٣٤٣/٦.

(٣) طَفَّرَ: قَفَّرَ، ووَتَّبَ في ارتفاع، وطَفَّرَ الشَّيْءَ: قَفَّرَ من فوقه وتخطَّاه إلى ما وراءه. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ١٤٠٤/٢.

(٤) تستعمل هذه اللفظة رديفة لـ (قَفَّرَ) وحصل إبدال بين الفاء والميم، وكلاهما صوت شفوي فيمكن الإبدال بين الصوتين لقرب المخرج مع القاف في اللهجة تنطق قافاً مجهورة وهي ما تُسمى بالحيم السامية المفردة أُر الحيم القاهرية.

(٥) يُقَالُ في التَعَجُّبِ طَمَعَ يَطْمَعُ طَمْعٌ. ينظر: تاج العروس، الزبيدي: مادة (طمع) ٤٥٩/٢١.

(٦) يقول البغداديون: دَفَّرَ أَي: أَي ركله برجله.

(٧) جاء في اللسان: "الدفر: الدفع. دفر في عنقه دفرأ: دفع في صدره ومنعه.. ودفرته في قفاه دفرأ أي دفعته. ينظر: لسان العرب مادة (دفر) ٢٨٩ / ٤.

صَفَا يَصْفُو	صُفَّ (١)
بَرَدَ يَبْرُدُ	بُرِّدَ (٢)
خَمَدَ يَخْمُدُ	خُمِدَ
طَبَقَ يَطْبُقُ	طُبِّغَ (٣)
كَبَّرَ يَكْبِرُ	كُبِّرَ
عَبَّرَ يَعْبُرُ	عُبِّرَ

والذي نستطيع أن نقوله في سبب ضم أول هذه الأفعال في اللهجة البغدادية، وعدم خضوعها لظاهرة كسر أوائل الكلمات كغيرها من الأفعال والمفردات عموماً، مجموعة أمور، يمكن رصدها من خلال ملاحظة هذه الأفعال والاطلاع على أصولها المعجمية في الماضي والمضارع وانتمائها إلى الباب الصرفي من حيث حركة عين الفعل في الماضي والمضارع، وهذه الأمور أو الملاحظات هي:

أولها: إن عينَ الفعل الذي ضُمَّ أوله، مضمومةٌ في ماضيه الفصيح، فكأن الضم في العين نُقِلَ إلى فاء الفعل، أو تأثرت حركة فاء الكلمة بعينها للمجاورة فحدث الضم للمجاورة، ثم فُتِحَت عين الكلمة لاطراد ذلك الفتح في الجميع؛ لأن فتح عين الفعل مطرد في جميع الأفعال الماضية في اللهجة،

(١) يقول البغداديون: صُفَّ المَي. بتفخيم فتحة الميم أي: صَفَا الماء.

(٢) هذه المفردة هي من المشترك اللفظي فيمكن أن تكون من البرد والنحت ويمكن أن تكون من البرودة. وعين الفعل تفتح وتضم في الفصحى، جاء في القاموس: بَرَدَ، كَنَصَرَ وَكَرَّمَ، بُرُودَةٌ، وَمَاءٌ بَرْدٌ وَبَارِدٌ. القاموس المحيط: فصل الباء ١ / ٢٦٧.

والفرق في الفصحى أن الأول مفتوح العين (بَرَدَ) والثاني مضموم العين (بُرِّدَ).

(٣) يقول البغداديون: طُبِّغَ الباب. أي: أغلقه.

فيكون نوعاً من انتقال الحركة أو من التأثر للمجاورة كما في مثل (كُمَشْ من كُمَشَ و كُبِرَ من كُبُرَ).

ثانياً: يُضَمُّ أولُ الفعلِ أحياناً نتيجة ضمِّ عينه في المضارع الفصيح، وهذا الضم للماضي من القياس على المضارع والاعتداد بحركة عينه والتأثر بها دون مراعاة لماضيه مفتوح العين أو مكسور العين، وهذا واضح في بعض الأفعال المضارعة مضمومة العين الواردة في الجدول السابق.

ثالثاً: قد يُضَمُّ أولُ الفعلِ نتيجة التأثر بلام الكلمة الواوي، والضم بعض الواو كما هو معلوم، فمثلاً الفعل (صَفَا)، مع أن أول الفعل مفتوح في الفصيح، ولا يوجد مبرر للضم في أوله، إلا أن اللهجة راعت أصل الألف وهو الواو، بدليل مضارعه (يصفو)، فُضِمَ أوله مراعاة للواو التي هي الأصل، أو نقول مراعاة للمضارع المشتمل على الواو وهي لام الكلمة.

رابعاً: يتأثر أول الفعل فيضم في حال أن الفعل يكثر استعماله بصيغة المبني للمجهول، ومثال ذلك (طَبَعَ) فيقال: (طُبِعَ الكتاب، طُبِعَت الصحيفة) وفي التنزيل: (فَطَبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمُ) المنافقون: ٣، وإن كان الطبع هنا بمعنى آخر، إلا أن كثرة بناء الفعل للمجهول ساعد على ضم أول الفعل الماضي.

ثم إن اللهجة البغدادية قد استغنت عن صيغة المبني للمجهول (فُعِلَ) أصلاً بصيغة انفعال^(١). فما يكثر بناؤه للمجهول ضم أوله في الماضي بالقياس الخاطئ على المبني للمجهول الفصيح الذي غاب استعماله في اللهجة.

ومن الملاحظ هنا أيضاً أن الأفعال الدالة على السرعة والسير والحري يُضم أولها غالباً كما في الأفعال: (طُقِرَ، كُمِرَ، سُبِقَ، بُقِرَ، دُفِرَ، طُبِغَ، كُمَشَ، رُمَ).

وقد يُفتح أول الفعل على الأصل لكن هذا نادر جداً، فيقولون مثلاً: (زَعَلَ^(٢)، رَحَلَ) والأول يمكن أن نقول في سبب فتحه أن فاءه فتحت قياساً على الفعل (زاعل) يقولون: زَاعَلَ صديقه. المستعملة في اللهجة بنفس المعنى الثلاثي - زَاعَلَ صديقه أو زَعَلَ منه -.

وما كان مجرداً ومشدداً أي مدغم العين في اللام فيفتح أوله أيضاً فيقولون: (جَرَّ، دَرَّ، كَدَّ، عَدَّ...).

(١) انفعال صيغة مجهول. انثكل أي أكل. انفُقَدَ أي: فُقِدَ. انكسر أي: كُسِرَ. انجمع أي: جُمِعَ. انقتل أي: قُتِلَ. فاستغنت اللهجة بصيغة انفعال عن صيغة فُعِلَ.

(٢) تستعمل هذه المفردة بمعنى التضجر والمخاصمة فيقولون: زَعَلَ فلان. أي: تضجر من شيء. ولم أجد في المعجم رابطاً بين هذا الجذر ومعناه المستعمل في اللهجة البغدادية، فَرَعَلَ يَزَعَلُ من باب فَرَجَ. بمعنى نشط، وفي تكلمة المعاجم زَعَلَ، عند البدو: بهت، دهش، انذهل. وفي المدن: اغتاظ، تسخط، سخط، حنق. ينظر: تكلمة المعاجم العربية، رينهارت: ٣٣٠/٥. ويقول أحمد مختار عمر: زَعَلَ بمعنى ضَجِرَ واغتاظ وهي مرفوضة؛ لأنها لم ترد بهذا المعنى في المعاجم القديمة. ينظر: معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر: ٤٢٢/١.

أما الفعل الماضي المزيد بحرف، فلا يُكسر أوله في اللهجة فما كان على وزن "أفعل"، فيقولون: (أَكْرَم، أَبَدَع، أَنْتَج...) وما كان على وزن فَعَّل: فلا يُكسر أوله أيضاً فيقولون: (كَسَّر، جَمَّع، رَوَّض، دَوَّر، عَظَّم، هَدَّم، رَوَّر).

وكذلك ما كان على وزن فاعل: فالناطقون باللهجة البغدادية لا يكسرون أوله، فيقولون: (سَافِر، قَاتِل، عَارِك، نَاطِح...) وذلك أن الفتحة الطويلة بعد الصامت الأول هي التي منعت كسر الصوت الأول، كما هو الحال في الثلاثي المجرد الأجوف الأنفي فيقولون: (نَام، قَام، صَام) من دون كسر.

ثالثاً - فعل الأمر:

يُصاغ فعلُ الأمرِ في فصحي اللغة العربية من الفعل المضارع كما يقول النحويون، وذلك بعد حذف حرف المضارعة دون أي تغيير، إلا أن حذف حرف المضارعة من الفعل الثلاثي يؤدي إلى الابتداء بالساكن وهذا محظور في النظام المقطعي للغة العربية لذلك نلجأ إلى الابتداء بهمزة الوصل تخلصاً من الابتداء بالساكن، وتُنطق الهمزة مضمومة إذا كانت عين الفعل مضمومة نحو: أكتُب. وتُنطق مكسورة في غير ذلك نحو: (اجلس، افتح)، أما الأفعال التي تبدأ بحرفٍ متحرك بعد حذف حرف المضارعة فلا تحتاج إلى شيء نحو: (دَحرج، ناقش، نم)^(١).

ومن الملاحظ في لهجة بعض البغداديين، أنه يطرد فيها كسرُ أول فعل الأمر، وهذه اللهجة تُمثل شريحة معينة وانتماءً معيناً لسكان بغداد، وهم

(١) ينظر: التطبيق النحوي، عبده الراجحي: ٥٩-٦٠.

السكان المنتمون إلى المذهب الشيعي، وعلّة ذلك - كما يظهر - أنهم قوم نزحوا من جنوب العراق إلى بغداد في منتصف القرن الماضي، ونقلوا لهجة الجنوب إلى بغداد، فيقولون مثلاً فيما كان أصله الفصحى الضم:

اللهجة العامية	اللهجة الفصحى
إِخْذ	خُذْ
إِدْرَس ^(١)	أُدْرَس
إِكْل	كُلْ
إِكْتَل	أُقْتَل
إِغْعَد	أُقْعَد
كِلْه	قُلْ له
إِسْكِن	أُسْكِن
إِنْكِل	أُنْقَل
إِدْجِل	أُدْخَل
إِخْرِج	أُخْرِج
إِطْرِد	أُطْرِد
إِنْقَش	أُنْقَش
إِثْرِد	أُثْرِد

(١) بعض سكان بغداد يضمون همزة الوصل على الأصل في جميع هذه الأفعال وهم الذين لا ينتمون إلى من نزحوا إلى بغداد من جنوب العراق.

أرْشُق	إرْشِغ
أرْفُص	إرْغِص
أُسْرِد	إِسْرِد
أَفْرُص	إِغْرِص

وكسر مثل هذه المفردات يختص به من ذكرنا من سكان بغداد، أما بقيّة سكانها من غير هؤلاء القوم، فهم يضمون أول هذه الأفعال على الأصل، فيقولون: (أَدْخُل، أَدْزُس، أَخْرُج، أَكْغُد....)، إلا أن سكان بغداد جميعاً يشتركون في كسر بعض المفردات التي حقها الضم في الفصحى، وذلك نحو:

اللهجة العامية	اللهجة الفصحى
إَكْتَب ^(١)	أَكْتَب
مِد	أَمْدَد أو مُدّ
إِحْرَص	أَحْرَص
إِدْبَغ	أَدْبَغ
إِفْلَق ^(٢)	أَفْلَق
إِحْضِن	أَحْضِن
إِخْلِق	أَخْلِق

(١) مع أن مثل هذه الأفعال مضمومة العين في المضارع فتقتضي أن تُضم همزة الوصل فيها إلا أن اللهجة البغدادية عموماً تكسر أول الفعل.

(٢) يقال فلّقه. أي: شقه.

إِدْلِك	أُدْلِك
إِدْهِن	أُدْهِن
إِرْجِف	أُرْجِف
إِرْسِم	أُرْسِم
إِسْجِن	أُسْجِن
إِسْلِب	أُسْلِب
إِصْقِلْ أَوْ اسْقِلْ	أُصْقِلْ أَوْ أُسْقِلْ
إِعْضِدْ	أُعْضِدْ
إِعْلِجْ	أُعْلِكْ

والذي يظهر أن عموم سكان بغداد قد تأثروا باللهجة الجنوبية في كسر أوائل الأفعال التي مرَّ ذكرها، وذلك أن الذين استوطنوا بغداد من أهل الجنوب جاؤوا بأعداد كبيرة، واحتلوا مواقع كثيرة، خصوصاً المواقع التي تحصل فيها ملامسة واحتكاك واختلاط بين أبناء هذه المحافظة كالأسواق العامة الشعبية وغيرها من مرافق الحياة.

وإلا فاللهجة البغدادية الأصلية لا تكسر أول فعل الأمر الذي مضارعه مضموم إلا نادراً في بعض المفردات فيقولون في الغالب: (أدرس، أكتب، أنصُر...).

ومن المحتمل أن يكون سبب كسر أول فعل الأمر في اللهجة البغدادية يرجع إلى القياس على كسر الحرف الأول من الأفعال الجوفاء اليائية في مثل:

(بِع، زِد، أَعِد) التي تُنطق بتطويل الحركة القصيرة -الكسرة- في اللهجة
البغدادية المعاصرة فتكون: (بِيع، زِيد، عِيد)، فقياساً على هذا الكسر كُسر
أول فعل الأمر.

الخاتمة:

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله على ما أعان ويسر، وسدد ومهد، أود أن أوجز مجموعة النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

أولاً: بين البحث في جميع مواطن الرصد والاستقراء والتحليل أن اللهجة البغدادية العامية هي امتداد للفصحى واللهجات العربية الفصيحة القديمة فيما يتعلق بظاهرة كسر أوائل الكلمات، أو نقول فصحي جرى عليها بعض التحريف والتغيير لأسباب معينة ذكرناها في مواطن متفرقة من البحث.

ثانياً: اشتملت اللهجة البغدادية على ظاهرة كسر أول الأسماء، وترجع هذه الظاهرة كما بينا إلى لهجة الحجازيين، وعلة ذلك الكسر في اللهجة إما مدنيةً وتحضراً، وإما من قبيل القياس الخاطيء على الألفاظ التي يحدث فيها مماثلة صوتية إذا جاء بعد حركة الحرف الأول فيها حرف متلوّ بكسرة قصيرة أو طويلة، كما في: بَعِير: أي بَعِير، وشَعِير: أي شَعِير.

ثالثاً: يمكن تفسير جنوح اللهجة نحو الكسر بمبدأ السهولة واليسير، فاللغات عموماً تسعى نحو السهولة واليسير والاقتصاد في الجهد العضلي، وإذا كان هذا وارداً، فمن الطبيعي أن تسعى أو تميل بعض اللهجات في تطورها نحو الكسر، وتنصرف عن الضم ما أمكن، فإن أثقل الحركات الضمة؛ لأنها لا تتم إلا بضم الشفتين، ولا يتم ذلك إلا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين إلى طرفي الشفة، وأما الكسرة فإنه يكفي في تحصيلها العضلة الواحدة الجارية، ثم الفتحة يكفي فيها عمل ضعيف لتلك العضلة.

رابعاً: رصد البحث في اللهجة، كسر ياء المضارعة وتائها ونونها، وهذه ظاهرة شائعة عند جميع سكان بغداد بل تشيع في معظم محافظات العراق اليوم، وهذه الظاهرة التي نشير إليها يؤكد كثير من الباحثين والمتابعين اللهجات المعاصرة في مختلف أقطارنا العربية، وجودها في اللهجات العامية، والحقيقة أنها ظاهرة عرفت اللهجات العربية قديماً كما تعرف بالثلثة عند المتقدمين أو "ثلثة بهراء".

خامساً: بين البحث أن الفعل الماضي في اللهجة البغدادية المعاصرة قد تأثر بهذه الظاهرة أيضاً، وتفسير هذا التأثير هو بالقياس على المضارع الذي يُكسر أوله في اللهجة باطراد.

سادساً: رصد البحث مجموعة من الأفعال الماضية الثلاثية المجردة في اللهجة البغدادية مضمومة الفاء، أي أنها لم تخضع لظاهرة كسر أوائل الكلمات كغيرها من الأفعال، وقد عللنا ذلك بأربع علل وهي مفصلة في محلها.

سابعاً: من الملاحظ في جزء من اللهجة البغدادية أنها يطرد فيها كسر أول فعل الأمر، وهذه اللهجة تمثل انتماء معيناً لسكان بغداد، وهم السكان الذين نزحوا إلى بغداد من جنوب العراق واستقروا فيها في منتصف القرن الماضي، ونقلوا معهم لهجة الجنوب إلى بغداد.

ويشترك جميع سكان بغداد بكسر بعض المفردات، وقد يكون هذا من التأثير باللهجة الوافدة عليهم، أو يرجع إلى القياس على كسر الحرف الأول من الأفعال الجوفاء الياثية في مثل: (بيع، زد، أعِد) التي تنطق بتطويل الحركة القصيرة -الكسرة- فتكون: (بيع، زيد، عيد).

المصادر والمراجع

١. أسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
٣. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ابن السيد البطليوسي، دار الكتب المصرية، القاهرة، تحقيق: أ. مصطفى السقا - د. حامد عبد المجيد.
٤. بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبدالرزاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى الزبيدي ، دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين.
٦. تاريخ الأدب العربي -العصر الجاهلي-، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر - القاهرة.
٧. التطبيق النحوي، عبده الراجحي، دار الميسرة، الأردن - عمان، الطبعة الثالثة: ٢٠١٠م.
٨. التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- ٩ . تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمّد سلّيم النّعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.
- ١٠ . الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ١١ . الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
- ١٢ . دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لبنان - بيروت، ٢٠٠٩م.
- ١٣ . درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (ت ٥١٦هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨/١٩٩٨هـ، تحقيق: عرفات مطرجي.
- ١٤ . سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١٥ . شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد وآخرين.

- ١٦ . الصاحبى فى فقه اللغة العربىة ومسائلها وسنن العرب فى كلامها، أحمد بن فارس بن زكرياء القزوينى الرازى، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، محمد على بيضون، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ١٧ . علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠م.
- ١٨ . العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدى البصرى (ت ١٧٠هـ)، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومى، د. إبراهيم السامرائى.
- ١٩ . فصول فى فقه اللغة، رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة السادسة: ١٩٩٩م.
- ٢٠ . فقه اللغات السامية، بروكلمان، ترجمة: رمضان عبدالتواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧م.
- ٢١ . فى اللهجات العربىة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرىة، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م.
- ٢٢ . القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، تحقيق: مكتب تحقيق التراث فى مؤسسة الرسالة.
- ٢٣ . الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، مكتبة الخانجى، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون.
- ٢٤ . لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

٢٥. لغة تميم، ضاحي عبدالباقي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٥هـ.
٢٦. اللغة، فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠م.
٢٧. اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندبي، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٣٩٩هـ.
٢٨. اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٦م.
٢٩. اللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبدالغفار حامد هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٣٠. لهجة الكرك - دراسة وصفية تاريخية في الأصوات والأبنية-، عبدالقادر مرعي الخليل ود. يحيى القاسم، منشورات جامعة مؤتة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٣١. ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، مكة المكرمة، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.
٣٢. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٩م، المحقق: يوسف الشيخ محمد.

٣٣. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.
٣٤. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: فؤاد علي منصور.
٣٥. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.
٣٦. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبدالحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٨. مفاتيح الغيب، أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.
٣٩. المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠١٢م.

مشروع لكتابة

المعجم التاريخي للاصطلاحات الطبيّة

الدكتور نشأت حمارنة

تحتوي اللُّغة - أيُّه لُغة - على عددٍ من الألفاظ التي تدلُّ على أسماء الأمراض، وكُلِّما زاد عدد هذه الألفاظ في اللُّغة كان ذلك دليلاً على رقي الوعي الطَّبِّي عند هذا الشَّعب الناطق بهذه اللُّغة، وعلى اتِّساع معارفه العلميَّة وبخاصَّة الطَّبِّيَّة منها.

وإذا غاب عنا ما يشير إلى مستوى تطوُّر العلوم الطَّبِّيَّة في مرحلةٍ من مراحل حياة أحد الشعوب، فإنَّ العودة إلى مفردات لغة هذا الشَّعب في تلك الحِقْبة من الزَّمن يمكن أن يكون مَشعراً يشير إلى مدى علو هذا المستوى، ومقياساً ينبئ عن حجم المادَّة العلميَّة التي تراكمت نتيجةً لهذا التَّطوُّر.

وفيما يتعلَّق باللُّغة العربيَّة فإنَّنا إذا قمنا بهذا العمل مستعملين كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي، فإنَّنا نفاجأ بعدد الكلمات التي تحمل معنى ينمُّ عن معرفة طَبِّيَّة دقيقة. ومن المعروف أنَّ هذا الكتاب ظهر في مرحلة تسبق عصر المأمون، ومادَّته العلميَّة جُمِعت بعيداً عن مركز الخلافة العبَّاسيَّة حيثُ حصل الاتِّصال بين العرب والأعاجم في بغداد.

وإضافةً إلى عدد الكلمات الموجودة في هذا المعجم، فإنَّ بعض الفقرات تدلُّ أيضاً على أنَّ العرب امتلكوا - قبل الإسلام - بعض الحقائق

الطَّبَّيَّةُ التي تَدُلُّ على معرفةٍ علميَّةٍ مُهمَّةٍ، والتي لم تَلَفَتْ أنظار مؤرِّحي الطَّبِّ قبل الآن.

فعلى سبيل المثال نجد في (العين) نصاً يشرح فيه المؤلفُ معنى كلمة (الظَّفَرَةُ): ((الظَّفَرَةُ: جُلَيْدَةٌ تَغْشَى الْعَيْنَ تَنْبُتُ مِنْ تَلْقَاءِ الْمَاقِي، وَرُبَّمَا قُطِعَتْ، وَإِنْ تُرِكَتْ غَشِيَتْ بَصَرَ الْعَيْنِ حَتَّى يَكِلَ))^(١).

إنَّ هذا التَّعْرِيفَ بِمعنى الكلمة يَدُلُّ على معرفةٍ طَبَّيَّةٍ قَدِيمَةٍ توفرت للعرب أيام كَتَبَ الخليل معجمه، أيَّ قبل أن تتمَّ الترجمات المعروفة في العصر العبَّاسيِّ في بغداد، ويكفي للتدليل على أهمية هذا التعريف أن نقارنه بما كتبه الأطباء عند تأسيس علم العين العربيِّ.

يقول ابن سينا (المتوفى عام ١٠٣٦ م = ٤٢٨ هـ) في القانون: ((الظَّفَرَةُ: هي زيادةٌ من الملتحمة أو من الحِجَابِ المحيط بالعين، تبتدئ في أكثر الأمر من المُوَّقِّ، وتجري دائماً على الملتحمة، ورُبَّمَا غَشِيَتْ القرنية ونفذت عليها حتى تغطي الثَّقْبَةَ. .. وهو ينكشط بسرعةٍ وبأدنى تعليق. . ويحتاج إلى سلخ حسبما أنت تعلم ذلك))^(٢).

ويقول علي بن عيسى (المتوفى عام ١٠٣٨ م = ٤٢٩ هـ): في تذكرة الكَحَّالين: ((أما الظَّفَرَةُ فهي زيادةٌ عصبيَّةٌ في الصفاق الملتحم تنبت من المَاقِ الأكبر وتنبسط قليلاً قليلاً إلى الحجاب القرني. . . . وهي ضارَّةٌ بالعين. . ورُبَّمَا امتدَّت على الملتحم والقرني حتى تمنع البَصَرَ. .))^(٣).

فالتحليل يدوّن لنا ما يبرهن على أنّ المعرفة الطّبيّة في عصره كانت تصف (الظّفرة) وصفاً سريريّاً مختصراً وتعرف إنذارها السّيء، (كَلَل البصر)، وما يدُلُّ أيضاً على أنّ العرب عرفوا معالجتها جراحياً كلمة: (قطعت).

والفقرتان اللتان كتبهما عليّ بن عيسى وابن سينا في نهاية القرن العاشر أو بداية القرن الحادي عشر الميلاديّين تمثلان قَمّة المعرفة الطّبيّة منذ ذلك الوقت وحتى القرن الثامن عشر الميلاديّ، نستنتج من ذلك أنّ مثال (الظّفرة) يدُلُّ على أنّ العرب أيام التحليل كانوا على علمٍ بما كتبه الإغريق أيام جالينوس (القرن الثاني الميلاديّ). هذه الحقيقة التي تفتح أمامنا باباً جديداً للبحث عن مستوى الطّبّ عند العرب قبل عصر الترجمة بدليل التراث العربيّ المكتوب ذلك الزّمن، وعلى رأسه المعجمات اللُّغويّة.

إمّا أنّ المرضَ كان معروفاً للعرب قبل عصر التحليل فوضعوا له اسماً ، أو أنّهم أخذوا عن إحدى الحضارات المجاورة وصفَ هذا المرض فأعطوه اسماً عربيّاً ، فالتعريف الذي أعطاه التحليل للمصطلح يدُلُّ على معرفة طّبيّة متطوّرة، كما يدُلُّ أيضاً على أنّه كان يعرف إنذاره: ((... إن تُرَكَتْ عَشِيَتِ بَصَرَ العَيْنِ حَتَّى يَكِلَ)).

* * *

ومن ناحيةٍ أخرى إذا تأملنا الفروق اللُّغوية الدّقيقة بين بعض الألفاظ المتشابهة في دلالاتها العامّة، فإنّنا نأخذ فكرةً عن قوّة الملاحظة عند عامّة الناس الذين كانوا يستخدمون هذه الألفاظ، فعلى سبيل المثال:

إنَّ كلمة (فالج) تشير إلى (شلل) يصيب جسم الإنسان حيث (تسترخي) بعضُ الأعضاء وتعدم قدرتها على الحركة. لكنَّ (الفالج) الذي يشبه الشلل من حيث دلالتُهُ العامَّة يختلف عنه في الحقيقة. فالفالج شللٌ يصيب أحد شقِّي الجسم، أيَّ أنَّه يصيب نصفَ الجسم الأيسر أو نصفهُ الأيمن حيث تعطل حركة الطرفين العلوي والسفلي في ذلك الجزء من الجسم.

وهذا التفريق بين اللَّفظتين يعدُّ تعبيراً واضحاً عن وعي الناس الذين أدركوا الفرق بين الحالتين المرضيتين، وهو في حدِّ ذاته إشارةٌ إلى دقَّة الملاحظة في مجال المعرفة الطَّبَّية.

وإضافةً إلى ذلك فهو دليلٌ على رَغْبَةِ عامَّة الناس في التَّعبير عن الفرق بين الحالتين، وهو ما يمكن أن نعدَّهُ حالةً متقدِّمةً من الوعي المعرفي.

وكما أنَّ وعي عامَّة الناس هو الذي دفعهم إلى التمييز بين الحالتين، فإنَّ حرصهم على التَّعبير الدَّقِيق هو الذي جعلهم يصرُّون على استعمال كلمةٍ معينةٍ مقابل كلمةٍ أخرى، فكلُّ كلمةٍ لها دلالتها الخاصَّة.

والرَّغْبَةُ في التَّعبير الدَّقِيق وحدها لا تكفي لاختيار لفظتين لهذا الغرض؛ إذ لا بُدَّ من أن تكون اللُّغَةُ نفسها على درجةٍ من الغنى تسمح لمن يفتش عن لفظيةٍ معينةٍ في العثور عليها. فلولا غنى اللُّغَة العربيَّة لقال الناس (الشلل النَّصفي) للإشارة إلى (الفالج) في مقابل (الشلل)، وهذا حال اللُّغات الأوروبيَّة الحديثة التي لا تتمتع بهذا الغنى الذي تتمتع به اللُّغَة العربيَّة.

والتفتيش في اللُّغَة يستدعي _ هو الآخر _ مقدرةً معينةً أو موهبةً خاصَّةً عند من يقوم بعملية التفتيش وهذا مثلاً على ما نذهب إليه.

الفالج:

يقول ابن فارس في مقاييس اللُّغة^(٤): ((الفاء واللام والجيم أصلاً صحیحان، يدلُّ أحدهما على فوزٍ وَعَلْبَة، والآخر على فُرْجَة بين الشَّيئين المتساويين^(٥))).

ومن هنا نجد أنَّ معنى (فَلَجْتُ الشَّيءَ) هو: قَسَمْتُهُ إلى نصفين متساويين. وكذلك يقول الخليل بن أحمد في (العين)^(٦): ((فَلَجْتُ الشَّيءَ: قَسَمْتُهُ)). و(الفَلَجُ) هو نصف الشَّيء^(٧).

ويقول ابن فارس^(٨): ((قال ابن دُرَيْد: وَإِنَّمَا قِيلَ فُلَجَ الرَّجُلُ لِأَنَّهُ ذَهَبَ نِصْفَهُ))^(٩).

هذه المقدرة اللُّغوية هي التي جعلت أحد الناس يلجأ إلى استعمال كلمة (الفالج) لتشير إلى هذا المرض المعروف، وهذا اجتهادٌ قام به أحدُ الأفراد فوجد قبولاً عند الناس، والدليل على ذلك هو انتشار هذه الكلمة بمعناها الجديد واشتهارها.

* * *

ولأنَّ اللُّغة العربيَّة غنيَّة بالألفاظ التي تحمل دلالاتٍ متشابهةً، فقد تمكَّن الأطباء من اختيار بعض الألفاظ لكي تكون لها دلالةٌ محددةٌ في حقل الطَّبِّ، وهذا ما يسمِّيهِ بعض الدَّارسين التَّخصيص. والأمثلة كثيرةٌ على (تخصيص) لفظةٍ ما من اللُّغة للدلالة على مرضٍ معين.

ففي اللُّغة _ على سبيل المثال _ تحمل كلمة (الرُّعْشَة) المعنى نفسه الذي تحمله كلمة (الرُّعْدَة). يقول ابن فارس^(١٠): ((الراء والعين والشين: الاضطراب والارتعاد))، ومن ذلك: ((رجلٌ رَعَشٌ))، ويقول الخليل^(١١): ((الرَّعَشُ: رِعْدَةٌ تعترى الإنسان، ارتعش الرجلُ، وارتعشت يدهُ))، ((الرُّعَاشُ: رِعْشَةٌ تغشى الإنسان من داءٍ يصيبه))((ارتعش رأس الشيخ)).

وقد جاء وقتُ اختار الأطباء فيه لفظة (الرُّعْشَة) لتدلَّ على المرض الذي وصفوه. ولم يستعملوا كلمة (الرَّعَش) ولا كلمة (الرُّعَاش) وهما لفظتان من الجذر نفسه تحملان المعنى نفسه. وهذا الاختيار لا بُدَّ أن يكونَ أحد الأطباء قد لجأ إليه؛ فلقي قبولاً من أهل الاختصاص واستعملوه فاشتهرَ.

يقول أهل اللُّغة عن هذا الأمر: إنَّ الأطباء نقلوا اللَّفْظَة من حقل الاستخدام اللُّغوي العامِّ إلى حقل الاستخدام الخاصِّ. وهنا صارت (الرُّعْشَة)(اصطلاحاً)، لقد جرت عملية تخصيص لكلمة (الرُّعْشَة) فصارت اصطلاحاً طبَّياً.

ومن المعروف أنَّ (الاصطلاح) كلمةٌ تحمل في اللُّغة معنى معيناً، ولكنها تحمل لأهل الاختصاص معنىً جديداً قد لا يفهمه عامَّة الناس وقد يفهمونه. فالاصطلاح كلمةٌ صار لها (دلالةٌ خاصَّةٌ) أي (دلالةٌ جديدةٌ) في حقلٍ من الحقول الخاصَّة.

لقد صارت لفظة (الرَّعْشَة) اصطلاحاً طبيياً أمّا لفظة (الرَّعْدَة)^(١٢) فقد ظلّت على حالها في اللُّغة، على الرُّغم من أنّ اللَّفْظَتَيْنِ تحمِلانِ المعنى نفسه، والذي قَرَّرَ ذلك هُمُ أَهْلُ الاختصاصِ وهم هنا الأَطْبَاءُ.

إنّ تخصيصَ كلمة (الرَّعْشَة) لتدلُّ على مرضٍ معينٍ يعني أنّ هذه اللَّفْظَة وُظِّفَتْ لتصيرِ اصطلاحاً طبيياً.

أمّا كلمة (الفالِج) فقد استُحدِثت في اللُّغة لهذا الغرض نفسه.

وما يقال عن (الرَّعْشَة) يقال عن (السُّبَات) ، فهذه اللَّفْظَةُ تدلُّ على (النَّوم) الطبيعي^(١٣)، أو على (النَّوم الغالب الكثير)^(١٤)، أو على نوعٍ من النَّوم (كالغَشِيَة)^(١٥)، لكنّها تدلُّ أيضاً على (مَرَض)^(١٦).

وهذا التَّشابه الذي رأيناه بين لفظتي (الرَّعْشَة) و(الرَّعْدَة) نشاهدده في حالاتٍ كثيرةٍ، ومنها على سبيل المثال: (البَثْرَة) و(الخُراج) وكذلك (الجَسَأ) و(الصَّلَابَة). وفي حالاتٍ أخرى كثيرةٍ يكون التَّشابه في المعنى بين كلمتين مشتقتين من الجذر نفسه كما شاهدنا في (الرَّعْشَة) و(الرَّعْش) و(الرُّعْش).

فعلى سبيل المثال استعمل الأَطْبَاءُ لفظتي (الجِحْكَة) و(الجِحْكَ) كما استعملوا لفظتي (النُّفَاح) و(الانتفَاح).

ولم يكن الأَطْبَاءُ متفقين دائماً لاختيارهم للاصطلاح المطلوب، ونعطي هنا مثلاً على ذلك: الكشكري في كتابه (الكُنَّاش في الطَّبِّ) (ظهر كتابه بين عامي: ٩٢٢ - ٩٣٢م). يعطف اصطلاح (التَّشْنُج) على اصطلاح (الكُرْاز) بينما يعطف ابن سينا اصطلاح (التَّمَدُّد) على اصطلاح (الكُرْاز) والأمثلة

عديدةً فهناك من جعلَ اصطلاحَ (الاسترخاء) مرادفاً (للاتّساع) وهناك من جعله مرادفاً (للابساط).

أما المثال الأشهر الذي لفتَ الأنظارَ فيه مايرهوف وبروفر فهو أنّ حنين بن إسحاق اختار لفظة الجليدية اسماً لبَلُورة العين (العَدَسَة)؛ ذلك أنّ الإغريق شَبَّهوها بالجليد في الوقت نفسه الذي اختار فيه يوحنا بن ماسويه لفظة (البَرْدِيَّة)، لأنَّ الإغريق شَبَّهوها بحبَّة البَرْد. وفي الحالتين فإنَّ وجه الشَّبه هو جمود هذه الرُّطوبة وشفوفها. ونلاحظ هنا أنّ حنيناً تمسك بالاصطلاح الذي وضعه، بينما استعمل ابن ماسويه الاصطلاحين ولم يُبَدِّ حماساً لأحدهما على حساب الآخر.

ونؤكِّد هنا أنّ المعنى الذي يحمله الاصطلاحُ في اللُّغة اليونانيَّة عند الأطبَّاء الإغريق هو الذي أوحى للأطبَّاء العرب بانتقاء الاصطلاح العربيِّ واعتماده.

* * *

وثمَّة كلماتٌ في اللُّغة لها دلالةٌ واضحةٌ على مرضٍ من الأمراض، وقد تكون هذه الدلالة المعنى الوحيد الذي تحمله اللفظة والمثال على ذلك هو كلمة (الحَوْل)^(١٧). وقد يكون للفظة أكثر من معنى، أحدُ هذه المعاني يدُلُّ على مرضٍ والمثال على ذلك كلمة (اللَّقْوَة)^(١٨)، فللقوة أكثر من دلالةٍ في اللُّغة، أحدُ هذه الدلالات هو اسمُ مرضٍ يصيب الوجه.

فالحَوْل في أساس اللُّغة يُدُلُّ على مرضٍ ولا يُدُلُّ على معنىٍ آخر، واللُّقوة في أساس اللُّغة تُدُلُّ على مرضٍ لكنَّها تُدُلُّ على معنىٍ آخر، والأطباء يفهمون من اللُّقوة معناها الطَّبِّيَّ، وهم لم يختاروا هذه اللَّفظة لتصبح اصطلاحاً طَبِّيَّاً، بل إنَّها تحمل المعنى الاصطلاحيَّ في أساس اللُّغة.

فالاصطلاحات الطَّبِّيَّة التي نجدُها في اللُّغة منذ الأيام الأولى لهذه اللُّغة كانت بمتناول الأطباء فاستعملوها وصارت في عهد التدوين اصطلاحاً فنياً، فالأطباء اختاروا بعضها كما في مثال (الرُّعْشة)، وخصَّصوا بعضها ليحمل الدلالة المرجوة في مجال الطَّبِّ كما في كلمة (السُّبات)، لكنَّ الأطباء استحدثوا بعض الألفاظ بغرض أن يجعلوها اصطلاحاً كما في (الفالج).

ومن الكلمات التي استُحدثت في اللُّغة لتدُلُّ على اسم مرضٍ كلمتا (الصُّداع) و(الشَّقِيقة) شأنهما في ذلك شأن كلمة (الفالج).

فكلمة (صُّداع) جاءت من الجذر الثلاثي (ص د ع) لتشير إلى اصطلاحٍ فنيٍّ^(١٩) في اللُّغة معناه (ألمٌ في الرأس)^(٢٠).

وكلمة (الشَّقِيقة) جاءت من الجذر الثلاثي (ش ق ق) لتدُلُّ على شكلٍ معينٍ من أشكال (الصُّداع) ينحصر الوَجَع فيه في (جانب) الرَّأس أيَّ في (نصف الرَّأس) أيَّ في (شَقِّ الرَّأس)^(٢١).

— زمن ظهور الاصطلاح:

إنَّ الألفاظ الطَّبِّيَّة التي نجدُها في معجم (العين)، التي تتأكَّد أصالتها حينما يشير ابن فارس في (مقاييس اللُّغة) إلى أصالة المعنى الذي تحمله في جذرها الثلاثي.

فعلى سبيل المثال: الشَّتْر: الخليل: ((الشَّتْر: انقلابٌ في جَفْنِ العَيْنِ
الأسفل قلماً يكون خِلْقَةً.

والشَّتْر، بجزم التاء: فِعْلُكَ بها. والنَّعْتُ: أَشْتَرُ وشَتْرَاءُ. وقد شَتَرَ يَشْتَرُ
شَتْرًا))^(٢٢).

ابن فارس: ((شتر: الشين والراء يدلُّ على خرقٍ في شيء. من ذلك الشتر
في العين: انقلابٌ في جفنها الأسفل مع خرقٍ يكون))^(٢٣).

لكنَّ مجرد وجود هذه الألفاظ في هذين المعجمين لا يشير إلى تاريخ
استعمالها في اللُّغة العربيَّة لأول مرَّة، وإن كانت بعض المؤشرات يمكن أن
تساعد أهل الاختصاص في التَّعْرُف على هذا التاريخ كأن تكون اللَّفْظَةُ
موجودةً في القرآن الكريم أو في الحديث الشَّريف أو في الشُّعر الجاهليِّ.

ونحن هنا بصدد محاولة البحث عن تاريخ ظهور الألفاظ التي
استُخْدِثت في اللُّغة، والتي لم تكن موجودةً أيام الخليل، وهذه الألفاظ
جاءت نتيجةً لتعريف العرب على الطَّبِّ السُّريانيِّ والفارسيِّ أولاً وعلى الطَّبِّ
الإغريقيِّ ثانياً، وسنحاول أن نقتصر في بحثنا على هذه الحدود، أي على
الزَّمن الذي بدأ فيه العربُ بالأخذ عن السُّريان والفرس نتيجةً للعيش المشترك.

في المرحلة الأولى تعرَّف العربُ على الطَّبِّ السُّريانيِّ في الشام والعراق
وعلى الطَّبِّ الفارسيِّ في العراق وجُنْدِيسَابور، وتعرَّفوا بطبيعة الحال على
أسماء بعض الأمراض بالسُّريانيَّة أو الفارسيَّة، وقد جرى كُلُّ ذلك نتيجةً للعيش
المشترك مع السُّريان والفرس لقرونٍ عديدةٍ، أمَّا في المرحلة الثانية فقد جرت
محاولاتٌ لترجمة الطَّبِّ من السُّريانيَّة إلى العربيَّة في العصر الأمويِّ، ومن
السُّريانيَّة أو الإغريقيَّة إلى العربيَّة في العصر العبَّاسيِّ، وقد واجه التراجمة أو

الأطباء مُهمّةً جديدةً هي اختيار الاصطلاح العربيّ المناسب في مقابل الاصطلاح الطَّبِّيّ الأعجمي.

فثمةً معانٍ يحملها الاصطلاح الأعجميُّ فهمها المترجمون وبحثوا في اللُّغة عن لفظةٍ تحمل المعنى نفسه، وتعطي الدلالة الاصطلاحيةً للكلمة الأعجميةً بدقّة.

في بعض الأحيان وجدوا هذه اللفظة العربيّة بسهولةٍ ولكنهم في أحيانٍ أخرى اضطروا إلى استحداث كلمةٍ عربيّةٍ جديدةٍ، ونادراً ما لجأوا إلى اقتراض لفظةٍ أجنبيةٍ وتعريبها.

المثال على الحالة الأولى هو الكلمات التي اختارها حنين بن إسحاق لتقابل كلماتٍ يونانيّةً وتحمل معناها بدقّة، ومنها كلمتا (التشنُّج) و(الاسترخاء).

ومنها أيضاً اصطلاح (الشّعيرة) التي اختيرت لتكون اصطلاحاً طبّيّاً يقابل الاصطلاح اليونانيّ الذي يحمل معنى (حبة الشّعير)، وهو اسم مرضٍ يصيب حافة الجفن وصفه الأطباء الإغريق بأنّه (ورمٌ مستطيلٌ يشبه في شكله حبة الشّعير).

إنّ كلمة (الشّعيرة) لا تحمل في اللُّغة العربيّة دلالةً طبّيّةً، فاللُّغة العربيّة القديمة لا يوجد فيها اسمٌ لهذا الورم المستطيل الذي يظهر على حافة الجفن، والذين أعطوا لهذا المرض اسم (الشّعيرة) هم الإغريق، وذلك لأنّه يشبه (الشّعيرة) في شكله وبوحيٍّ من الإغريق وافق الأطباء العرب على اختيار

هذا الاسم (الشَّعِيرَة) لهذا الوَرَم. لقد ترجموا الاسم الإغريقي ترجمةً مباشرةً لأنَّ هذه الترجمة تحافظ على اجتهاد الأطباء الإغريق.

وفي بعض الحالات التي وافق الأطباء العربُ الأطباءَ الإغريق على اختيار اسمٍ معين ليكون اصطلاحاً فنياً كان من السهل عليهم العثور على لفظةٍ عربيَّة، لكنَّهم في أحيانٍ أخرى اضطرُّوا لاستحداث كلمةٍ عربيَّةٍ جديدةٍ فاللُّغة العربيَّة لا يوجد فيها كلمةٌ واحدةٌ تُدُلُّ على (حَبَّة البَرْد) فاضطرُّوا إلى استحداثِ كلمةٍ (البَرْدَة) لكي تعني (حَبَّة البَرْد)، ذلك أنَّ الأطباءَ الإغريق شبَّهوا أحد أورام باطن العنق (بحَبَّة البَرْد)، ووجه الشَّبه بين (حَبَّة البَرْد) وهذا الوَرَم هو الحجم و(الاستدارة)^(٢٤)، ولأنَّ الأطباءَ العربَ وافقوا على هذا التَّشبيه الذي لجأ إليه الإغريق اضطرُّوا إلى استحداثِ كلمةٍ البَرْدَة ولم يميلوا إلى استعمال لفظتين للمعنى نفسه (حَبَّة البَرْد). البَرْدَة إذاً لفظة لم تكن موجودةً في المعجمات العربيَّة القديمة ولا في أصل اللُّغة، وقد استحدثها الأطباءُ كما رأينا، أمَّا (الشَّعِيرَة) فكانت موجودةً في اللُّغة واختارها الأطباءُ وأعطوها معنىً اصطلاحياً في حقل الطَّبِّ^(٢٥).

فالاصطلاح الطَّبِّيُّ (الشَّعِيرَة) ولد في عصر الترجمة ولم تكن كلمة الشَّعِيرَة لتحمل هذه الدلالة قبل ذلك، أمَّا الاصطلاح الطَّبِّيُّ (البَرْدَة) فقد ولد في العصر نفسه، لكنَّه لم يكن موجوداً في اللُّغة قبل ذلك وإنَّما اقتصر وجوده في اللُّغة على جذره الثلاثي.

إنَّ معرفة تاريخ الطَّبِّ العربيِّ ضروريةٌ لمعرفة تاريخ ظهور الاصطلاح الطَّبِّيِّ، وبالتالي للمساهمة في كتابة المعجم التاريخيِّ للاصطلاحات في اللُّغة العربيَّة.

لقد ظلَّ الباحثون في تاريخ الطَّبِّ العربيِّ الذين اهتموا بالاصطلاح الطَّبِّيِّ وتأثير الإغريق في العرب في هذا المجال، لقد ظنُّوا أنَّ هذه العملية تمَّت في عصر حنين بن إسحاق، لكنَّهم لم يدخلوا في التفاصيل، فبعض الاصطلاحات وضعها حنين في ذروة عصر الترجمة أيَّ في منتصف القرن التاسع الميلاديِّ (الثالث الهجريِّ). ويهْمُنَا هنا أنَّ بعض هذه الاصطلاحات ظهرت قبل عصر حنين، وأنَّ بعضها يعود زمن ظهوره إلى بداية القرن الثامن، وهذا ما سنأتي على تفصيله مساهمةً منا في وضع (المعجم التاريخيِّ للاصطلاحات الطَّبِّيَّة).

وفي هذه العملية سنعطي الحقَّ لأصحابه وسنبرز دور بعض الأطباء والتراجمة في تاريخ الطَّبِّ العربيِّ وفي تاريخ المعجم العربيِّ.

* * *

نمتلك بعضَ الوثائق التي تشير إلى أنَّ الأطباء العربَ وصفوا الأمراضَ وصفاً سريريّاً جيداً منذ أوائل القرن الثامن الميلاديِّ (القرن الثاني الهجريِّ)، لكنَّ جُلَّ المادَّة التي كتبوها تعدُّ في حكم المفقودة _ مع الأسف _ ولم يصلْ إلى عصرنا منها إلا النَّزْرُ اليسير.

ونقصد بذلك تلك المادّة التي وصلت بعضُ مقتبساتِ منها إلى أيامنا، وهي المقتبسات المنسوبة إلى ماسرجويه البصري^(٢٦) (من أهل النّصف الأوّل من القرن الثامن الميلاديّ) وإلى عددٍ من المؤلّفين غيره عاشوا بعده ولحق بعضهم القرنُ التاسع الميلاديّ.

أقدم هذه الكتابات إذاً تعود بالتأكيد إلى مطلع القرن الثامن الميلاديّ وبعضها يعود زمنه إلى أواخر هذا القرن.

هذا عن المادّة الضائعة التي لم يصل إلينا منها إلا الاقتباسات.

أمّا المادّة العلميّة التي وصلت إلى عصرنا مكتملةً فهي كتابٌ واحدٌ فقط ألّفه عيسى بن حكم المشهور بمسيح الدّمشقيّ^(٢٧) وقدمه إلى الخليفة هارون الرّشيد^(٢٨)، فالكتابُ ظهر إذاً قبل عام (٨٠٩ م = ١٩٣ هـ) عام وفاة الرّشيد.

وأما المقتبسات وهي موجودةٌ بشكلٍ رئيسيّ في كتاب (الحاوي في الطّب^(٢٩)) الذي كتبه الرازي^(٣٠)، في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الميلاديين.

أهمية ما كتبه عيسى بن حكم تكمن في أنّه وصل كاملاً إلى عصرنا. وأهمية ما كتبه ماسرجويه البصريّ هي أنّه أقدم ما كتب بالعربيّة في حقل الطّبّ، سواءً ما نقله ماسرجويه من الإغريقيّة، أو ما ألّفه بنفسه.

وفي الحقيقة فإنّ المقتبسات المذكورة لا ينحصر وجودها في كتاب (الحاوي)، وإنّما توجد في كتبٍ أخرى كثيرة، ولكن بحجمٍ أقل. وأشهر هذه الكتب كتاب البيروني^(٣١) (الصّيّدنة في الطّبّ)، وهو كتابٌ في الأدوية وعلوم

الصَّيدلة الأخرى، وكتاب ابن البَيْطار^(٣٢) (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية)، وهو كتابٌ في الأدوية البسيطة والمركَّبة.

ولا ندري على وجه الدِّقة متى عاش عيسى بن حكم إلا أنَّ جده المشهور باسم (أبي الحكم) عاش في عصر معاوية^(٣٣). وقد لحق مسيح هذا أيام الرِّشيد، أيَّ أنَّه توفي بعد عام (٧٨٦م = ١٧٠هـ) يوم وصل الرِّشيد إلى سُدةِ الخلافة، ومن المحتمل أنَّ يكون عيسى بن حكم قد عمَّرَ - كوالديه - وعاش إلى ما بعد هذا التاريخ^(٣٤).

ولأنَّ (الرِّسالة الهارونية) - كتاب عيسى بن حكم - وصلت كاملةً فإنَّه ينبغي علينا أن نجعلَ منها الحقلَ الأوَّلَ لدراسة الاصطلاحات الطَّبَّية في ذلك الزَّمن^(٣٥).

أمَّا المقتبساتُ المتناثرةُ في أجزاء (الحاوي) العديدة، التي كُتِبَ بعضها قبل أكثر من نصف قرنٍ من تاريخ كتابة (الرِّسالة الهارونية)، فهي إذاً جمعت كُلُّها تظلاً أصغر حجماً من هذه الرِّسالة، لكنَّها أكبر قيمةً بسبب قِدَمِها^(٣٦)، وكذلك فإنَّ ندرتها وضآلة حجمها تجعل منها مادَّةً ثمينَةً للبحث العلميِّ من وجهة نظر الاصطلاحات الطَّبَّية الأقدم ظهوراً. ومن هنا فهي مُهمَّةٌ أيضاً للباحثين الذين يدرسون في حقل المعجم التاريخيِّ للغة العربيَّة.

القرن التاسع:

هذا ما كان حول الاصطلاحات التي دوّنت في القرن الثامن الهجري، التي يمتدُّ تاريخ تدوينها على طول امتداد هذا القرن من بدايته أيام ماسرجويه البصري وحتى نهايته أيام مسيح الدمشقيّ.

ولحسن الحظ فقد وصلت إلى عصرنا كتاباتٌ عديدةٌ يعود عهداها إلى القرن التاسع الميلاديّ (القرن الثالث الهجريّ)، وهذه الكتابات _ بسبب اكتمالها واتساعها _ كانت موضعَ دراسةٍ من قبل عددٍ من المشتغلين في حقل تاريخ الطّب العربيّ، وأمکن معرفة الكثير عنها.

وأهمُّ هذه الكتابات على الإطلاق _ وفي حقل طبّ العيون بخاصّةٍ _ هي تلك التي كتبها حنين بن إسحاق (المتوفى عام ٨٧٣ م = ٢٦٠ هـ). ولم يقتصر نشاط حنين _ كما هو معروف _ على العمل في حقل طبّ العيون بل كان له إنتاجٌ غزيرٌ ومهمٌّ جداً في الطّب العام^(٣٧)، ممّا جعله _ بجدارةٍ _ أول مؤسّسي صرح الطّب العربيّ وأحد أهمّ أعلام عصر الترجمة.

وقد تناولت هذه الدراسات^(٣٨) التي أُجريت على كتب حنين موضوعاتٍ عديدةً يهمنها هنا ما يلي:

أولاً: المصدر الإغريقيّ الذي أخذ عنه حنين.

ثانياً: مدى فهم المؤلّف _ المترجم _ للمادّة العلميّة، ومقدرته على جمعها وتبويبها وإعادة تصنيفها وإخراجها.

ثالثاً: موهبة المؤلّف _ المترجم _ في العثور على الاصطلاحات الفنيّة المناسبة لترجمة المعاني التي تحملها الاصطلاحات العلميّة الإغريقيّة .

رابعاً: أسلوب المؤلف في عرض المادة العلمية ومهارته في التأليف وبلاغته في التعبير.

بين القرن الثامن والقرن التاسع:

بسبب صغر حجم هذه المقتبسات التي أشرنا إليها، فإن دراستها لا تسمح بالوصول إلى القدر الكافي من المعرفة، كي نتمكن من الحكم عليها من حيث شمولها أو من حيث أهمية المادة العلمية التي تحتوي عليها.

الفرق كبيرٌ إذاً من حيث قدرتنا على دراسة ما كتبه العرب في القرن التاسع ومقارنته بما كتبه قبله.

لكنّ المادة التي كتبت في القرن الثامن وإن لم يكن لها هذه الأهمية من وجهة نظر مؤرخ الطبّ إلا أنّ لها أهمية كبرى من وجهة نظر الباحث اللغويّ الذي يُعنى بتاريخ ظهور الاصطلاحات العلميّة في اللّغة العربيّة، ذلك أنّها ظهرت قبل عصر حنين بن إسحاق أيّ قبل ذروة عصر ازدهار الترجمة من الإغريقيّة إلى العربيّة.

ماسرجويه البصريّ:

يحكي لنا ابن جُلجل^(٣٩) كيف ترجم ماسرجويه البصريّ كُنَّاشَ أهرن القسّ إلى العربيّة، وكيف ظلّت هذه الترجمة محفوظةً في خزانة الخلافة في دمشق إلى أن أخرجها الخليفةُ عمر بن عبدالعزيز^(٤٠) للناس.

وأهرن القسّ^(٤١) هو أحد أطباء الإسكندرية، وينسبُ إليها فيقال: أهرن القسّ الإسكندريّ، وقد عاش في القرن السّادس الميلاديّ، وفي القرن نفسه

قام جوسوس^(٤٢) بترجمة كُنَّاش أهرن من اليونانية إلى السُريانية، وهذا ما مَكَّن ماسرجويه البصريَّ من ترجمة هذا الكُنَّاش من السُريانية إلى العربية^(٤٣).

يقع تراث ماسرجويه البصريَّ في حقلين اثنين:

أولهما: الترجمة التي قام بها ماسرجويه _ من السُريانية إلى العربية _ لكتاب أهرن القسِّ الإسكندريِّ، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم (كُنَّاش أهرن)^(٤٤).

وثانيهما: ما ألفه ماسرجويه بنفسه بمثابة ملحقيِّ لكُنَّاش أهرن.

فماسرجويه إذاً هو أقدم المترجمين العرب في حقل الطَّبِّ، وهو في الوقت عينه أقدم المؤلِّفين في هذا الحقل^(٤٥).

يقع كُنَّاش أهرن في ثلاثين مقالةً، أمَّا الملحق الذي ألفه ماسرجويه فيقع في مقالتين.

نَسَبَ الرازيُّ المقتبسات المأخوذة من هذا الكُنَّاش إلى صاحبها (قال أهرن)، أمَّا ما ألفه ماسرجويه البصريُّ وأضافه إلى كُنَّاش أهرن، فقد نسبه إلى ماسرجويه نفسه مستعملاً عبارة (قال اليهوديُّ)، ذلك أنَّ ماسرجويه كان يهوديَّ المذهب سُريانيَّ الثقافة، وقد قصد الرازي من وراء ذلك التعبير التفريق بين ماسرجويه هذا وبين مؤلِّفٍ آخر يحمل الاسم نفسه لكنَّه كان مسيحيَّاً، من أهل جُنْدِيسَابور، والمؤلِّفان كلاهما اشتهرا أيضاً باسم (ماسرجيس) عند كثيرٍ من أصحاب كُتب التراجم، لكنَّ المؤرِّخين المعاصرين يسمُّون (ماسرجويه البصريِّ) باسم (ماسرجويه) و(ماسرجويه الجُنْدِيسَابوري) باسم (ماسرجيس)، وفي الواقع فإنَّ عدداً من المؤلِّفين والباحثين لا يلتزمون بهذه

الصيغة التي استُعمِلت للتفريق بين الرجلين؛ ولذلك فإنَّ ثَمَّةَ خلطاً بين المؤلفين^(٤٦). وقد بيَّنت الدراسات الحديثة بشكلٍ قاطعٍ الفرق بينهما فماسرجويه (اليهوديِّ البصريِّ) عاش في العصر الأمويِّ أمَّا الثاني (ماسرجيس) (المسيحيِّ الجُنديسابوري) فقد عاش في العصر العبَّاسيِّ، وكان من أصدقاء الشاعر أبي نواس.

الاصطلاحات:

على الرُّغم من صغر حجم المادَّة العلميَّة التي حفظتها المقتبسات التي أشرنا إليها، وعلى الرُّغم من أنَّها لا تكفي لدراسة بعض أهمِّ وجوه تاريخ الطَّبِّ العربيِّ _ كما أشرنا _ إلاَّ أنَّها تكفي لإعطاء فكرةٍ عن الاصطلاحات الفنيَّة التي استعملها هؤلاء المؤلِّفون الأوائل.

هذه الاصطلاحات التي وصلت إلى عصرنا مكتوبةً في أكثر من مصدرٍ عن طريق الاقتباسات تمثل جزءاً من الاصطلاحات الطَّبِّيَّة القديمة، التي توفِّرت للمترجمين أيام بيت الحكمة البغداديِّ، أيِّ في العصر الذي يمتدُّ من أيام المأمون إلى أيام المتوكل. بمعنى آخر: إنَّ هذه الاصطلاحات كانت موجودةً بين أيدي الناس ومدونةً قبل أيام حنين بن إسحاق الذي يمثل ذروة عصر الترجمة باتفاق جميع الباحثين.

ولكي نضع حدوداً واضحةً لهذا البحث فإنَّنا سنختار الاصطلاحات المتعلِّقة بطبِّ العيون، كيما تكون أنموذجاً أولاً للدراسة وسنبحث عن هذه الاصطلاحات ونجمعها ثمَّ ننظر فيها، لكي نفرِّق بين ما كان أصيلاً في اللُّغة ومستعملاً في عصر ما قبل الإسلام وبين ما جاء متأخراً نتيجةً لاحتكاك

عرب الشمال بالسُّريان وبالفرس، ولكي نَميزَ هذه الاصطلاحات عن تلك التي وضعها التراجمة لكي تحمل المعنى الذي فهموه من الاصطلاح الإغريقيِّ حينما تعاملوا مع كتب الطَّبِّ الإغريقيَّة.

عصر حنين:

لقد أشرنا إلى أنَّ حنين بن إسحاق يعدُّ أهمَّ المترجمين وأحد أهمِّ المؤلِّفين في ذروة عصر الترجمة، لكنَّ حنين لم يكن وحده في زمنه. وعلينا هنا أن نذكر ثلاثة من الذين أَلَّفوا في الطَّبِّ في العصر نفسه؛ ذلك أنَّ أعمالهم تقدم لنا مادَّةً غزيرةً في حقل الاصطلاحات الطَّبِّيَّة هؤلاء المؤلِّفين هم:

١ _ عليُّ بن سهل (رَبَّن) الطَّبْرِيَّ^(٤٧) الذي يَرَجِّحُ أنَّه توفي حول عام (٨٦٤م = ٢٥٠هـ) وقد كتب كتاب (فردوس الحكمة) الذي يعدُّ أشبه بموسوعةٍ علميَّةٍ في عددٍ من حقول العلم منها: علم الفلك وعلم الآثار العلوية، أمَّا الطَّبُّ فهو أوفرها حظاً فيه، فثمَّة فصولٌ في علوم الفلسفة الطبيعيَّة والفيسيولوجيَّة كما في علم التغذية وعلم الصِّحة العامَّة وغيرها، ويمتاز هذا الكتاب بوجود فصلٍ يعنى بالطَّبِّ الهنديِّ المعروف في الشَّرْق الإسلاميِّ زمن المؤلِّف.

٢ _ يوحنا بن ماسويه^(٤٨): (المتوفى عام ٨٥٧م = ٢٤٣هـ) وقد كتب في علوم الطَّبِّ المختلفة، وله مساهماتٌ مُهمَّةٌ في حقل طِبِّ العيون:

أ _ كتاب (دَعَلُ العَيْن) ^(٤٩). وهو محاضراتُ ألقاها على طلابه فسجّلوها، وقد وصلنا الكتاب بشكلٍ يختلف عن أصله الحقيقي.

ب _ كتاب (معرفة مِخْنَةِ الكَحَّالِينَ) ^(٥٠) وهو كتابٌ مختصرٌ وضع بأسلوب (المسألة والجواب).

ج _ فصولٌ تتعلّق في (علم العين) في كتابه (الكُنَّاشُ المُشجَّر) ^(٥١).

٣ _ مؤلّف مجهول:

كَتَبَ كتاب (الدَّخِيرَةُ فِي الطَّبِّ) ^(٥٢)، وقد ظهرَ هذا الكتاب ^(٥٣) حاملاً اسم ثابت بن قُرَّة ^(٥٤)، وقد ظنَّ عددٌ من المؤلِّفين أنّ هذا الكتاب ^(٥٤) من مؤلِّفات ثابت حقاً، وفي الحقيقة فإنَّ ثابتاً أنكر أن يكون قد كتب هذا الكتاب أو أيّ كتابٍ آخر في الطَّبِّ، فقد اقتصر نشاط ثابت في حقل الطَّبِّ على تلخيص كتب جالينوس لقراء العربيّة ^(٥٥).

المؤلِّفون القدامى:

سبق أن ذكرنا أنّ عدداً من المؤلِّفين عاش بعد أيام ابن ماسويه وقبل أيام عيسى بن حكم، وأنَّ بعض المقتبسات المنسوبة إلى هؤلاء يمكن جمعها في محاولةٍ للبحث عن الاصطلاحات التي استعملها هؤلاء الكُتَّاب في حقول الطَّبِّ المختلفة، وإنَّ كنا سنقتصر هنا على ما جاء في حقل (أمراض العين) من اصطلاحات.

ونعطي هنا قائمةً بأسماء المؤلِّفين الذين حفظ (الحاوي) لهم مقتبساتٍ في علم العين، مداواتها وأدويتها وبعض المعلومات المتفرّقة في حقول الأعراض والعلامات والتشخيص:

١ _ ماسرجويه البصري: المرجح أن هذا المؤلف عاش حياته كلها في القرن السابع الميلادي، وربما يكون قد لحق القرن الثامن.

وقد حفظ (الحاوي) أكثر من مئة وخمسين اقتباساً من المقالتين اللتين ألفهما ماسرجويه^(٥٦) تسعة منها في علم العين. كما حفظ (الحاوي) ما يقارب هذا العدد من الاقتباسات منسوبة إلى أهرن القس^(٥٧)، أي أن هذا النوع من الاقتباسات هو من الترجمة التي قام بها ماسرجويه، وأكثر من خمسة عشر اقتباساً منها يتعلّق بطبّ العين.

٢ _ تياذوق: اشتهر بأنه كان طبيباً للحجاج بن يوسف الثقفي (المتوفى عام ٧١٤ م = ٩٥ هـ)، وعليه فإن تياذوق يكون قد عاش في القرن السابع الميلادي ولحق القرن الثامن^(٥٨).

كتب تياذوق بعض الكتب^(٥٩) ومنها:
أبدال الأدوية^(٦٠).

الفصول في الطبّ.

لكن أشهر كتبه هو ذلك المعروف بـ (الكُنَّاش)^(٦١).

وقد نقل ابن الجزار^(٦٢) عن تياذوق في كتابيه الشهيرين: (زاد المسافر)^(٦٣)، (الاعتماد في الأدوية المفردة)^(٦٤).

ويقدر سزكين أن اسم تياذوق محرّف عن الاسم الإغريقي (تيودوكوس).

٣ _ أبو جريح الراهب: يرجح أنه من الأطباء الذين عاشوا بين القرنين السابع والثامن الميلاديين^(٦٤).

ويبلغ عدد الاقتباسات التي نسبها الرازي في (الحاوي) إلى أبي جُريج أكثر من مئة اقتباس^(٦٥)، ثلاثة منها في طبِّ العين.

وقد أخذ البيروني^(٦٦) (المتوفى عام ١٠٤٨ م) عن أبي جُريج في أكثر من مكان. وكذلك ذكره الكندي^(٦٧) (المتوفى بعد ٨٧٠ م) وابن سينا^(٦٨) (المتوفى ١٠٣٧ م) وابن البيطار^(٦٩) (المتوفى عام ١٢٤٨ م).

ومن مؤلِّفات أبي جُريج:

١ _ كتاب في المُسهلات^(٧٠).

٢ _ إصلاح الأدوية^(٧١).

٣ _ تذكرة في النقرس^(٧١).

٤ _ جورجس بن جبرئيل بن بُختيشوع: أحد أشهر أطباء القرن الثامن الميلاديِّ ومؤسس الأسرة المعروفة باسم (بُختيشوع) هذه الأسرة التي أنجبت ستة أجيال من الأطباء.

استدعاه المنصور^(٧٢) وهو شيخ مسنٌّ من جُنْدِيسابور إلى بغداد لمعالجته من داءٍ في معدته، فبقي هناك ما يقارب السنوات الأربع، ثُمَّ آثرَ أن يعودَ إلى بلده، فرجع في حدود (٧٦٩ م = ١٥٢ هـ) حيث توفي في جُنْدِيسابور بعد فترةٍ قصيرة^(٧٣).

كانت لجورجس شهرةٌ عظيمةٌ حينما كان مديراً لبيمارستان جُنْدِيسابور وكان _ هناك قد كتب عدداً من الكتب باللُّغة السُّريانيَّة، ولا يُعرفُ ما إذا كان قد

كتب بالعربية أثناء إقامته في بغداد، لكن ابن أبي أصيبعة يذكر أن جورجس ترجم للمنصور بعض الكتب من اليونانية إلى العربية^(٧٤).

تذكر المصادر العربية لجورجس بعض الكتب أهمها (الكنّاش)^(٧٥)، ومنها:

١_ كتاب في الأعلاط^(٧٥).

٢_ كتاب ديايطا^(٧٦).

وتذكر المصادر كذلك أن حنين بن إسحاق ترجم^(٧٧) كتاب (الكنّاش) من السريانية إلى العربية.

نجد في (الحاوي) أكثر من ستين^(٧٧) اقتباساً منسوباً لجورجس، يرجح أنها من كتاب (الكنّاش)، واحد من هذه الاقتباسات يتعلق بعلم العين.

وبطبيعة الحال فإننا لا نعرف ما إذا كانت الاصطلاحات التي حفظها (الحاوي) هي من وضع جورجس أم من وضع المترجم.

٥ _ بُختيشوع بن جورجس بن جبرئيل بن بُختيشوع: من أطباء القرن الثامن الميلادي، أدار بيمارستان جنديسابور خلفاً لوالده إلى أن استدعي إلى بغداد^(٧٨) عام (٧٨٧ م = ١٧١هـ). وصار في آخر أيامه طبيباً خاصاً للرشيد. ويرجح أن بُختيشوع توفي عام (٨٠١ م = ١٨٥هـ)^(٧٩).

تنسب المصادر لبُختيشوع كتابين:

١_ الكُنَّاش^(٨٠). ويُسمّى عند بعض الباحثين (الكنّاش المختصر).

٢_ تذكرة في الطب^(٨٠).

وقد حفظ (الحاوي) له أكثر من ثلاثين اقتباساً^(٨١)، سبعة منها في علم العين.

ولا نعرف على وجه التأكيد ما إذا كان قد كتب كتابيه هذين بالعريّة أم بالسريانيّة.

٦ _ جابر بن حيّان: الكيميائي الشهير وقد كتب في الطّب عدداً من الكتب منها^(٨٢):

١_ كتاب السّموم.

٢_ كتاب الطّب الكبير.

٣_ كتاب الأدوية المفردة.

٤_ كتاب المحسّنة.

٥_ كتاب التّشريح.

وله في طبّ العين كتابٌ اصطلح على تسميته (كتاب العين)^(٨٣).

ولا توجد في (الحاوي) _ في حدود ما هو معروف _ مقتبساتٌ منسوبةٌ لجابر.

وعلى الرّغم من اختلاف الباحثين في تحديد الزّمن الذي عاش فيه جابر، فإنّ معظمهم يجعله من أهل النّصف الثاني من القرن الثامن الميلاديّ.

٧ _ ماسرجويه الجنديسابوري: الذي تسمّيه بعض المصادر باسم (ماسرجيس)^(٨٤)، وقد كان معاصراً للشاعر أبي نواس^(٨٥)، وتُنسبُ له كتبٌ عديدةٌ، لكنّ هذه النسبة ما تزال موضع شكّ من الباحثين الثقات، ومن هذه الكتب:

١_ كتابُ (في العين) (٨٦).

٢_ أبدال الأدوية وما يقوم مقام غيره (٨٧).

٣_ كتاب في الغذاء (٨٨).

٤_ كتاب في الشرب (٨٩).

٥_ قوى الأطعمة ومنافعها ومضارّها (٩٠).

٦_ قوى العقاقير ومنافعها ومضارّها (٩١).

وتزيد المقتبسات التي نسبها (الحاوي) لماسرجويه على مئة وعشرين مقتبساً^(٩١)، واحدٌ منها في (علم العين).

ويرجح بعض الباحثين أن يكونَ أحد المقتبسات التي حفظها عليُّ بن إبراهيم ابن بُختيشوع الكفرطابي^(٩٢) في كتابه (تشريح العين وأشكالها ومعرفة أعالها) مأخوذاً عن ماسرجويه هذا^(٩٣).

٨_ يحيى بن البطريق: عاش ابن البطريق في النّصف الثاني من القرن الثامن، ولحق القرن التاسع إذ توفي حول عام (٨١٥ م = ٢٠٠ هـ).

وله كتاب (السّموم)^(٩٤) الذي حفظ (الحاوي) منه أكثر من عشرين اقتباساً، وقد نقل عنه البيروني في كتابه (الصّيّدة).

قد ذكره ابن وحشية^(٩٥) في كتابه (الفلاحة النّبطيّة).

((وكان لا يعرف العربيَّة حقَّ معرفتها))^(٩٦)((ولا اليونانيَّة))^(٩٦)((وإنَّما كان لطينياً يعرف لغة الرُّوم وكتابتها))^(٩٦).

((وكان في جملة الحسن بن سهل))^(٩٧)((٩٨)).

٩ _ جبرئيل بن بُختيشوع بن جورجس: عاش بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين^(٩٩). وقد كتب:

١ _ رسالة إلى المأمون في المطعم والمشرب^(١٠٠).

٢ _ مقالة في العين^(١٠٠).

وقد عمل في البلاط العبَّاسي أيام الرِّشيد^(١٠١) والأمين والمأمون.

والمقتبسات التي حفظها (الحاوي) باسم هذا المؤلِّف قليلةٌ وغير مؤكَّدة^(١٠٢).

وجبرئيل هو الذي اعتنى بابن ماسويه وجعله رئيساً للطلبة في بيمارستان بغداد.

كما أنَّه هو الذي كلَّفَ حنين بن إسحاق _ حينما كان حنين في السابعة عشرة من عمره _ بترجمة الكتب الإغريقيَّة إلى العربيَّة، فاتحاً بذلك الباب على عالمٍ جديدٍ دخل منه الطُّبُّ الإغريقيُّ مُترجماً على أعلى مستوى إلى السُّريانيَّة والعربيَّة.

١٠ _ عيسى بن حكم (مسيح الدَّمشقي): عاش بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وقيل أنَّه كان حياً في دمشق عام (٨٣٩م = ٢٢٥هـ)^(١٠٣).

وله في الطَّبِّ:

١ _ كُنَّاش.

٢ _ الرِّسالة الكافية الهارونية في الطَّبِّ.

٣ _ رسالة في الأعشاب والعقاقير.

وقد حفظ (الحاوي) أكثر من ثمانين اقتباساً.

* * *

لا نعرف على وجه الدقَّة لماذا لا نجد في (الحاوي) مقتبساتٍ من جابر بن حيَّان، ولذلك فإنَّنا سنستثني أعماله في هذه الدراسة، أمَّا المؤلِّفون الثلاثة من آل بُختيشوع فإنَّنا نواجه تجاه أعمالهم مشكلتين:

الأولى: أنَّا لا نستطيع الحزم باسم صاحب الاقتباس في (الحاوي) أهو الجد أم الأب أم الابن. والثانية: أنَّا لا نعرف من الذي وضع الاصطلاح المؤلِّف أم المترجم؛ فكما رأينا هناك أعمالٌ تحمل اسم بُختيشوع قيل أنَّ المؤلِّف ترجمها من الإغريقيَّة إلى العربيَّة، وهناك أعمالٌ أخرى يفترض أنَّ المؤلِّف كتبها بالعربيَّة، وهناك أعمالٌ _ ذكرناها _ ونعرف أنَّها كتبت بالسُّريانيَّة، وترجمها حنين إلى العربيَّة؛ لذلك فإنَّنا سنستثني هذه المقتبسات أيضاً من هذه الدراسة، ونجمع الاصطلاحات المنسوبة إلى بُختيشوع في جدولٍ مرفق.

* * *

نعطي هنا بعض الأمثلة عن الاصطلاحات التي درسناها:

أولاً: إنَّ عدداً كبيراً من هذه الاصطلاحات موجودٌ في عصر عيسى بن حكم (مسيح الدمشقي) لكنَّه موجودٌ قبل ذلك أيام ماسرجويه من هذه الاصطلاحات: (البثرة) و(السُّلاق) و(الحكّة) و(العشا).

ثانياً: أحد هذه الاصطلاحات (الجرب) موجودٌ عند عيسى بن حكم وماسرجويه، وقد ذكره أيضاً أبو جريح الرَّاهب.

ثالثاً: أحد هذه الاصطلاحات وهو (البلة) ذكره عيسى بن حكم وأبو جريح الرَّاهب وماسرجويه الجنديسابوري.

رابعاً: أحد هذه الاصطلاحات التي ذكرها عيسى بن حكم، ولم يذكرها ماسرجويه موجود عند تياذوق وهو (الكُمّنة).

خامساً: أحد هذه الاصطلاحات التي ذكرها مسيح وماسرجويه موجود أيضاً عند تياذوق وهو (الرّمّد).

سادساً: بعض هذه الاصطلاحات التي يعود عهدها إلى ماسرجويه البصري لا نجدها عند عيسى بن حكم، ومنها (السَّبَل) و(الطَّرْفَة).

سابعاً: أحد هذه الاصطلاحات لم نجده عند ماسرجويه البصري، ولكننا وجدناه عند ابن البَطريق وهو (الحَوَل).

ثامناً: إنَّ بعض الاصطلاحات لم نجدها قبل عصر عيسى بن حكم ومنها (الشَّعيرة).

إنَّ هذه اللمحة السريعة يمكن أن تساعد الباحث على وضع قائمةٍ بتاريخ ظهور بعض الاصطلاحات بين نهاية القرن السابع وبداية القرن التاسع.

ومن الملاحظ أنَّ عدداً من الاصطلاحات التي دُوِّنت قبل عصر عيسى بن حكم لا نجدُها في رسالته الهارونِيَّة، وهذا ما يستدعي بحثاً خاصاً لمعرفة أسبابه.

أمَّا معظم الاصطلاحات فنجدُها مدوَّنة في منتصف القرن التاسع أيام ابن ماسويه وحنين.

عيسى بن حكم	ابن البطريق	ماسرجويه الجنديسابور ي	بُختيشو ع	أبو جُريج الرَّاهب	تياذوق	ماسرَجويه البصري
						الاسـترخاء (اسـترخاء الأجفان)
	البثور					البثور
						البياض (بياض القرنية)
				الجرب		الجرب
						الحِجَّة
					الرَّمَد	الرَّمَد
					السَّيْل	السَّيْل
						السُّلاق
						الشُّعر (انقلاب الشُّعر)

						الطَّرْفَة
العَشَا			العَشَا			العَشَا
						الغِلَظ (غِلَظ الأجفان)
المَاء					المَاء	المَاء
الوَرَم			الوَرَم (وَرَم العين)			الوَرَم (وَرَم العين)
					العَرَب	
					الكُمْنَة	
البِلَة		البِلَة		البِلَة		
	الحَوْل					
الوَجَع (وَجَع العين)			الوَجَع (وَجَع العين)			
			الانتشار			
			الناصر			
الآتْسَاع (آتْسَاع الناظر)						
الخيالات						

السُّدَّة						
الشَّعْبِرَة						

وصفوة القول: أننا جمعنا في هذا البحث عدداً من الاصطلاحات التي دُوِّنَتْ قبل بداية القرن التاسع، وكُلُّها مصطلحاتٌ في حقل طبِّ العيون، وعرفنا المؤلف الذي حفظها لنا. وتعطي هذه الدِّراسة أنموذجاً يمكن أن يُحْتَدَى به أحدُ الباحثين مُوسَّعاً بحثه ليشمل الاصطلاحات الطَّبَّيةَ جميعها التي وردت في (الحاوي)؛ وبهذا نكون قد خطونا خطوةً على طريق كتابة المعجم التاريخي للاصطلاحات الطَّبَّية.

اللُّغويّ	المعجم	تاريخ الوفاة
الخليل بن أحمد الفراهيدي	(كتاب العين)	١٧٣هـ = ٧٨٩م
البنديجي، اليمان بن أبي اليمان، أبو بشر	(التقفية في اللُّغة)	٢٨٤هـ = ٨٩٧م
ثعلب، أحمد بن يحيى، أبو العبّاس		٢٩١هـ = ٩١٤م
ابن دريد، محمّد بن الحسن، أبو بكر.	(جمهرة اللُّغة)	٣٢١هـ = ٩٣٣م
الأزهري، محمّد بن أحمد، أبو منصور	(تهذيب اللُّغة)	٣٧٠هـ = ٩٨٠م
الخوارزمي، محمّد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله.	(مفاتيح العلوم)	٣٨٧هـ = ٩٩٧م
القَمَرِي، الحسن بن نوح	(التنوير في لاصطلاحات الطَّبَّية)	٣٩٠هـ = ٩٩٩م

١٠٠٣ = ٥٣٩٣ م	(تاج اللُّغة وصحاح العربيّة)	الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، أبو نصر
١٠٠٤ = ٥٣٩٥ م	(مقاييس اللُّغة)	ابن فارس، أحمد، أبو الحسين
١٠٦٥ = ٥٤٥٨ م	(المخصّص)	ابن سيده، عليّ بن إسماعيل
١١٠٨ = ٥٥٠٢ م		الراغب الأصفهاني، الحسين بن مفضل بن محمّد، أبو القاسم
١٢١٠ = ٥٦٠٦ م		ابن الأثير، مجدّ الدين المبارك بن محمّد، أبو السعادات
١٤١٥ = ٥٨١٧ م	(القاموس المحيط)	الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، أبو طاهر
١٣١١ = ٥٧١١ م	(لسان العرب)	ابن منظور، محمّد بن مكرم
بعد ١٠٤٤ هـ = ١٦٣٤ م	(قاموس الأطباء وناموس الألباء)	القوصونيّ، مدّين بن عبدالرحمن
بعد ١١٥٨ هـ = ١٧٤٥ م	(كشّاف اصطلاحات الفنون)	التهانويّ، محمّد عليّ
١٧٩٠ = ٥١٢٠٥ م	(تاج العروس)	المرتضى الزبيدي بن محمّد

الحواشي

- (١) العين: (١٥٨/٨).
- (٢) القانون: (٢١٣/٢).
- (٣) تذكرة الكحّالين: (صد ١٨٠).
- (٤) مقاييس اللُّغة: (٤٤٨/٤).
- توفي ابن فارس صاحب معجم (مقاييس اللُّغة) عام (١٠٠٤م = ٣٩٥هـ).
- (٥) مقاييس اللُّغة: (٤٤٩/٤): ((الفلج في الأسنان: تباعد ما بين الثنّايا والرّباعيّات... فأما الفلج في اليدين فقال أبو عبيد: الأفلج: الذي اعوجاجه في يديه، . . ومن الباب: الفالنج: الجمل ذو السنّامين، وسمّي للفرجة بينهما)).
- (٦) العين: (١٢٧/٦).
- توفي الخليل صاحب (كتاب العين) حوالي عام (٧٨٩م = ١٧٣هـ).
- التفية: (ص ٢٣٤): ((الفلج: مصدر فلج يفلج: إذا قسم، يُقال: قد فلج بينهم الشيء إذا قسم)).
- توفي البندنجي صاحب معجم (التفية) عام (٨٩٧م = ٢٨٤هـ).
- (٧) مقاييس اللُّغة: (٤٤٩/٤): ((.. وكلُّ شيءٍ شَقَّقْتَهُ فقد فَلَجْتَهُ فلجين، أي نصفين)).

_ المخصص: (٨٣/٥-٨٤): ((وقد فُلج فالجاً، مشتق من الفلج الذي هو نصف الشيء)).

توفي ابن سيده صاحب (المخصص) عام (١٠٦٥ م = ٤٥٨ هـ).

_ لسان العرب: (٣٤٦/٢): ((فُلجُ كلِّ شَيْءٍ: نِصْفُهُ)).

_ توفي ابن منظور صاحب معجم (لسان العرب) عام (١٣١١ م = ٧١١ هـ).

(٨) مقاييس اللُّغة: (٤٤٩/٤). وينقل هذه العبارة عن ابن دريد. وكذلك الجوهري: الصَّحاح: (٣٣٥/١ - ٣٣٦). وابن منظور: لسان العرب: (٣٤٦/٢).

توفي ابن دريد عام (٩٣٣ م = ٣٢١ هـ).

توفي الجوهري صاحب (الصَّحاح) عام (١٠٠٣ م = ٣٩٣ هـ).

(٩) وكذلك: القاموس المحيط: (٢٠٣/١): ((والفالجُ اسْتِرْحَاءٌ لِأَحَدِ شَيْئِي الْبَدَنِ لِانْصِبَابِ خِلَاطٍ بِلُغَمِيٍّ تَنْسَدُ مِنْهُ مَسَالِكُ الرُّوحِ)).

_ توفي الفيروز الآبادي صاحب معجم (القاموس المحيط) عام (١٤١٥ م = ٨١٧ هـ).

(١٠) مقاييس اللُّغة: (٤١٢/٢).

(١١) العين: (٢٥٥/١).

(١٢) لسان العرب: (١٧٩/٣): ((الرَّعْدَةُ: النافض يكون من الفزع وغيره، وقد أُرْعِدَ فارتعد)).

(١٣) مقاييس اللُّغة: (١٢٤/٣): ((السين والباء والتاء أصلٌ واحد يدلُّ على راحةٍ وسكون)).

_ لسان العرب: (٣٧/٢): ((السَّبْتُ: الراحةُ. وَسَبَتَ يَسْبُتُ سَبْتًا: استراحَ وسكَنَ. . . والسُّبَات: النَّوْمُ، وأصلُه الراحةُ.)).

(١٤) العين: (٢٣٨/٧ - ٢٣٩): ((والسُّبَات: النَّوْمُ الغالب الكثير)).

(١٥) العين: (٢٣٨/٧ - ٢٣٩): ((.. والمريضُ يَسْبُتُ سَبْتًا فهو مسبوت، والسُّبَاتُ من النومِ شِبْهُ عَشِيَّة)).

_ لسان العرب: (٣٧/٢): ((.. والسُّبَات: نومٌ خَفِيٌّ، كالعَشِيَّة، وقال ثعلب: السُّبَات: ابتداء النوم في الرأس حتى يبلغ القلب)).
توفي ثعلب عام (٢٩١ هـ = ٩١٤ م).

(١٦) لسان العرب: (٣٧/٢): ((..الذي لا يَتَحَرَّكُ، وقد أَسَبَت، ويقال: سُبِتَ المريضُ، فهو مَسْبُوت.

والمَسْبُوتُ: المَيِّتُ والمَعْشِيُّ عليه، وكذلك العليل إذا كان ملقى كالنائم يُعَمَّضُ عينيه في أكثر أحواله، مَسْبُوتُ)).

(١٧) العين: (٢٩٩/٣): ((والحَوْلُ: إقبالُ الحَدَقَةِ على الأنف. حَوَّلْتُ تَحْوُل. وإذا كان الحول يَحْدُثُ وَيَذْهَبُ قيل: احوَّلْتُ عينه احوالاً، وَاحوَّلتُ احوالاً)).

_ القاموس المحيط: (٣/٣٦٤): ((وَالْحَوْلُ مَحْرَكَةٌ ظُهُورُ الْبَيَاضِ فِي مُؤَخَّرِ الْعَيْنِ وَيَكُونُ السَّوَادُ مِنْ قِبَلِ الْمَاقِ، أَوْ إِبْطَالُ الْحَدَقَةِ عَلَى الْأَنْفِ، أَوْ ذَهَابُ حَدَقَتِهَا قِبَلَ مُؤَخَّرِهَا، أَوْ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ كَأَنَّهَا تَنْظُرُ إِلَى الْحِجَاجِ، أَوْ أَنْ تَمِيلَ الْحَدَقَةُ إِلَى اللَّحَاطِ. وَقَدْ حَوَلْتُ وَحَالَتُ تَحَالُ وَاحْوَلْتُ اِحْوَالًا. وَرَجُلٌ أَحْوَلُ وَحَوَلٌ. وَأَحَالَ عَيْنَهُ وَحَوَّلَهَا صَيَّرَهَا حَوْلًا)).

(١٨) العين: (٥/٢١٢): ((اللَّقْوَةُ دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الْوَجْهِ يَعْوَجُّ مِنْهُ الشَّدْقُ. . . وَاللَّقْوَةُ وَاللَّقْوَةُ: الْعُقَابُ السَّرِيعَةُ السَّيْرُ)).

_ القاموس المحيط: (٤/٣٨٦): ((اللَّقْوَةُ: دَاءٌ فِي الْوَجْهِ. . . وَاللَّقْوَةُ وَيُكْسَرُ: الْمَرَأَةُ السَّرِيعَةُ اللَّقَاحِ كَالنَّاقَةِ، وَالْعُقَابُ الْأَنْثَى، أَوْ الْخَفِيفَةُ السَّرِيعَةُ)).

Terminus Technicus (١٩)

(٢٠) العين: (١/٢٩٢): ((الصُّدَاعُ: وَجَعُ الرَّأْسِ)).

_ تاج العروس: (٢١/٣٢٦): ((. . . وَالصُّدَاعُ كَعُزَابٍ: وَجَعُ الرَّأْسِ، كَمَا فِي الصَّحَاحِ، وَقَالَ الرَّاعِبُ:

هُوَ شِبْهُ الْأَنْشِقَاقِ فِي الرَّأْسِ مِنَ الْوَجَعِ، مُسْتَعَارٌ مِنَ الصَّدْعِ، بِمَعْنَى الشَّقِّ فِي الْحَائِطِ وَعَيْرِهِ)).

_ أتمَّ المرتضى الزبيدي معجمه (تاج العروس) عام (١١٨٠هـ) وتوفي الزبيدي عام (١٢٠٥هـ = ١٧٩٠م).

— توفي الراغب الأصفهاني عام (١١٠٨ م = ٥٠٢ هـ).

— التنوير: (تحقيق: الكرمي: ص ٥١)، (تحقيق: تقي الدين: ص ١٥)،
(تحقيق: نشأت الحمارنة: ص ٤٩٥): ((الصداع: وجع الرأس كله)).

التنوير في الاصطلاحات الطبية (للحسن بن نوح القمري):
(المتوفى عام ٩٩٩ م = ٣٩٠ هـ).

— قاموس الأطباء: المخطوط: (٢٥٩/١): ((الصداع كغراب: ألم في
أعضاء الرأس في أيها كان، والمراد بهذه الأعضاء ما عدا العظم
وجوهر الدماغ.)).

— مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري: صاحب: (قاموس الأطباء
وناموس الألباء): (بعد ١٦٣٤ م = ١٠٤٤ هـ).

(٢١) العين: (٨/٥): ((الشَّقِيقَةُ: وَجَعُ نِصْفِ الرَّأْسِ)).

— تاج العروس: (٥١١/٢٥ ← ٥١٩): ((الشَّقُّ: الجانِبُ وجانِبَا
الشَّيْءِ: شِقَاؤُهُ..

الشَّقُّ من كُلِّ شَيْءٍ: نِصْفُهُ إِذَا شُقَّ. .

الشَّقِيقَةُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ نِصْفَ الرَّأْسِ وَالْوَجْهَ كَمَا فِي الصَّحَاحِ، وَفِي
التَّهْدِيبِ صُدَاعٌ بَدَلَ وَجَعٍ. وقال ابن الأثير:

هو نَوْعٌ من صُدَاعٍ يَعْرِضُ فِي مُقَدِّمِ الرَّأْسِ، وَإِلَى جَانِبَيْهِ وَمِنْهُ
الحديث: ((اِحْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرَمٌ مِنْ شَقِيقَةٍ)).

— توفي ابن الأثير عام (١٢١٠ م = ٦٠٦ هـ).

- توفي الأزهري صاحب (تهذيب اللُّغة) عام (٩٨٠م = ٣٧٠هـ).
- التنوير: (تحقيق: الكرمي: ص ٥٠)، (تحقيق: تقي الدين: ص ١٤)، (تحقيق: نشأت الحمارنة: ص ٤٩٦): ((الشقيقة: وجع أحد شقيّه)).
- قاموس الأطباء: المخطوط: (٢٥٩/١): ((إذا كان الصُّداع في أحد شقي الرأس معتاداً لازماً فإنه يسمى شقيقة)). (٣٠٤/١): ((الشقيقة: وجع يأخذ في أحد شقي الرأس ويهيج بأدوار غالباً هيجاناً شديداً)).
- (٢٢) العين: (٢٤٥/٦).
- (٢٣) مقاييس اللُّغة: (٢٤٤/٣).
- (٢٤) قاموس الأطباء/المخطوط: (١ / ١٢٥): ((البرد. . بالتحريك حب الغمام. .
- والبردة أيضاً من أمراض العين. وهي: رطوبة تغلظ وتَتَحَجَّر في باطن الجفن وتكون إلى البياض، شبيهة بالبردة. .)).
- الكَشَّاف: (١٥٦/١): ((الْبَرْدَة: بالفتحتين رطوبة تغلظ وتتحجر في باطن الجفن، يكون مائلاً إلى البياض يشبه البردة في الشكل والصلابة ولذا سميت بها)).
- توفي التهانوي صاحب (الكشّاف) عام (بعده ١٧٤٥م = ١١٥٨هـ).
- (٢٥) العين: (٢٥١/١ - ٢٥٢): ((والشعيرة حديدة أو فضّة تُجَعَلُ مِسَاكاً لنصل السُّكِّين في النَّصَابِ حيثُ يُرْكَبُ.
- والشُّعَارِيُّ: صِغَارُ القَثَاءِ، الواحدة شُعْرورَة وشُعْرور.

والشَّعِيرَةُ مِنَ الحُلِيِّ تَتَّخِذُ مِنْ فَضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ أَمْثَالَ الشَّعِيرِ)).
_ مقاييس اللُّغة: (١٩٣/٣): ((شعر: الشين والعين والراء أصلان
معروفان ، يدلُّ أحدهما على ثَبَاتٍ ، والآخر على عِلْمٍ وَعَلَمٍ .
فالأوَّل الشَّعْرُ الشَّعَّرَ: معروف ، والجمع أشعار ، وهو جمع جمعٍ ،
والواحدة شَعْرَةٌ شَعَّرَ .

ورجلٌ أَشَعْرُ: طويل شعر شعر الرأس والجسد .

والشَّعار: الشَّجر . ..

ومما يقرب من هذا الشَّعير ، وهو معروف .

فأمَّا الشعيرة: الحديدية التي تُجَعَلُ مَسَاكاً لِنِصْلِ السَّكِّينِ إِذَا رَكَّبَ ،
فإنَّما هو مشبَّه بحَبَّةِ الشَّعِيرِ .

والشَّعارير: صِغار القِثَّاء .

والشعيرة: واحدة الشَّعائر ، وهي أعلامُ الحجِّ وأعمالُه)).

_ مفاتيح العلوم: (تحقيق: الأياري، ص ١٨٤ ، ((ص ١٥٣))) :
((الشَّعيرة في الجفن: ورم مستطيل)):

توفي الخوارزمي صاحب (مفاتيح العلوم) عام (٩٩٧م=٣٨٧هـ).

_ دوزي Dozy: التكملة: (٣١٨/٦ _ ٣١٩): ((شعير: وجمعه
شعيرات: القموح والشعيرات والحبوب .

الشعير: شكل من أشكال قلائد النساء.

شعيرة: داء الشعيرة وهي باللاتينية Ordeolus وهو ورم في الجفن يشبه حبة الشعير (محيط المحيط وابن العوام) ينظر المعجم اللاتيني مادة Ordeolus)).

(٢٦) عاش ماسرجويه في البصرة أيام الدولة المروانيّة. وقد امتدَّ حكم هذه الأسرة من الأمويين من عام (٦٨٤ م = ٦٤٤ هـ) _ حين وصل (مروان بن الحكم) إلى سُدَّة الخِلافة في دمشق _ إلى عام (٧٥٠ م = ١٣٢ هـ) _ حين انتهى حكم (مروان بن محمَّد) آخر خلفاء بني أميَّة.

ولا نعرف متى عاش ماسرجويه هذا على وجه الدقَّة، إلاَّ أنَّ أعماله الطَّبَّيَّة كانت موجودةً في (خزائن كتب الخِلافة) يوم جاء (عمر بن عبدالعزيز) إلى الحكم عام (٧١٧ م = ٩٩ هـ).

هذا يعني أنَّ هذه الأعمال تعود إلى أوائل القرن الثامن الميلاديِّ على أبعد حدٍّ، ذلك أنَّ الكتاب كان موجوداً في خزانة الخِلافة قبل عام (٧١٧ م)، وقد يعود عهد بعضها إلى القرن السابع الميلاديِّ.

يُنظر: عيون الأنباء: (١٠٩/١ _ ١٦٣). سزكين: (٢٠٦/٣).

(٢٧) اسم الكتاب هو (الرَّسالة الكافية في الطَّبِّ)، وقد اشتهر باسم (الرَّسالة الكافية الهارونيَّة).

يُنظر: مقالة: لقيّ جديدة من كنز التراث العربيّ: (ص ٨). مكتبة الكحّال في عصر الرازي: (ص ٣٠).

(٢٨) حكم الرشيد بين: (٧٨٦ - ٨٠٩ م = ١٧٠ - ١٩٣ هـ).

(٢٩) وهو مجموعة مقتبساتٍ اختارها الرازي على مدى زمنٍ طويلٍ وأخذها من كُُلِّ المؤلفين الذين عاشوا قبله وقصّده من جَمْعِها أن تكون مادّةً أوليّةً لتأليف كتابٍ شاملٍ في الطّبِّ سمّاه الرازي (الجامع الكبير). وقد توفي الرازي بعد أن ظهرَ من هذا الكتاب اثنا عشر جزءاً يعدُّ عناوينها ابنُ أبي أصيبعة.

للتوسع: يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٣/٨٣-٩٦).

(٣٠) توفي الرازي نحو عام (٩٢٥ م = ٣١٣ هـ) وقد جمع تلامذته الأوراق التي كتبها الرازي وصنّفوها في كتابٍ سمّوه (الحاوي في الطّبِّ). طبع (الحاوي) في حيدر آباد الدكن (الهند) باعتناء (دائرة المعارف العثمانية). ويقع في ثلاثة وعشرين جزءاً.

يُنظر: سزكين: (٣/٢٧٤).

(٣١) توفي البيروني عام (١٠٤٨ م = ٤٤٠ هـ) وقضى جزءاً كبيراً من حياته في الهند وكتب عن تاريخها وثقافتها. ويرى ساخاو (Sachau) أن البيروني يمثل أعظم عقليةٍ أنجبها التاريخ.

(٣٢) توفي ابن البيطار عام (١٢٤٨ م = ٦٤٦ هـ)، ولد قرب (مألقة) في الأندلس ولذلك يُنسب إليها فيقال (المالقي). زار شمال إفريقيا وكثيراً من بلدان حوض البحر المتوسط (وبلاد الروم) دارساً الأعشاب الطَّبَّية في مواطنها البرية الأصيلة، ثم استقر في مصر لكنه توفي في دمشق. وسبب تنقله الواسع هو رغبته في التعرف على النباتات الطَّبَّية في مواطنها البرية الأصلية وهذا ما كان يسمي في ذلك الزمن (الرحلة النَّباتية) وأشهر من قام بمثل هذه الرحلة هو أستاذه أبو العباس النباتي المشهور بابن الرُّومية المتوفى سنة (١٢٣٩ م = ٦٣٧ هـ).

(٣٣) حكم معاوية بين (٦٦١ - ٦٨٠ م = ٤١ - ٦٠ هـ).

(٣٤) يقال أنَّ (الحكم) والد عيسى بن الحكم كان معمرًا عاش أكثر من مئة عام.

يُنظر: عيون الأنباء: (١/١١٩).

(٣٥) السنوات الأخيرة من القرن الثامن الميلادي.

(٣٦) تعود إلى أوائل القرن الثامن الميلادي (عصر ماسرجويه)، وبين عصر ماسرجويه وعصر عيسى بن حكم ما يزيد على نصف قرن ويقرب من قرنٍ كامل.

(٣٧) كتب حنين كتاباً بعنوان (المسائل في الطبِّ للمتعلمين) أو (المدخل إلى الطبِّ) ويعدُّ هذا الكتابُ تلخيصاً واضحاً للنظرية الطَّبَّية التي

أخذها العرب عن الإغريق، وصار أساساً لدراسة الطّب عند الطلبة العرب.

يُنظر: سزكين: (٢٤٩/٣).

(٣٨) نَحْصُ بالذكر هنا الدراسات التي قام بها مايرهوف (Meyerhof)، وأثبت فيها أنّ كتاب حنين في العين (العشر مقالات في العين) كتابٌ أُلّف على الطريقة العلميّة. وعرف مايرهوف أنّ مصدر هذا الكتاب إنّما هو المادّة العلميّة النظرية التي جاءت متفرقةً في عددٍ كبيرٍ من مؤلّفات جالينوس.

يُنظر: العشر مقالات: مقدّمة مايرهوف.

(٣٩) يُنظر: طبقات الأطباء: بتحقيق فؤاد سيّد: (ص ٦١).

(٤٠) تولى الخلافة بين عامي: (٧١٧ - ٧١٩ م = ٩٩ - ١٠١ هـ).

(٤١) حول أهرن: يُنظر: سزكين: (١٦٦/٣). تاريخ أطباء العيون العرب: (٣٨/٢).

(٤٢) جوسوس (gosios) هذا هو غير جيسوس (gesios) الذي من بترا (Petra). والمُسَمَّى جيسوس الإسكندراني.

وجيسوس الإسكندراني هو أحد العلماء الذين شرحوا جالينوس وعلّقوا على كتبه، ويعتقد أنّه ساهم في إنجاز الملخصات الإسكندرانية الشهيرة التي سمّاها العرب (جوامع الإسكندرانيين). ويرجّح أنّه عاش

حوالي عام (٥٠٠ م)، ويسمّيه ابن النديم: جاسيوس: الفهرست: (ص ٢٩٢). وقد ذكره القفطي وابن أبي أصيبعة.

ينظر: سزكين: (١٦٠/٣). ديترش: (ص ٢٢٣).

أما جوسيوس فقد ذكره بدج (Budge) نقلاً عن ابن العبري، وذلك حينما كتب عن التراث الطَّبِّي السُّريانيّ.

يُنظر: سزكين: (١٦٦/٣).

(٤٣) وليس من الإغريقيّة إلى العربيّة كما ظنَّ البعض.

(٤٤) الكُنَّاش: هو الكتاب المختصر، وهو هنا مختصر في الطَّبِّ، يُعنى بالطَّبِّ السُّريانيّ أيّ بعلم الأعراض والعلامات وعلم التشخيص التفريقي وعلم المداواة والمعالجات الأخرى بشكلٍ عام، دون أن يتطرق إلى العلوم الطَّبِّيّة النظرية كعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم المرضيات (الإمراض).

والغرض من تأليف الكُنَّاش أن يكون مرجعاً سريعاً يلجأ إليه الطبيب في الممارسة اليومية، ويغنيه عن العودة إلى الكتب الموسعة. ولفظة كُنَّاش أصلها سُريانيّ. أمّا تقليد كتابة الكُنَّاش فإنّه يعود إلى أيام الإغريق.

يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٣٨/٢).

(٤٥) يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٤٠/٢).

(٤٦) ولذلك فإنّنا ننسب كلّ واحدٍ منهما إلى بلده لكي لا نخلط بينهما

فنقول: ماسرجويه البصري (اليهودي) و(ماسرجويه الجنديسابوري).

- (٤٧) يُنظر: سزكين: (٢٣٦/٣). تاريخ أطباء العيون العرب: (٤٨/٢).
- (٤٨) يُنظر: سزكين: (٢٣١/٣). تاريخ أطباء العيون العرب: (٤٤/١).
- (٤٩) يُنظر: سزكين: (٢٣٣/٣).
- (٥٠) يُنظر: سزكين: (٢٣٣/٣). دور العرب في تطور طبّ العيون:
(ص٤١). لقيّ. .: (ص١٠).
- (٥١) يُنظر: سزكين: (٢٣٣/٣).
- (٥٢) يُنظر: سزكين: (٢٦٠/٣).
- (٥٣) قبل عام (٩٠١م = ٢٨٨هـ) عام وفاة ثابت.
- _ يُنظر: آراء ودراسات: (١٧٣/٢).
- (٥٤) يُنظر: آراء ودراسات: (١٧٣/٢).
- (٥٥) يُنظر: تاريخ أطباء العيون العرب: (٥٨/٢).
- (٥٦) يُنظر: سزكين: (٢٠٧/٣).
- (٥٧) يُنظر: سزكين: (١٦٧/٣_١٦٨).
- (٥٨) يرجّح أنّه توفي عام (٧٠٩م = ٩٠هـ).
- (٥٩) يُنظر: سزكين: (٢٠٧/٣_٢٠٨).
- (٦٠) عيون الأنباء: (١٢٣/١).
- (٦١) عيون الأنباء: (١٢٣/١). سزكين: (٢٠٧/٣).

(٦٢) سزكين: (٣/٣٠٤).

(٦٣) سزكين: (٣/٢٠٨).

(٦٤) يعدُّه سزكين من أطباء القرن الثامن، وكان ابن أبي أصيبعة قد صنّفه مع الأطباء الإسكندرانيين.

يُنظر: سزكين: (٣/٢٠٩). أولمان: (ص٩١).

(٦٥) يُنظر: سزكين: (٣/٢٠٩). أولمان: (٩١).

(٦٦) في كتابه (الصَّيْدنة في الطَّبِّ) أكثر من عشرة اقتباسات، ويرى مايرهوف أنَّ اقتباسات البيروني مأخوذة من كتاب أبي جريج (إصلاح الأدوية).

يُنظر: سزكين: (٣/٢٠٩).

(٦٧) في كتابه (الاختيارات).

يُنظر: سزكين: (٣/٢٠٨).

(٦٨) في (القانون) مرّة واحدة.

(٦٩) في (الجامع .) أكثر من عشرة اقتباسات.

يُنظر: أولمان: (ص٩١ _ ٩٢).

(٧٠) سزكين: (٣/٢٠٨). أولمان: (ص٩٢).

(٧١) سزكين: (٣/٢٠٨).

(٧٢) حكم المنصور بين: (٧٥٤ - ٧٧٥ م = ١٣٦ - ١٥٨ هـ).

(٧٣) توفي في جُنْدِيسَابُور.

يُنظر: سزكين: (٢٠٩/٣).

(٧٤) _ عيون الأنباء: (١٢٣/١).

(٧٥) سزكين: (٢٠٩/٣). أولمان: (ص ١٠٨).

(٧٦) سزكين: (٢٠٩/٣).

(٧٧) سزكين: (٢٠٩/٣). أولمان: (ص ١٠٨).

(٧٨) أولمان: (ص ١٠٩).

(٧٩) سزكين: (٢١٠/٣). أولمان: (ص ١٠٩).

(٨٠) عيون الأنباء: (١٢٥-١٢٧).

(٨١) سزكين: (٢١١/٣). أولمان: (ص ١٠٩).

(٨٢) سزكين: (٢٢٣/٣).

(٨٣) سزكين: (٢٢٣/٣): ينقل عن كراوس (Kraus): ((إنَّ جابراً ذكر هذا

الكتاب بنفسه في كتابه (إخراج ما في القوى إلى الفعل)).

(٨٤) بدأ الخلط بين الاسمين: ماسرحويه وماسرحيس منذ أيام ابن النديم،

يُنظر الفهرست: (ص ٢٩٧). ويُنظر: حواشي فلوجل (Flügel) على

التحقيق: (ص ١٤٢)، وقد نَبّه فلوجل إلى هذا الخلط.

وهناك فقرات قليلة مقتبسة في بعض الكتب منسوبة إلى ماسرجيس أو ماسرجويه أو أهرن، كما نجد عند العافقي في (الأدوية المفردة) وابن البيطار في (الجامع والقلاسي في الأقبازيين).

(٨٥) يُنظر: سزكين: (٢٢٤/٣).

(٨٦) يُنظر: حواشي فلوجل على ابن النديم: (ص ١٤٢ - ١٤٣). عيون الأبناء: (١/١٦٣). وذكره عبدالمسيح الكحلّ الحلبّي في القرن الثامن عشر.

يُنظر: بولص سباط: الفهرس: (٧٤/٢).

وذكره سباط في الملحق: (ص ٦٠، رقم: ٢٩٧٥).

يُنظر سزكين: (٢٢٤/٣).

(٨٧) وصلت إلى زمننا مخطوطةٌ من هذا الكتاب محفوظةٌ في مكتبة أياصوفيا تحت رقم (٤٨٣٨).

يُنظر: سزكين: (٢٢٤/٣): سزكين ينقل عن ريتز فالزر

Ritterwalzer رقم (٨٣١).

(٨٨) يُنظر: سزكين: (٢٢٤/٣). نقلاً عن سباط: الفهرس _ الملحق:

(ص ٦٠ - رقم: ٢٩٧٣).

(٨٩) سزكين: (٢٢٤/٣). نقلاً عن سباط: الفهرس _ الملحق: (ص ٦٠ -

رقم: ٢٩٧٤).

(٩٠) ذكره ابن النديم: الفهرست: (ص ٢٩٧) وعنه نقل القفطي وابن أبي أصيبعة.

يُنظر: سزكين: (٢٢٥/٣).

(٩١) سزكين: (٢٢٤/٣-٢٢٥).

(٩٢) من سلالة بُختيشوع الشهيرة، من أهل القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري).

(٩٣) أولمان: (ص ٨٨).

(٩٤) سزكين: (٢٢٥/٣).

(٩٥) من أهل القرن لتاسع أو العاشر الميلادي. صاحب كتاب (الفلاحة التَّبَطِيَّة) الذي حَقَّقَه: توفيق فهد.

(٩٦) عيون الأنباء: (٢٠٣/١).

(٩٧) أيام المأمون.

(٩٨) عيون الأنباء: (٢٠٣/١).

(٩٩) توفي (٢١٢هـ = ٨٢٧ أو ٨٢٨ م). في خلافة المأمون. حكم المأمون بين: (٨١٣-٨٣٣ م = ١٩٨-٢١٨هـ).

(١٠٠) سزكين: (٢٢٧/٣).

(١٠١) صار طبيباً خاصاً بالرشيد عام (٨٠٥ = ١٩٠هـ).

حكم الرشيد بين: (٧٨٦ - ٨٠٩ م = ١٧٠ - ١٩٣ هـ).

(١٠٢) وموضوع نسبتها إليه مشكوكٌ فيه بسبب الخلط الذي وقعت فيه بعض المصادر التي تنسب إلى بُختيشوع! وبذلك لا يعرف من هو المقصود الأب أم الابن أم الحفيد.

(١٠٣) يُنظر: سزكين: (٢٢٧/٣). أولمان: (ص ١١٢).

المصادر والمراجع:

_ ابن أبي أصيبعة، موفق الدِّين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة. (عيون الأنباء في طبقات الأَطبَّاء)، تحقيق: أوغست مولر، الطبعة الأولى، المطبعة الوهبيية، القاهرة، (١٨٨٢ م = ١٢٩٩ هـ).

_ ابن جُلجل، سليمان. (طبقات الأَطبَّاء والحكماء)، ترجمة وتحقيق: فؤاد سيّد، منشورات المعهد الفرنسي بالقاهرة، ١٩٥٥ م.

_ ابن سيده، علي بن إسماعيل، أبو الحسن. (المخصص في اللُّغة)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٩٦ م - ١٤١٧ هـ).

— ابن سينا، الحسين بن عليّ، أبو عليّ. (القانون في الطبّ)، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٤٢٣هـ _ ٢٠٠٢م).

— ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين. (مقاييس اللّغة)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت لبنان، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.

— ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن منظور. (لسان العرب المحيط)، ثلاثة مجلدات، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت (١٩٧٠).

— ابن النديم، محمّد بن إسحاق، أبو الفرج. (الفهرست)، باعثناء فلوغل Flügel, G. لاينغ، (١٨٧١ _ ١٨٧٢)، بيروت ١٩٧٨م، جزآن، طبعة جديدة.

— البندنجي، أبو بشر اليمان بن أبي اليمان البندنجي. (التّفقيّة في اللّغة)، حققه: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، (١٩٧٦).

— البيروني، محمّد بن أحمد، أبو الريحان. (الصّيّدة في الطبّ)، حقّق النّصّ العربيّ وترجمه إلى الإنجليزية: محمد سعيد ورنّا إحسان الهى، وعلق عليه بالإنجليزية (ج ٢) سامي خلف حمارنة، مؤسسة همدرد، كراتشي (١٩٧٣).

_ التهانوي، محمّد علي بن علي بن محمّد التّهانوي الحنفي. (كشّاف اصطلاحات الفنون)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية (٢٠٠٦م).

_ الحمارنة، نشأت. (مكتبة الكخّال في عصر الرازي)، المجلس الأعلى للعلوم، أسبوع العلم الحادي والثلاثون، الاحتفال بذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاة العالم العربي أبي بكر محمد بن زكريا الرازي، ٢٥ ربيع الثاني _ ٢ جمادى الأولى ١٤١٢هـ، ٢ _ ٨ تشرين الثاني ١٩٩١م.

_ الحمارنة، نشأت. (تاريخ أطباء العيون العرب)، وزارة الثقافة _ دمشق، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٤م. الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

_ الحمارنة، نشأت. (لقى جديدة من كنز التراث العربيّ)، في مجلة الكخّال، المجلد ٣، الصفحات: ١ ← ٦١، عام ١٩٨٥م.

_ الحمارنة، نشأت. (المعجمات الطّبّيّة)، مجلة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، مجلد ٦٠ / ج ١.

القسم الأول: الصفحات: ١٠٤ ← ١٢٣، عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

القسم الثاني: الصفحات: ٤٨٤ ← ٥١٤، عام (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).

القسم الثالث: الصفحات: ٥٤١ ← ٥٦٠. عام (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).

القسم الرابع: الصفحات: ٤٦٦ ← ٥١٣. عام (١٤١٢هـ = ١٩٩١م).

_ الحمارنة، نشأت. (آراء ودراسات في تاريخ الطّب العربيّ)، جزآن، دمشق، (٢٠٠٤).

_ الحمارنة، نشأت. (دور العرب في تطور طبّ العيون)، الجزء الأول، إصدار خاص من مجلة الكحّال - المجلد الثالث، العدد الثالث - دمشق، ١٩٨٥، جزآن (٢٠٠٤م).

_ حنين بن إسحاق. (المسائل في الطّب للمتعلّمين)، تحقيق: محمّد علي أبو ريان، مرسى محمّد عرب، جلال محمّد موسى، دار الجامعات المصرية، (١٩٧٨).

_ حنين بن إسحاق. (العشر مقالات في العين)، التحقيق والترجمة الإنجليزية: ماكس مايرهوف، المطبعة الأميرية بالقاهرة، (١٩٢٨ م).

_ الخليل بن أحمد الفراهيدي. أبو عبدالرحمن. (كتاب العين)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ثمانية أجزاء، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، سلسلة المعاجم والفهارس، صدر بين (١٩٨٥ - ١٩٨٠).

_ الخوارزمي، محمّد بن أحمد بن يوسف. (مفاتيح العلوم)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٤ م = ١٤٠٤هـ).

— الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف. (مفاتيح العلوم)، تقديم: جودت فخر الدين، طبعة جديدة منقحة ومقابلة على عدة نسخ، دار المناهل، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩١ م = ١٤١١ هـ).

— (دائرة المعارف الإسلامية). إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، الترجمة العربية، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت. (١٩٦٩ م).

— دوزي، رينهارت. (تكملة المعاجم العربية)، ١١ جزءاً، نقله إلى العربية وعلّق عليه: محمد سليم النعيمي، جمال خياط. الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والفنون، (١٩٧٨ - ٢٠٠١ م).

— الرازي، محمد بن زكريا، أبو بكر. (الحاوي في الطّب)، (الجزء الثاني في أمراض العين). صُحح من نسخة فلواري شريف ونسخة إسكوريال (رقم ٨٠٦) مدريد وطبع تحت مراقبة، شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وسكرتيرها قاضي المحكمة العليا سابقاً. الطبعة الثانية، بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م).

— الزبيدي، محمد مرتضى. (تاج العروس من جواهر القاموس)، ٤٠ مجلداً، الكويت، سلسلة التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي.

— سباط، الأب بولص. P.Sbath (الفهرس)، AL-Fihris القاهرة (١٩٣٨ - ١٩٤٠) في أجزاء وذيل.

— سزكين، فؤاد. (تاريخ التُّراث العربيّ)، مجموعات في المخطوطات العربيّة في مكتبات العالم، نقله إلى العربيّة: محمود فهمي حجازي، وراجعته: عرفه مصطفى، الرياض (١٩٨٢).

— عليّ بن عيسى. (تذكرة الكَحّالين)، عني بتصحيحه والتعليق عليه الحكيم غوث محيي الدين القادري الشرفي يم، طبع بإعانة وزارة المعارف للحكومة الهندية العالية تحت مراقبة د. محمّد عبدالمعيد خان رئيس قسم الآداب العربية بالجامعة العثمانية ومدير دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند. (١٣٨٣هـ — ١٩٦٤م).

— عيسى بن حكم، مسيح الدمشقي. (الرّسالة الهارونيّة)، تحقيق: SuzanneGIGNDET المعهد الفرنسي للشرق الأوسط، دمشق، (٢٠٠٢).

— الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، مجد الدّين. (القاموس المحيط). مؤسسة النوري، الطبعة الأولى، (١٩٨٧م = ١٤٠٨هـ).

— القفطي، عليّ بن يوسف، جمال الدّين، أبو الحسن. (إخبار العلماء بأخبار الحكماء)، باعثناء: ليبرت Lippert - لايبزغ Leipzig، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر (١٩٠٣م).

— القفطي، عليّ بن يوسف، جمال الدين، أبو الحسن. (إخبار العلماء بأخبار الحكماء)، طبعة مطبعة السعادة، القاهرة: ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م.

_ القمري، الحسن بن نوح، أبو منصور. (التَّنوير في الاصطلاحات الطَّبَّيَّة)، تحقيق: وفاء تقي الدِّين، مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، مطبعة الصباح (١٩٩٠م).

_ القمري، الحسن بن نوح، أبو منصور. (التَّنوير في الاصطلاحات الطَّبَّيَّة)، تحقيق: غادة حسن الكرمي، بتكليف من مكتب التَّربية العربيِّ لدول الخليج، الرياض، (١٤١١هـ - ١٩٩١م).

_ القوصوني، مَدِين بن عبد الرَّحمن القُوصُونيِّ المصريِّ. (قاموس الأطباء وناموس الألباء)، مصورات مَجْمع اللُّغة العربيَّة بدمشق، (١٩٧٩م = ١٣٩٩هـ).

_ الكشكري، يعقوب الكشكري. (كُنَّاش في الطَّبِّ)، تحقيق: عليّ شيري، مؤسسة عز الدِّين للطباعة والنَّشر، بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٤م = ١٤١٤هـ).

_ مصادر ومراجع مختارة:

ماسرجويه البصري:

_ المصادر:

_ ابن جليل/الفهرست: (٦١).

_ ابن النديم: (٢٩٧). حواشي فلوجل: (١٤٢ _ ١٤٣).

_ صاعد الأندلسي: (٨٨).

_ القفطي: (٣٢٤ _ ٣٢٦).

_ ابن أبي أصيبعة: (١٠٩/١ _ ١٦٣).

_ **المراجع:**

_ لوكلير: (٧٩/١ _ ٨١).

_ سركين: (٢٠٦/٣).

_ أولمان: (٢٣).

_ **تياذوق:**

_ **المصادر:**

_ ابن النديم: (٣٠٣). حواشي فلوجل: (١٤٧).

_ القفطي: (١٠٥).

_ ابن أبي أصيبعة: (١٢١/٢ _ ١٢٣).

_ **المراجع:**

_ لوكلير: (٨٢/١ _ ٨٣).

_ سركين: (٢٠٧/٣).

_ أولمان: (٢٢_١٠٨).

أبو جريج الرَّاهب:

_ المصادر:

_ ابن أبي أصيبعة: (١٠٩/١)

المراجع:

_ لوكلير: (٢٧١/١).

_ سركين: (٢٠٨/٣).

_ أولمان: (٩٢_٩١).

_ جورجس بن بُختيشوع:

_ ابن النديم: (٢٩٦). حواشي فلوجل: (١٤٢).

_ القفطي: (١٥٩_١٥٨).

(ابن أبي أصيبعة: (١٢٣/١_١٢٥).

المراجع:

_ بروكلمان: الذيل: (٤١٤/١).

_ سارتون: (٥٣٧/١).

_ سركين: (٢٠٩/٣ - ٢١٠).

_ أولمان: (١٠٨).

_ بُختيشوع:

_ المصادر:

_ ابن النديم: (٢٩٦). حواشي فلوجل: (١٤٢).

_ ابن جليل: (٦٣).

_ القفطي: (١٠٠ - ١٠١).

_ ابن أبي أصيبعة: (١٢٥/١ - ١٢٧).

_ المراجع:

_ بروكلمان: في دائرة المعارف الإسلامية: ط ١: (٦٢٦/١).

_ سورديل: في دائرة المعارف الإسلامية: ط ٢: (١٢٩٨/١).

_ سركين: (٢١٠/٣).

_ أولمان: (١٠٩).

_ جابر بن حيّان:

_ المصادر:

_ ابن النديم: (٤٢٠).

_ المراجع:

_ بروكلمان: (١/ ٢٤٠ _ الذيل: ١/٤٢٥).

_ دائرة المعارف الإسلامية: (٢/٣٦٧).

_ سزكين: (٣/٢١١).

_ أولمان: (٣٢٧).

_ ماسرجويه الجنديسابوري:

_ المصادر:

_ ابن النديم: (٢٩٧). حواشي فلوجل: (١٤٢ _ ١٤٣).

_ القفطي: (٣٢٤).

_ ابن أبي أصيبعة: (١/٢٠٤).

_ المراجع:

_ سزكين: (٣/٢٢٤ _ ٢٢٥).

_ أولمان: (٨٨ _ ٢٦٤).

_ يحيى بن البطريق:

_ المصادر:

_ ابن جلجل: (٦٧ _ ٦٨).

_ ابن أبي أصيبعة: (٢٠٥/١).

_ المراجع:

_ بروكلمان: (٢٠٣/١ _ الذيل: ٣٦٤/١).

_ سارتون: (٥٥٦/١).

_ سزكين: (٢٢٥/٣).

_ أولمان: (٢٦ _ ٢٣٤ _ ٣٢٦).

_ جبرئيل بن بُختيشوع بن جورجس:

_ المصادر:

_ القفطي: (١٣٢ _ ١٤٦).

_ ابن أبي أصيبعة: (١٢٧/١ _ ١٣٨).

_ المراجع:

_ سارتون: (٥٧٣/١).

_ سزكين: (٢٢٦).

_ أولمان: (١٠٩).

_ عيسى بن حكم:

_ المصادر:

_ ابن النديم: (٢٩٧). حواشي فلوجل: (١٤٢).

_ صاعد الأندلسي: (٣٧).

_ القفطي: (٢٤٩ _ ٢٥٠).

_ ابن أبي أصيبعة: (١٢٠/١ _ ١٢١).

المراجع:

_ لوكلير: (٨٤/١).

_ بروكلمان: (الذيل: ٤١/١).

_ سزكين: (٢٢٧/٣).

_ أولمان: (١١٢).

قبس من لسان العامة في معجم الصّحاح

د. حسين عباس الرفايعة

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربيّة وآدابها

جامعة الحسين بن طلال

الملخص

يقف هذا البحث على تبيان مصطلح العامّة في النّظر اللغويّ قديمه وحديثه وتصنيف مظاهر الخطأ اللغويّ في لسان العامّة التي جاءت متناثرة في معجم الصّحاح، وإدراجها في مستوياتها اللغويّة (الصوتيّة/ الصرفيّة، والتركيبية، والدلاليّة) وإبراز مسائل كلّ مستوى ممّا شكّل ملحظاً بارزاً باستئثار المستوى الصوتي/ الصرفيّ بالنصيب الأكبر؛ لأنه أكثر عرضة من غيره للتغيير، وأنّ الخطأ في الأسماء كان أوضح منه في الأفعال، وأن لا توافق على معيار الصّحة اللغويّة في المدوّنة اللغويّة.

(١)

استخلص الجوهري في معجمه الصحاح ما ثبت له، وقر من صحيح اللفظ دون أن يتناسى ذكر ما وقع من انحراف لغوي في لسان العامة؛ إذ نصّ عليه، وبّه في مواطن شتى في أثناء كتابه، ولكنّه لم يخصّه بالتعليل، والتحليل، والتصنيف، فاكتفى بنقل الصّورة المجرّدة للفظ على حسب ورودها في المدوّنة اللغويّة التي سبقته دون عناية بذكر المستوى اللغويّ الذي تنتمي إليه المفردة؛ لذا آثر الباحث أن يقف على مصطلح العامّة بالبيان، وتصنيف المسائل اللغويّة على حسب المستوى اللغويّ الذي تندرج تحته، معتمداً على المدوّنة اللغويّة التي سبقت الجوهري، واستقى منها مادة معجمه اللغويّ.

(٢)

الصحاح عنوان اختاره إسماعيل بن حمّاد أبو نصر الفارابيّ الجوهريّ (ت: ٣٩٣هـ) لمعجمه اللغويّ الذي أداره على ما صحّ من المفردات على حسب رؤيته التي ترجمها في المقدّمة القصيرة التي صدر بها كتابه، إذ ذهب إلى مبدأ التهذيب الذي بنى عليه معيار الصّحة، فاستبعد المفردة الرديئة التي قلّ استعمالها، وتأتّى له ذلك من خلال التداول الصحيح، معتمداً على السماع للأعراب في البادية، فبنى الثّقة على مقابلتهم ومشافهتهم، مضيفاً إلى ذلك اعتماد جودة الرواية، وحسن إتقان اللغة، واستشارة ذوي المعرفة باللغة، جاء في المقدمة "أمّا بعد: فإنّي قد أودعت هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها، وجعل علم الدّين والدّنيا منوطاً بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه، وتهذيب لم

أغلب عليه. ... بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحاً ولا ادّخرت وسعاً^(١).

ويظهر للباحث أنّ اختياره هذا العنوان، وما اندرج تحته من صحّة، قد حفّز الدّارسين إلى الاهتمام به؛ لذا حظي بدراسات ثرة، واستدراكات جمّة، وإطراءات علميّة كثيرة، فها هو الصّفديّ يطالعنا بالقول: "كتاب الصّحاح الذي يضرب به المثل في حفظ اللغة، وحسن الكتابة"^(٢)، وأثنى عليه السيوطي، فقال: "ومن كتبه الصّحاح في اللغة، وهو الكتاب الذي بأيدي النّاس اليوم، وعليه اعتمادهم، أحسن تصنيفه، وجوّد تأليفه...."^(٣).

وقد خصّه أحمد مختار عمر من المحدثين بالدراسة، وأبرز قيمته اللغويّة، وسيورته في الألسنة "وقد سار كتاب الصّحاح في الآفاق، وبلغ في الشهرة مبلغاً عظيماً..."^(٤) ثمّ استقصى الدراسات التي تكلمت

-
١. الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٩٩٠، (المقدّمة).
 ٢. الصّفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٠، ٦٩/٩.
 ٣. السيوطي، جلال الدّين، بغية الوعاة في طبقات اللغويّين والتّحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، لبنان، ٤٤٦/١.
 ٤. عمر، د. أحمد مختار، البحث اللغويّ عند العرب، عالم الكتب، ط ٧، ١٩٩٧، ٢٢٤.
 ٥. عمر، البحث اللغويّ، ٢٢٤، وانظر: أحمد عبد الغفور عطار، مقدّمة كتاب الصّحاح، القاهرة، ط ١، ١٩٨٢، ١٨٢-٢٠٧.

عليه^(١)، نحو: "التنبيه والإيضاح عمّا وقع من الوهم في كتاب الصحاح الذي يعرف بحواشي ابن برّي" و"نفوذ السهم فيما وقع للجوهريّ من الوهم لخليل بن أيك الصّفديّ" و"الوشاح وتنقيف الرّماح في ردّ توهم المجد للصحاح لعبدالرحمن بن عبدالعزيز المغربيّ"، و"الذيل والصّفة للحسن الصّغانيّ" و"ترويح الأرواح في تهذيب الصّحاح للزنجانيّ" و"مختار الصّحاح لمحمد بن أبي بكر الرّازيّ" و"ترجمة الصّحاح لقرّة بيري المسمّاة ب(الترجمان) و"ترجمة المولى محمد بن مصطفى الكورانيّ" و"الصّراح من الصحاح لأبي الفضل القرشيّ".

والجوهري في معجمه حريص كلّ الحرص على إيراد المفردة الصحيحة، ولكنّ ذلك لم يمنعه من الإشارة إلى ما وقع في لسان العامة من خطأ لغويّ، فجاءت عباراته المتكرّرة (والعامّة تقول) و (تقول العامّة) حيثما عنّت له تلك المسألة دون أنّ يشير في الغالب إلى مصدره أو مرجعه الذي استقى منه، أو تحديد مصطلح العامّة الوارد ذكره في كتابه، وهو بذلك يجري على سَمْت من سبقه.

يتراءى لي أنّ مصطلح العامّة لم يكن عُقْلاً في المظانّ اللغويّة قديمها وحديثها، لكنّهم لم يضعوا له حدّاً في التعريف، بل تركوه دون تحديد؛ لأنّه لم ينضو على لبس يمكن أنّ يقع على خلاف ما أثاره الدكتور رمضان عبدالنواب في أثناء تحقيقه لكتاب لحن العوام للزبيديّ، إذ ذهب إلى أنّ العامّة يقصد بها الطبقة المثقفة، والمتعلّمة، وليس المقصود بالعامّة الدّهماء، قال: "والخطأ هنا لا يتعلّق بالدّهماء من الناس، وإنّما فُصِد به

المثقفون الذين أصاب لسانهم وكلامهم اللحن...^(١)؛ لذا انبرى أحمد قدّور في كتابه الموسوم بـ (مصنّفات اللحن والتثقيف). للردّ على هذا الاعتبار، فذهب إلى القول: "ويبدو أنّ عبدالتوّاب جمع بين مفهوم العامّة من جهة، ومصطلح لحن العامّة من جهة أخرى على حين أنّ دلالة العامّة عَدّت لدينا معروفة بانطباقها على فئات معينة من المجتمع، فلا يمكن بحال من الأحوال أنّ نقبل ما ذهب إليه عبدالتوّاب من أنّ العوامّ عند مصنفي اللحن هم المثقفون، والأدلة التي نحتج بها في هذا المجال كثيرة، أهمها أنّ معظم المصنّفين يفرقون بين العامّة والخاصة تفريقاً واضحاً، بل ذهب بعضهم إلى تحديد فئات الخاصة التي شاع لديها لحن مختلف عن لحن العامّة وهو ما فعله ابن مكّي في تثقيف اللسان وتلقيح الجنان...^(٢)"

والقول الصّواب ما ذهب إليه قدّور، فلست على يقين ممّا ذهب إليه عبدالتوّاب لدواعٍ كثيرة منها:

١- أنّ المعجمات اللغويّة قديمها وحديثها، والمدوّنة اللغويّة بشكل عام لم تُشر إلى أنّ مصطلح العامّة من الأضداد حيث يكون مرّة بمعنى الدّهاء، ومرّة أخرى بمعنى طبقة الخاصة.

١. الزبيديّ، أبو بكر محمد بن حسن، لحن العوامّ، تح: د. رمضان عبدالتوّاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠، ٧.

٢. قدّور، د. أحمد محمد، مصنّفات اللحن والتثقيف اللغويّ حتى القرن العاشر الهجريّ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦، ٥٨.

٢- أن أصحاب المصنّفات اللغويّة ممّن سبقوا الزبيديّ، أو الذين جاؤوا بعده قد اتفقت كلمتهم على أنّ العامة على خلاف الخاصة، وذلك بين فيما نصّت عليه مدوّنتهم في العنوانات، أو المقدّمات، أو في أثناء البسط والشرح، فلا نعدم أنّ نجد تكرار هذا المصطلح في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ، وفي كتابات الجاحظ، جاء في البيان والتبيين "والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكّر المطر وبين ذكّر الغيث. ..."^(١) ونهض ابن قتيبة بالنص على تسمية كتابه بـ (أدب الكاتب) وأنّ المثقفين والكتّاب هم المقصودون بذلك، قال: "فإنّي رأيت كثيراً من كتّاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدّعة، واستوطؤوا مركب العجز، وأعفوا أنفسهم من كدّ النظر، وقلوبهم من تعب التفكير."^(٢). وهذا ما أكّده الحريري في كتابه (درة الغواص في أوهام الخواص) عنواناً ومقصداً، قال في المقدمة: "فإنّي رأيت كثيراً ممّن تسمّوا أسنمة الرّتب، وتوسّموا بسمة الأدب قد

١. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تقديم: د. علي أبو ملحم، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، الأردنّ، ٢٠٠٩، ٤٦.

٢. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، تح: محمد محيي الدّين عبدالحميد، ط٤، ١٩٦٣ (المقدّمة ص٦)، وانظر: ابن فارس، أحمد، الصحابي في فقه اللغة، ٦٥، ٧٢، والجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تح: أحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحموديّة، ٨٢، والسيوطي، جلال الدين، المزهرة في علوم اللغة، تح: محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، دار الفكر، ١٨٧/١، ١٩٠، ١٩٧، ٤٢٦.

ضاهوا العامّة في بعض ما يفرط كلامهم"^(١)، وقد أفرد السيوطي فصلاً لمعرفة العام والخاصّ في كتابه المزهري في علوم اللغة، إلاّ أنّه لم يضع حدّاً لمفهومي العامّة والخاصّة، فلم يتوقّف كلامه على أنّ العامّة بمعنى الدّهماء، أو طبقة الكتّاب والمتعلمين، فاكتمى بالقول: "العامّ الباقي على عمومته، وهو ما وضع عامّاً واستعمل عامّاً"^(٢) وقد هجّس اللغويّون المحدثون بهذا المصطلح بكل وضوح، قال ظاظا: "والعامي المنسوب إلى العامّة تحريف سوقيّ لألفاظ كانت من قبل عربيّة فصيحة"^(٣).

وعزّز ذلك قدّور بقوله: "وتحديد مفهوم الخاصّة والعامّة وارتباط ذلك بالمستوى اللغويّ، فالخاصّة الذين يرد ذكرهم في كتب اللحن هم علماء اللغة، والشعراء، والخطباء، والفقهاء، والمحدثون، وأهل الطبّ والحكمة ومن في مستواهم. ..."^(٤).

-
١. الحريري، القاسم بن عليّ، درّة الغوّاص في أوهام الخواص، تح: عرفان مطرحي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨، ٩.
 ٢. السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى ورفيقه، دار الفكر، د. ت، ١/٤٢٦.
 ٣. ظاظا، د. حسن، كلام العرب (من قضايا اللغة العربيّة) بيروت، لبنان، ١٩٧٦، ٨٠.
 ٤. قدّور، مصنفات اللحن والتثقيف، ٥٧، وانظر: آل ياسين، محمد حسين، الدراسات اللغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠، ١٧٠، ١٧٦، والصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٩٨٣، ٦٥، والموسى، د. نهاد، قضية التحوّل إلى الفصحى في العالم العربيّ الحديث، دار الفكر، عمّان، ط١، ١٩٨٧، ٦٩، ٧٩، وحجازي، د. محمود فهمي، علم اللغة العربيّة، دار غريب، مصر، ١١٥.

٣- أنّ لغة أهل الأندلس لم تختلف مدلولاتها عن لغة أهل الشرق، وأنّ مدارج اللغة لم تضق على الزبيديّ حتّى يندفع إلى توليد هذا المعنى.

٤- أنّ الزبيديّ نفسه كان ينصّ على مصطلح الخاصة حيث عنّ له في مواطن كثيرة في كتابه، ولو كان مصطلح العامة بمعنى طبقة المثقفين ومنّ دار في فلّكهم لما لجأ إلى هذا التكرار وهذا النصّ، قال: "قد أولع بالخطأ في هذا أهل الكلام، والمدّعون لحدود المنطق حتّى غرّ ذلك جماعة من الخطباء..."^(١)، وقال في موطن آخر: "وقد غلّط في ذلك أهل الكلام، وأكثر المحدثين من الشعراء، والكتّاب، والفقهاء..."^(٢)، ومهما يكن من أمر فإنّ كلّ ذلك يؤكّد أنّ عبد التواب قد وهم في تفسير مصطلح العامة بمعنى طبقة المثقفين ومن دار في فلّكهم، وهو نفسه يعيد مصطلح العامة بمعنى الدّهماء في مؤلّفاته قال: "وليست هذه الظاهرة منحصرة في معاملة واو المدّ الأصليّة معاملة الحركة المركبة، بل إنّها تشمل كذلك معاملة العوامّ للدال والسين أحياناً، معاملة الصوتين المغيّرين في العاميّة عن الصوتين الأسنانيين الذال والثاء"^(٣)، وقال في

١. الزبيديّ، لحن العوام، ٦٩.

٢. السابق نفسه، ٧٠، وانظر: ١٤٠، ١٥٥، ٢٩٠.

٣. عبدالتواب، د. رمضان، التطور اللغويّ (مظاهره وعلمه وقوانينه)، مكتبة الخانجي بالقاهرة،

ط١، ١٩٨٣، ٨٤.

موطن آخر: "ومن أمثلة الفصل الخاطيء، قول العامة: (عقبال عندكم بدلاً من عقبي لكم)"^(١).

وعلى أية حال فإنّ الاستياء من كل خروج لغويّ سواء أكان في لسان العامة أم الخاصّة يشكّل مظهراً من مظاهر الخطأ اللغويّ؛ لذا برز التصحيح اللغويّ في مصنّفات كثيرة بوصفه معالجة إصلاحية في متن اللغة، تستهدف ترقية الاستعمال، أو حفظه في مستوى الصواب، وهو استبدال لفظ بلفظ أو صيغة بصيغة، أو تركيب بتركيب على حدّ قول الدكتور نهاد الموسى^(٢)، وعلى هذا يمكن التّهدي إلى أنّ مصطلح العامة يعني ما خالف المختار مما أطبق عليه علماء اللغة، أو كادوا، وأنّ ما أودعه الجوهريّ في الصحاح يشتمل على كلّ صحيح معتمد لدى اللغويّين حتّى يكون اختيار الأديب - من شعراء وكتّاب - مقبولاً لدى جماعة أهل العلم اللغويّ الذين كانت أحكامهم اللغوية دقيقة ومعبرة. ومظاهر الخطأ اللغويّ ستطالعنا في أثناء هذا البحث على حسب ورودها في المستويات اللغوية.

(٣)

المستوى الصوتي والصرفي

١ - المعاقبة بين الكسر والفتح

١. عبدالنواب، التطور اللغوي، ١٠٣.

٢. الموسى، قضية التحوّل إلى الفصحى، ١٢.

ثمة مفردات وقف عليها الجوهري بالذكر، إذ أصابها تحوّل داخليّ بين الصوائت القصيرة، فتارة تنتقل فاء الكلمة في الأسماء من كسرة إلى فتحة، وتارة أخرى تنتقل من فتح إلى كسر، فمن النوع الأوّل أنّ العامّة تسمّي وعاء الزاد (جَرَاباً) بفتح الجيم^(١)، ومعيار الصّحة اللغويّة يقضي بكسرها إلاّ أنّ المدوّنة اللغويّة لم تقف طويلاً على هذه المادّة؛ لأنّ كلمة اللغويين قد اتفقت على مجيء لغة واحدة فيها هي لغة الكسر، ويقع هذا على نحو مغاير مما ورد في لفظ (جنازة) بكسر الجيم والعامّة تفتح، وقال الجوهري: "الجنازة بالكسر واحدة الجنائر، والعامّة تفتحها، ومعناه الميّت على السرير، فإذا لم يكن عليه الميّت، فهو سرير ونعش"^(٢)، على أنّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ يذكر أنّ العرب قد أدارت هذا اللفظ على لغتين، لغة الكسر، ولغة الفتح، وأنّ اللغويين الكبار لا يقرّون مجيء الفتح، يقول: "والجنازة بنصب الجيم وجرّها: الإنسان الميّت، والشيء الذي تُقْل على قوم واغتموا به أيضاً جنازة، قال: وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة عليك ومن يَغْتَرُّ بالحدثان، وقومٌ ينكرون الجنازة للميّت، يقولون: الجنازة بكسر الصّدر خشبة الشّرّج، وإذا مات فإنّ العرب تقول رُمي في جنازته، وقد جرى في أفواه العامّة (الجنازة) بنصب الجيم، والنحارير ينكرونه"^(٣).

ويظهر للباحث أنّ الجوهريّ قد تشبث بنهاية نصّ الخليل (والنحارير ينكرونه) فبنى على ذلك معيار الصّحة اللغويّة، فرد لفظ الجنازة بالفتح؛

١. الجوهري، الصّحاح، مادة: (جرب).

٢. السابق نفسه، مادة: (جنز).

٣. الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: د. مهدي المخزومي، و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، مادة: (جنز).

لأن علماء اللغة المجيدين ينكرونه على حدّ قول الخليل، ولا نعدم أن نجد اللغويّ ابن السكّيت يذكر أنّ الأصل في هذا اللفظ بالكسر، وأنّ العامة تميل إلى الفتح على ذلك نصّ في باب (ما هو مكسور الأول ممّا فتحته العامّة)^(١). دون أن يخطئ العامّة، أما ابن قتيبة فقد نهض بمبدأ المفاضلة اللغويّة، إذ نصّ على ورود اللغتين في لسان العرب، ولكنّ الأجود الكسر، قال: "يقولون الجنّازة، والأجود الجنّازة"^(٢)، ونصّ ثعلب على لغة الكسر، وذهب شارح الفصيح إلى أنّ دلالة جنّازة بالكسر تعني السرير الذي يحمل عليه الموتى وجمعها جنائر، والجنّازة بالفتح لا غير الميّت نفسه^(٣).

ويظهر لي أنّ الاختلاف في دلالة هذه المادة قد دفع اللغويين للوقوف عليها، وأنّ الخليل - وهو أقرب عهداً من الجوهري بلغة العرب - كان على صواب عندما أشار إلى ورود اللغتين، وأنّ (الثقل) الذي أشار إليه في معنى هذه المفردة يؤذن بإطلاقها مرّة على الميّت، وأخرى على سرير الميّت، وأنّ الشيء يؤخذ بحكم جاره، أما ميّل العامّة إلى لغة الفتح فيفسّر

١. ابن السكّيت، إصلاح المنطق، تح: أحمد محمّد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٦٣.

٢. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، ٣٢٦.

٣. الزمخشري، محمود بن عمر، شرح الفصيح، تح: د. إبراهيم بن عبدالله الغامدي، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٦، ٤٤٥/٢، وانظر: الجبّان، أبا منصور، شرح الفصيح في اللغة، تح: د. عبدالجبار جعفر القزاز، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ١٩٩١، ٢١٩.

في ضوء قانون السهولة واليسير، قال عبدالنواب: "تميل اللغة في تطورها، نحو السهولة واليسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة، وتستبدل بها أصواتاً أخرى"^(١)؛ لأنّ الكسرة أمامية ضيقة، والفتحة وسطية حيّزها واسع.

وأما ما جاء من الانتقال من الفتح إلى الكسر، فقول العامّة: (الرّصاص)^(٢) و(الفَصّ)^(٣)، والصواب فيهما الفتح، على أنّ الخليل لم ينكر لغة الكسر، فقد ذكر أولاً لغة الفتح، ثمّ عقّب بلغة الكسر، قال: ويقال: (الرّصاص)^(٤)، ولكنّ ابن السكّيت قد أنكر لغة الكسر، ونهى عنها (ولا تقل: الرّصاص)^(٥)، بينما ذهب ابن قتيبة إلى مبدأ المفاضلة اللغويّة، فارتأى أنّ الرّصاص بالفتح أجود، ولكنّه لم ينكر لغة الكسر^(٦).

والقول نفسه في مفردة (فَصّ) فصّ الخاتم بالفتح، والعامّة تقوله بالكسر^(٧)، والفتح لغة نصّ عليها الخليل دون الكسر، قال: والفَصّ: السنّ من أسنان الثوم^(٨)، ممّا يدل على أنّ لغة الكسر منكورة؛ لذا أدرجها ابن السكّيت في باب الابتذال اللغويّ، والرداءة، قال: "وتقول هو فَصّ

١. عبدالنواب، التطور اللغويّ، ٤٧.

٢. الجوهري، الصحاح، (رصاص).

٣. السابق نفسه، (فصص).

٤. الفراهيدي، العين، (رصاص).

٥. ابن السكّيت، إصلاح المنطق، ١٦٣.

٦. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٢٦.

٧. الجوهري، الصحاح، (فصص).

٨. الفراهيدي، العين، (فصص).

الخاتم، ويأتيك بالأمر من فَصّه، أي من مَفْصِله. فالكلام في هؤلاء الأحرف الفتح، ويقال: فَصّ الخاتم بالكسر، وهي لغة رديئة^(١)، وعلى منهج المفاضلة اللغوية أجرى ابن قتيبة هذه المفردة، فجعل لغة الفتح هي اللغة العالية.

وهذا التّحول في هذه المسألة لا يعني ميل العامّة إلى قانون السهولة والتيسير؛ لأنّ الفتح أخفّ عليهم من الكسر، فهذه المخالفة الصوتية يرجعها إبراهيم أنيس إلى أنّ "الميل إلى الكسر دليل التحضر والرقّة في معظم البيئات اللغوية، فهي حركة المؤنّث في اللغة العربيّة، والتأنيث عادة محلّ الرقة، أو ضعف الأنوثة، ولا شكّ أنّ الحضريّ أميل إلى هذا بوجه عام"^(٢).

٢- المعاقبة بين الكسر والضم

ذكر الجوهريّ (الفِسْكِل) بكسر الفاء والكاف الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل، ويسمّى الفِسْكِل سُكِّيْتاً^(٣) ومنه قيل: رجل فِسْكِل إذا كان رَذُلاً، والعامّة تقول: فُسْكُل بضمهما^(٤)، وإلى الكسر ذهب ابن قتيبة ولم يذكر لغة الضمّ، قال: "والفسكل: الذي يجيء في الحلبة آخر الخَيْل"^(٥).

-
١. ابن السكيت، إصلاح المنطق، ١٦٣.
 ٢. أنيس، د. إبراهيم، في اللهجات العربيّة، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط٦، ٩١.
 ٣. ابن دريد، محمد بن حسن، الجمهرة في اللغة، مكتبة الثقافة الدينيّة بالقاهرة، ٣/٣١١، وانظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد، فقه اللغة وسرّ العربيّة، تح: د. جمال طلبة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤، ٦٣.
 ٤. الجوهري، الصحاح، (فسكل).
 ٥. ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: علي محمد زينو، ١٥٣.

وهذا التّحول في المنظور الصوتيّ يرمي إلى أنّ الكسر والضم من الناحية الصوتية متشابهان؛ لأنّهما من أصوات اللين الضيقة، قال أنيس: "مالت القبائل البدويّة بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفيّ المسمّى بالضمّة؛ لأنّه مظهر من مظاهر الخشونة البدويّة فحيث كسرت القبائل المتحضرة، وجدنا القبائل البدويّة تضمّ، والكسر والضمّ من الناحية الصوتيّة متشابهان؛ لأنّهما من أصوات اللين الضيقة؛ لهذا تحلّ إحداهما مكان الأخرى في كثير من الظواهر اللغويّة"^(١) وارتأى أنيس في موطن آخر أنّ الكسرة أيسر من الضمة التي تحتاج إلى جهد عضويّ أكثر؛ لأنها "تتكوّن بتحريك أقصى اللسان في حين أن الكسرة تتكوّن بتحريك أدنى اللسان وتحرك أدنى اللسان أيسر من أن تحرك أقصاه"^(٢).

٣- المعاقبة بين الكسر والسكون في عين الكلمة

(النَّغْل) الفصيح والعامّة تسكّن (النَّغْل)، قال الجوهريّ: نَغْل الأديم: فَسَدَ، وبابه طَرِبَ، فهو نَغْلٌ، ومنه قوله: فلان نَغْلٌ إذا كان فاسدَ النَّسَبِ، والعامّة تقول: نَغْلٌ^(٣)، وقد اتفقت المدوّنة اللغويّة على تحطّئة العامّة بتسكين (نَغْل)^(٤)، ويبدو أنّ هذا الميل في لسان العامة جاء للحقّة؛ لأنّ الكسرة أماميّة ضيقة تشكّل ثقلاً والسكون مظهر إضعاف وتيسير.

١. أنيس، في اللهجات العربيّة، ٩١.

٢. السابق نفسه، ٩٦.

٣. الجوهري، الصحاح، (نغْل).

٤. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٢٢، وانظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (نغْل)، وابن فارس،

مقاييس اللغة، ٤١٥/٥، وابن منظور، لسان العرب، (نغْل).

٤ - المعاقبة بين الفتح والسكون

جرى التحوّل الداخليّ بتسكين الحرف المفتوح (عين الكلمة) ومعيّار الصواب الفتح، جاء في مدوّنة الجوهريّ (العجم) بفتحتيّن التّوى، الواحدة عجمة، مثل: قَصَب و قَصَبَة، يقال: ليس لهذا الزمان عَجْمٌ، والعامّة تقول: (عَجْم)^(١)، ونقل الأزهري عن ابن السكّيت وغيره (العجم) نوى التّمر والنّبقي، والواحدة عجمة^(٢)، وزاد ابن قتيبة عجم الرّمان^(٣)، وهذه المناقلة في لسان العامّة تحدث لبساً؛ لأنّ تسكين العين يقضي بوقوعه مصدراً للفعل (عَجِم) بمعنى مضغ أولاك^(٤)؛ لذا يختلط المصدر (العجم) باسم الجنس العجمي (العجم)، ويضاف إلى هذا أنّ نطق العامّة لهذه المفردة حوّلتها من الفصيح بثلاثة مقاطع صوتية مبدوءة بمقطعين قصيرين مفتوحين، ومختومة بمقطع طويل مقفل (ص ح / ص ح / ص ح ص) إلى مقطعين طويلين مقفلين (ص ح ص / ص ح ص) ممّا ينبئ بنشْدان الحفّة.

ومثل هذا ما ورد في وزن (فُعلة) الذي حوّله العامّة إلى (فُعلة)، ومن ذلك (الدُّبحة) بوزن الهمزة، وجع في الحلق، قال أبو زيد: والعامّة تسكّن

١ . الجوهريّ، الصّحاح، (عجم).

٢ . الأزهريّ، تهذيب اللغة (عجم).

٣ . ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٥٦، وانظر: الزمخشري، شرح الفصيح، ٥٤٩/٢.

٤ . ابن منظور، لسان العرب (عجم).

الباء^(١)، وقد ذكره الخليل بالتسكين، قال: "الدُّبْحَة: داء يأخذ في الحلق، ورُبَّمَا قتل"^(٢)، ونقل الأزهري، قال أبو عبيدة عن الأصمعيّ قال: "الدُّبْحَة بتسكين الباء وجع في الحلق، وكان أبو زيد يقول: الدُّبْحَة والدُّبْحَة لهذا الدَّاء، ولم يعرفه بإسكان الباء"^(٣)، وذكر ابن قتيبة لغتين فيها (الدُّبْحَة) و(الدُّبْحَة) نقلاً عن أبي زيد^(٤).

ونحن أمام روایتين صدرتا عن رجلين لغويين موثوقين هما: أبو زيد والأصمعيّ، وأنّ عدم معرفة أبي زيد لـ (فُعْلَة) لا يلزم إنكار هذه اللغة التي عرفها الخليل والأصمعيّ، وأنّ اللبس مأمون في اللغتين، ولكنّ الجوهريّ مال إلى (دُبْحَة) على وزن (فُعْلَة) حملاً لها على (تُخْمَة) التي عُرِفَتْ بفتح العين دون تسكينها.

قال الجوهريّ: "والاسم: التُّخْمَة بفتح الخاء والعامّة تسكّنها"^(٥)، ولم يذكر الخليل لغة غيرها، قال: "التُّخْمَة فاؤها واو في أصل التأسيس، ولكنّها استعملت، فقليل: اتَّخَم^(٦)، وسار على السّمت نفسه سيويوه، فأدرجها في وزن فُعْلَة، قال: "والفُعْلَة تكسّر على فُعْل إن لم تجمع بالتاء،

١. الجوهريّ، الصّحاح، (ذبح).

٢. الفراهيدي، العين، (ذبح).

٣. الأزهري، تهذيب اللغة (ذبح).

٤. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٩٨.

٥. الجوهريّ، الصّحاح، (وخم).

٦. الفراهيدي، العين، (وخم).

وذلك قولك: تُخْمة وتُخَم، وتُهْمة وتُهَم^(١)، ولم يفارق ابن السكيت هذه اللغة فذكرها في باب ما أتى من الأسماء على فُعلة قال: "وهي التَّهْمَة، واللُّقْطَة، والتُّخْمة والتُّخْفَة"^(٢)، ونصّ ثعلب على فُعلة، قال: "وهي التُّخْمة، والعامّة تسكّنها"^(٣)، واقتصار النّحارير على لغة واحدة فيها يؤذن بوقوع خطأ العامّة فيها، وهذا التّحول في لسان العامّة نقل المفردتين (تُخْمة) و(دُبْحَة) إلى ثلاثة مقاطع صوتيّة (ص ح ص / ص ح / ص ح ص) بدلاً من أربعة مقاطع في معيار الصّحة (ص ح / ص ح / ص ح ص) وكأنّ التماس الخفّة أصبح مطلباً في لسان العامّة.

٥ - المعاقبة بين الهمزة والواو

وردت ألفاظ في الصّحاح تحوّلت فيها الهمزة إلى الواو في لسان العامّة دون التوفّر على قانون صوتيّ يميز ذلك، وما تزال هذه الألفاظ فاشية في لسان العامّة إلى يومنا هذا، ولم يفارقوها، وكأنّ هذا السّمت بات متلبّاً، فقالوا: واتاه مواتاة، وواجره مواجرة، وواخذه مواخذة، وواخاه مواخاة، ووازره موازره، وواساه بماله مواساة، وواكله مواكلة، ووامره موامرة، كلّ ذلك نصّ عليه الجوهري بالقول: ولا تقل، وقال في واساه لغة ضعيفة فيه^(٤)، والأصل المقرّر في هذه الألفاظ أنّ تكون بالهمز دون الواو.

١. سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، ط ١٩٨٣، ٥٨٢/٣.

٢. ابن السكيت، إصلاح المنطق، ٤٢٩، وانظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٥١٥/٥.

٣. الجيّان، شرح الفصح، ٦٩٤/٢، وانظر: الزمخشري، شرح الفصح، ٥١٥/٢.

٤. الجوهري، الصّحاح (أتي، أجر، أخذ، أخو، أزر، أسي، أكل، أمر).

وذهب الخليل في معجمه إلى أنّ هذا التّحول جارٍ في لسان اليمن، وأنّها لغة مطّردة في لسانهم، ولكنّها في نظر الخليل لغة قبيحة، وأنّ مبعث هذا الميل إلى هذه اللغة هو تحقيق مسألة الخفّة، جاء في كلامه على مادة (أتي)، "وتقول: آتيت فلاناً على أمره مؤاتاة، ولا تقول وايتيه إلاّ في لغة قبيحة لليمن، وأهل اليمن يقولون: واسيت، وواكلت، ووامرت من أمرت، وإنّما يجعلونها واواً على تخفيف الهمزة في يواكل ويؤامر ونحو ذلك"^(١).

ونقل عبدالتوّاب نصّ الفراء في هذه المسألة، وأثنى عليه بالنباهة والفظنة قال: "وقد أصاب الفراء حين قال في ذلك: فأما قول العرب: واخيت، ووامرت، وواتيت، وواسيت، فإنّها بُنيت على المواخاة، والمواساة، والمواتاة، والموامرة، وأصلها الهمز، كما قيل: هو أسول منك، وأصله الهمز، فبدّل واواً وبنى على السّؤال وقول الفراء هنا: (بُنيت على) يدلّ على فطنته إلى ما يقول به من تولّد الصّوت الانزلاقي بين حركتين، وإلاّ لقال: إنّ واخيت قلبت فيها الواو عن آخيت، ولو قال هذا ما ناصره أيّ قانون صوتيّ في القول بهذا الانقلاب"^(٢).

فالفراء بنى على المصدر؛ لأنّ مجيء الهمزة المتوسطة مفتوحة، وانضمام ما قبلها يؤدّن بسقوط الهمزة والتعويض عنها بصامت ضعيف

١. الفراهيديّ، العين (أتي).

٢. عبدالتوّاب، د. رمضان، مشكلة الهمزة العربيّة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ١، ١٩٩٦،

يجانس ما قبلها، أمّا ابن قتيبة فقط أنكر هذا التحوّل، وأدرجه في باب الخطأ، ونهى عنه، فعقّب بالقول: "يقال: أكلت فلاناً، إذا أكلت معه، ولا تقل: واكلته فأماً وازرته فصرتُ له وزيراً، وآتيته على ما يريد. هذا كُله العوامّ تجعل الهمزة فيه واواً"^(١).

بينما مال الأزهريّ بعدما أورد اللغتين في هذه الألفاظ إلى منهج المفاضلة اللغويّة، فذكر اللغتين، وأودع مبدأ الجودة في لغة الهمزة، قال: "أكلت الرّجل وواكلته، فهو أكيلي، والهمزة في أكلت أكثر وأجود"^(٢)، وجاء في نصّ كتاب ما لم يُنشر من كتاب سهم الألفاظ في وهم الألفاظ لابن الحنبلي "ومن ذلك قولهم: واخيته في آخيته بالمدّ إلا أنّها لغة ضعيفة"^(٣).

ومع أنّ أصحاب النّظر اللغويّ قد منعوا هذا التسهيل إلا أنّنا لا نعدم ورودها في قراءة أبي جعفر المدنيّ، فكان يبدل الهمزة واواً^(٤) فقرأ في المضارع "ولو يواخذ الله الناس بظلم"^(٥).

١. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٠٩.

٢. الأزهريّ، تهذيب اللغة (أكل).

٣. الضامن، د. حاتم، نصوص محقّقة في اللغة والتّحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ، جامعة بغداد، ١٩٩١، ٥٧٦.

٤. الواسطيّ، عبدالله بن عبدالمؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: هناء الحمصي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨، ٦٥، وانظر؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (أخذ).

٥. النّحل: (٦١).

وعلق صاحب البحر المحيط على هذه القراءة بأنها مقيسة في هذه اللغة، قال: "قد يمكن أن تكون الواو فيه لا أصل لها في الهمز، وأتت على لغة من قال: "واخذته فإن لم يكن للواو في الهمز أصل لم يجب المدّ من أجلها، وإبدال الهمزة واواً في مثل يؤخذ مقيس، ونحوه: يؤذن، ويؤلف"^(١)، وهذا ما عزّزه الدرس اللغويّ الحديث في تفسير هذا النوع من الإبدال في القراءة القرآنيّة "أمّا إذا كانت الهمزة المتوسطة مفتوحة مضموماً أو مكسوراً ما قبلها، فإنّها تسقط، ويعوّض عنها بصامت ضعيف يجانس ما قبلها.

يـ /ـ ءـ /ـ خـ - ذ

يـ /ـ وـ /ـ خـ - ذ

ولا يمكن حذفها من دون تعويض أو مدّ الصّوت بالمصوّت السابق لتعويض نبر الشدّة بنبر الطول"^(٢)، وهذا الإبدال فاشٍ في العاميّات اليوم، وأخضعه عبدالنّواب إلى قانون التيسير والسهولة، قال: "وقد يؤدي سقوط الهمز أحياناً إلى نوع من الاشتقاق الجديد، فإن سقط الهمز من الفعل يؤاسي مضارع آسى، ويؤدي مضارع أدّى، وتحولهما إلى يواسي ويودي

١. أبو حيّان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ

علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، د. ت، ١٩١/٢.

٢. الجبوري، د. مي فاضل، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتيّ القديم والحديث، دار الشؤون

الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠، ٥٦.

مثلاً هو المسؤول عن اشتقاق الماضي الجديد؛ واسى وودى، وَعُدَّ ذلك مما هو شائع في اللهجات الحديثة، وكان في لهجة طيء القديمة^(١).

٦ - المعاقبة بين الياء والواو

وممّا سُمِعَ من إبدال الياء واواً على غير قياس قولهم: في مسألة تصغير الاسم الثلاثي الذي ثانيه ياء: بُوت، تصغير (بَيْت)، ويقتضي القياس أن يُصغَّرَ على (بُيَيْت)^(٢)، قال الجوهري، والعامّة تقول: بُوت^(٣)، ويبدو للباحث أنّ العامّة مالت إلى هذا الضرب من الإبدال لتحقيق مبدأ المماثلة الصوتية قال عبد التواب: "تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض عند النطق بها في الكلمات والجمل، فتتخير مخارج بعض الأصوات أو صفاتها، لكي تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام"^(٤) فقد حدث زيادة في كمية الصوت للحركة على فاء الكلمة، فتحققت هذه الصورة في لسان العامة، وما يزال هذا الإبدال سائراً في لسان العامّة اليوم، فيصغرون بيضة على (بويضة)، وعيناً على (عؤينة)، وشيخاً على (شويخ).

٧ - المعاقبة بين الصوامت

١. عبدالتواب، التطور اللغوي، ٤٩، ٥٠.
٢. الثماني، عمر بن ثابت، شرح التصريف، تح: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٩٩٩، ٣١٤، وانظر: عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي، للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ١٥١.
٣. الجوهري، الصحاح، (بيت).
٤. عبدالتواب التطور اللغوي، ٢٢. وانظر: هلالاً، د. عبدالغفار حامد، اللهجات العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣، ١٥٤.

ذكر الجوهري أنّ القُبْرَةَ، وهو ضَرَبٌ من الطير، والقُنْبُرَاءُ بالمدِّ وضَمِّ القاف والباء لغة فيها، والجمع قنابر، والعامّة تقول: القُنْبُرَةُ^(١)، ونصّ عليه ابن السكيت في باب ما يشدّد، قال: وهي القُبْرَةُ، والقُبْرُ، قال الراجز:^(٢)

يالكَ من قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خِلا لِكَ الحو فيضِي وأصْفَرِي
ونقّي ما شئت أن تنقري

ووجه الخطأ في قول العامّة هو فَكُّ المدغم، واستبدال النون بالباء الأولى، وهذا يعني فرارهم من المماثلة الصوتيّة إلى قانون المخالفة الصوتيّة^(٣)، إذ جَنَحَ أحد المتماثلين إلى الاختلاف؛ لتحقيق الخفّة الصوتيّة؛ لأنّ الصوتين المتماثلين يحتاجان إلى جهد عضلي في النطق بهما في كلمة واحدة.

ومما يدور في فلك هذه المخالفة الصوتيّة ما جاء في لسان العامّة من قلب مكانيّ، فقالوا: ما أيشمه^(٤)، وهم يريدون ما أشأم فلاناً! فأصبح القلب في لسانهم على وزن (أعفل) بدلاً من (أفعل) لضرب من

١ . الجوهريّ، الصّحاح (قبر).

٢ . ابن السكيت، إصلاح المنطق، ١٧٨.

٣ . عبدالنواب، التطور اللغويّ، ٣٧.

٤ . الجوهريّ، الصّحاح، (شأم).

التخفيف، وقد أدرجته المدوّنة اللغويّة الحديثة في باب المخالفة الصوتية^(١)؛ لتحقيق التيسير والسهولة.

ومثل هذا ما نطقت به العامّة عند التّسبب إلى (حَرَان) اسم بلد، بقولهم: حَرَانيّ على القياس، ولكنّ السّماع فيه (حَرَناييّ)^(٢)، ويظهر أنّ السّماع خضع لقانون المخالفة الصوتيّة على حين اختارت العامّة المماثلة بقطع النظر عن وزن حَرَان إن كان على (فَعْلان) أو (فَعّال) كما أشار الجوهريّ.

٨- حذف الهمزة

حُذِفَت الهمزة في نطق العامّة لمفردة (أعنان) جمع تكسير ل (عَنَن)، قال الجوهريّ: "وأعنان السماء: صفائحها، وما اعترض من أقطارها كأنّه جَمْعُ عَنَن. والعامّة تقول: عَنان السماء"^(٣).

وقد أشار الدّرس اللغويّ الحديث إلى هذا النّوع من الحذف الذي عُدَّ شائعاً في لسان العامّة اليوم، قال رمضان عبد التّواب: "وسقوط الهمز في غير أوّل الكلمة هو الشائع في اللهجات العربيّة الحديثة، وكان هو المميّز للهجة قريش في الجاهليّة غير أنّ هذا التسهيل امتدّ إلى الهمزة في أوّل الكلمة كذلك، في كثير من الكلمات في العاميّات الحديثة، مثل:

١. عبدالتّواب، التطور اللغويّ، ٣٨.

٢. الجوهريّ، الصّحاح، (حَرَ).

٣. الجوهريّ، الصّحاح، (عَنَن).

(باط) في (آباط)، و(دان) في (آذان) و(سنان) في (أسنان)^(١) ولا نعدم وجود هذا التسهيل في بعض القراءات القرآنية، فقد قرأ أبو عمرو، وورش عن نافع (يومنون) البقرة: (٢٧٥) بغير همز^(٢)، ودارت هذه المخالفة الصوتية على نشدان الحقة والسهولة والتيسير.

٩- زيادة لاصقه (أل) التعريف

من المسائل الصرفية التي أشار إليها الجوهري في تخطئة العامة أنهم يدرجون لاصقة صوتية في مفردتي (عين) و (رأس) قال الجوهري: "ورأس عين موضع، والعامة تقول: رأس العين، وتقول: أعد عليّ كلامك من رأس، ولا تقل من الرأس والعامة تقوله"^(٣)، ويظهر للباحث أنّ الجوهري قد اعتمد قول ابن السكيت في هذه المسألة، إذ ذهب إلى القول: "وتقول: خذه من رأس، ولا تقل من الرأس، وتقول: قد قديم من رأس عين، ولا تقل من رأس العين"^(٤).

جاء في معجم ما استعجم بلفظ التعريف قال: "رأس العين على لفظ عين الماء، وبعض اللغويين يقول: رأس عين وينكر أنّ تدخله الألف واللام، وهو موضع في ديار بني ربيعة. ... وهي كلّها بين الحيرة والشام قال سحيم بن وثيل الرياحي:

١. عبدالنواب، التطور اللغوي، ٤٨.

٢. ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد، حجة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٥، ٢٠٠١، ٨٤.

٣. الجوهري، الصحاح (رأس): وانظر الأزهرى، تهذيب اللغة (رأس).

٤. ابن السكيت، إصلاح المنطق، ٢٦٩.

هم قتلوا عميد بني فراس برأس العين في الحجج الخوالي
ومن رأس العين هذا يخرج نهر الخابور، وهي كلُّها من البلاد
الجزيرة، قال المخبّل السعديّ:

وأنكحت هزّالاً خُلَيْدَةً بعدما زَعَمْتَ برأس العين أنّك قاتله^(١).

وقد استقصى الصّفديّ هذه المسألة، وذهب إلى أنّ الجوهريّ قد
وهم فيها مستنداً في ذلك إلى قول، الكسائي، وما حفظه الشّعر، قال:
"قلت: قال علي بن حمزة: إنّما يقال: جاء فلان من رأس عين، إذا كانت
عيناً من العيون نكرة، فأما رأس عين هذه التي بالجزيرة، فلا يقال فيها إلّا
رأس العين، وأنشد للمخبّل السعديّ: وأنكحت هزّالاً خُلَيْدَةً بعدما زَعَمْتَ
برأس العين أنّك قاتله^(٢)."

١٠ - زيادة التاء

ذهبت المدوّنة الصّرفيّة إلى أنّ وزن (فَعول) بمعنى فاعل يستوي فيه
المذكّر والمؤنّث^(٣)، وعليه لا تلحق به التاء إن جاء وصفاً لمؤنّث، بل
يعامل كما يعامل المذكّر، ذكر الجوهريّ أنّ العامّة تقول: عجوزة، قال:

١. البكريّ، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح:
د. جمال طلبة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١، ج٢/٢٢٥. وانظر: ابن
منظور، لسان العرب، (رأس).

٢. الصّفديّ، نفوذ السّهم فيما وقع للجوهريّ من الوهم، ٢٦٧.

٣. الزمخشريّ، شرح الفصيح، ٤٠٦/٢.

والعجوز المرأة الكبيرة، ولا تقل عجوزة، والعامّة تقوله^(١)، وهذا ما نصّ عليه ابن السكيت^(٢) من قبل، وعلى هذا جاء قول ابن قتيبة^(٣)، وثعلب^(٤)، وقد ذكر صاحب التهذيب اللغتين^(٥) ومما يعرّز ورود صحّة (عجوز) دون (عجوزة) أنّ لغة التنزيل قد نصّت عليها، قال تعالى: "قالت يا ويلتي أألدُ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً"^(٦). وقد عزّت المدوّنة اللغويّة الحديثة إلحاق التاء بهذا الوزن (فَعول) إلى القياس الخاطيء، أو ما يسمّى عند القدامى بالتوهم^(٧).

ومما بني على المخالفة الصوتيّة في المدار الصرفي أنّ العامّة حوّلت الفعل (يُوشِك) إلى البناء للمجهول (يُوشِك)، قال الجوهري: "وأوشك الرّجل يوشك إيشاكاً: أسرع في السّير، ومنه قولهم: يُوشِك أن يكون كذا بكسر الشين، والعامّة تقول: يُوشِك بفتح الشين، وهي لغة رديئة"^(٨)، وقد أنكر الخليل ومَنْ لفّ لفه هذه اللغة بقوله: "يُوشِك أن يكون، ومَنْ قال:

-
١. الجوهري، الصحاح، (عجز).
 ٢. ابن منظور، لسان العرب (عجز).
 ٣. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٦٣.
 ٤. الزمخشري، شرح الفصيح، ٥٩٧/٢.
 ٥. الأزهري، تهذيب اللغة (عجز)، وانظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣٣٢/٤، وابن منظور، لسان العرب (عجز) والفيروز أبادي، القاموس المحيط (عجز).
 ٦. هود، (٧٢).
 ٧. عبدالنواب، التطور اللغوي، ٦٧، ٧٢.
 ٨. الجوهري، الصحاح (وشك).

يُوشِكُ فقد أخطأ لأنَّ معناه يُسرِع^(١)، ويبدو لي أنّ مسوِّغ هذا التَّحول هو طلب الخفة والسهولة لأنَّ الفتحة حركة وسطية غير مركزيّة^(٢)، وهذا ما لم تتوفّر عليه الكسرة بوصفها ضيقة أمامية.

(٤)

- المستوى التَّحويّ

دارت مسائل هذا المستوى فيما وقع من إخبار بالجمع عن المبتدأ المفرد، أو التناوب الخاطئ بين حروف الجرّ، أو ما وقع من توهم في باب الإضافة، ذكر الجوهريّ في أثناء بسطه لمادة (سفل) أنّ العامّة تقول: هو من سَفِلة، قال: "والسَفِلة بكسر الفاء: السَّقَط من النَّاس يقال: هو من السَفِلة، ولا تقل: هو سَفِلة؛ لأنّها جمع، والعامّة تقول: رَجُل سَفِلة من قوم سَفِلي"^(٣)، فوجه الصواب أن يتطابق الخبر والمبتدأ، فيقال: هم سَفِلة، وأمّا قول العامّة: هو سَفِلة فهذا يعني الإخبار بالجمع عن المفرد، وقد اتفقت المدوّنة اللغويّة على إدراج هذه المسألة (عدم التطابق) في باب الخطأ اللغويّ، جاء في إصلاح المنطق: وهم السَفِلة، ومن العرب من يخفّف، فيقول: "السَفِلة، ويقال: فلان من سَفِلة النَّاس وفلان من عليّة الناس"^(٤)، ونصّ ابن قتيبة على أنّ قولهم: أنت سَفِلة ممّا تخطئ فيه العامّة

١. الفراهيدي، العين (وشك)، وانظر: الأزهرى، تهذيب اللغة (وشك)، وابن منظور، لسان العرب (وشك).

٢. الشايب، د. فوزي، محاضرات في اللسانيّات، وزارة الثقافة، عمّان، ط ١، ١٩٩٩، ٢٤٠.

٣. الجوهريّ، الصّحاح، (سفل).

٤. ابن السكيت، إصلاح المنطق، ١٦٨.

"وتقول: أنت سَفِلة، وذلك خطأ، والصَّواب أن تقول: أنت من السَّفِلة"^(١)،
وذهب ابن فارس إلى أنّ "السَّفِلة الدّون من الناس، يقال: هو من سَفِلة
الناس، ولا يقال هو سَفِلة"^(٢)، وزاد صاحب شرح الفصيح أنّ السَّفِلة لا
واحد لها من لفظها"^(٣).

ومما جاء من خطأ العامّة في باب تناوب حروف الجر أنّ العامّة
تضع حرف الجر (الباء) في مكان (على) في مادّة (بنى) قال الجوهري:
"بنى بيتاً، وبنى على أهله يبنى: زفّها بناءً فيهما والعامّة تقول، بنى بأهله،
وهو خطأ"^(٤)، وما نبّه عليه الجوهريّ وقع فيه، وقد تعقّبه صاحب مختار
الصّحاح، إذ قال: "وهو رحمه الله قد قاله بالباء في عرس"^(٥)، وقد حرّر
هذا المعنى ابن قتيبة بالتأصيل له، قال: "ويقال: بنى فلان على أهله،
أصله أنّه كان من يريد منهم الدّخول على أهله ضرب عليها قبة، فقليل لكلّ

١ . ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٢١. وانظر: الزاهد، محمد بن عبدالواحد، العشرات في غريب

اللغة، تح: د. عبدالرؤوف جبر، ط١، ١٩٨٤، ٨١.

٢ . ابن فارس، مقاييس اللغة، ٣، ٧٨.

٣ . الجبّان، شرح الفصيح، ٢١٢.

٤ . الجوهريّ، الصّحاح (بنى).

٥ . أبو بكر الرازي، مختار الصّحاح (عرس).

داخل بأهله (بان)^(١)، ومعنى الاستعلاء بيّن في هذه المسألة دون الإلصاق.

ومما عُدَّ خطأ في تعدية الفعل (عَيَّر) لمفعوله الثاني بحرف الجر الباء أنّ العامّة تقول: عَيَّره بكذا والصّواب: عَيَّره كذا، قال الجوهريّ: وعَيَّره كذا من التعبير، أي التوييح، والعامّة تقول: عَيَّره بكذا^(٢)، فقد منع الجر الفعل المتعدّي من الوصول إلى مفعوله الثاني مباشرة، وإلى هذا ذهب صاحب التهذيب، وأنشد^(٣):

وعَيَّرتني بنو ذبيان خَشِيَّتَه وهل عليّ بأن أحشاك من عار

وقد تتبّع هذه المادة الحريريّ، ودلّ على أنّ الفصاحة اللغويّة تقتضي التعدية للفعل بنفسه، قال: "ويتولون: عَيَّرته بالكذب والأفصح أن يقال: عَيَّرته الكذب بحذف الباء، كما قال أبو ذؤيب:

وعَيَّرني الواشون أني أحبها وتلك شكاة ظاهر عنك عاؤها"^(٤)

وقد ذكر صاحب تاج العروس أنّ المرزوقي قد صرّح في شرح الحماسة بأنّه يتعدّى بالباء، وقال المختار تعديته بنفسه^(١).

١. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٥١، وانظر: الأزهري، تهذيب اللغة (بنى)، والحريريّ، درّة

الغواص، ٢٠٥، وابن منظور، لسان العرب (بنى).

٢. الجوهري، الصّحاح (عير).

٣. الأزهري، تهذيب اللغة (عير).

٤. الحريريّ، درّة الغواص، ١٤٨.

ويظهر لي أنّ تعدية الفعل بنفسه تعضدها النصوص اللغويّة الفصيحة على حسب ما بسطه الحريريّ ومَنْ سبقه، قالت ليلي الأخيّليّة^(٢):

أعيرتني داءً بأَمك مثله وأي حَصان لا يقال لها هلا

وممّا وَهَمّت فيه العامّة في مَثَلٍ مشهورٍ (هو أحقق مِنْ رِجَلَة) فقد نطقت بها (مِنْ رِجَلِهِ)، قال الجوهريّ: والعامّة تقول: مِنْ رِجَلِهِ، بالإضافة^(٣)، قال الخليل في معنى الرّجّلة: "والرّجّلة منبت العرفج الكثير في روضة واحدة"^(٤)، وخير من وقف عليه بالتبيان الزمخشريّ، فذهب إلى أنّ العامّة قد أخطأت بسبب من الوهم؛ لأنّ الوقف على التاء بهاء في (رجلة) قد أحدث لبساً في أذهانهم فظنّوا أنّ تاء التأنيث (هاء) فأضافوها إلى (رجل)، قال: "وقولهم: أحقق مِنْ رِجَلَة، وهي البقلة الحمقاء، والعامّة تقول: أحقق مِنْ رِجَلِهِ، وهو خطأ، وإمّا غلطوا فيه؛ لأنّهم سمعوا العرب يقولون: أحقق مِنْ رِجَلَة، بالهاء عند الوقف، فقدّروا أنّ الرّجل مضاف إلى الهاء، ولم يعرفوا التمييز بين فتح اللام وكسرها"^(٥).

١. الزبيديّ، تاج العروس (عبر).

٢. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣٥٦.

٣. الجوهريّ، الصّحاح (رجل).

٤. الفراهيدي، العين (رجل)، وانظر: الأزهري، تهذيب اللغة (رجل)، والميدانيّ، أحمد بن

محمد، مجمع الأمثال، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٦،

٤٠١/١، وابن منظور، لسان العرب (رجل) والفيروز أبادي، القاموس المحيط (رجل).

٥. الزمخشري، شرح الفصيح، ٦١٩/٢.

ومن الخطأ الحادث في لسان العامة أن حذفوا المضاف (ذو) وأقاموا المضاف إليه في مكانه، فذكر الجوهري أنّ العامة تقول: "هو قرابتي، وهم قراباتي"^(١)، ومعيار الصّواب أن يقال: هو ذو قرابتي بالتلازم بين المضاف والمضاف إليه في هذه الكلمة على ذلك نصّت المدوّنة اللغويّة، قال الخليل: "والقريب: ذو القرابة، ويجمع أقارب، وقريبة جمعها قرائب، للنساء"^(٢)، جاء في مقاييس اللغة "يقال: قَرُب يُقْرَب قُرْباً، وفلان ذو قرابتي، وهو مَنْ يُقْرَب منك رحماً، وفلان قريبي، وذو قرابتي"^(٣).

ويعزّز معيار الصحة اللغويّة أنّ لغة التنزيل قد حفظته في عشرة مواقع، قال تعالى: "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين"^(٤)، وقال تعالى: "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ"^(٥)، وقال تعالى: "وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه"^(٦)، وقال تعالى: "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل"^(٧)، وقال تعالى: "واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإنّ لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى

١ . الجوهري، الصحاح، (قرب).

٢ . الفراهيدي، العين (قرب)، وانظر: الأزهرى، تهذيب اللغة (قرب).

٣ . ابن فارس، مقاييس اللغة، ٨٠/٥.

٤ . البقرة: (٨٣).

٥ . البقرة: (١٧٧).

٦ . النساء: (٨).

٧ . النساء: (٣٦).

والمساكين وابن السبيل"^(١)، وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ"^(٢)، وقال تعالى: "وَأَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا"^(٣)، وقال تعالى: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"^(٤)، وقال تعالى: "فَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ"^(٥)، وقال تعالى: "مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ"^(٦).

(٥)

المستوى الدلالي

بيّن الدرس اللغويّ الحديث أنّ التطور الدلالي يرجع إلى دواعٍ كثيرة منها^(٧):

١. تغيّر طبيعة الشيء، أو عناصره، أو وظائفه.

١. الأنفال: (٤١).

٢. النحل: (٩٠).

٣. الإسراء: (٢٦).

٤. النور: (٢٢).

٥. الروم: (٣٨).

٦. الحشر: (٧).

٧. عبدالتّواب، التطور اللغويّ، ١٢. وانظر: ظاظا، كلام العرب، ٥١، وحسان، اللغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ٣٣٧، ١٩٩٨، والشايب، محاضرات في اللسانيّات، ١٥٢.

٢. قد يحمل التطور اللغويّ على سوء الفهم، فالإنسان يقيس على ما عَرَفَ، فقد يخطئ، وقد يصيب في استخراج الدلالة التي تلقى شيوعاً بين الناس.

٣. لمّا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فإنّ التطور في الحياة يستدعي المعاني الجديدة المولّدة التي لم تعرف من ذي قبل.

على أنّ التطور الدلاليّ لم يغيّر طبيعة اللفظة في بنائها، بل بقي اللفظ عربياً، ولكنّه اكتسب معنى مختلفاً عمّا كان يعرف، وقد عُدّ هذا اللفظ بهذا التطور في النظر اللغويّ الحديث مولّداً^(١).

وممّا يطالعنا في هذا المدار أنّ العامّة قد استحدثت معنى (الاستحقاق) للفظ (مستأهل) على نحو مغاير لما نصّت عليه المدوّنة اللغويّة من أنّ (المستأهل) هو الذي يأخذ الإهالة (السمن) أو يأكلها، قال الجوهريّ: "والمستأهل الذي يأخذ الإهالة، أو يأكلها، وتقول: فلان أهل لكذا، ولا تقل: مستأهل، والعامّة تقوله"^(٢).

وقد نقل الأزهرّيّ أنّ الأصمعيّ، وأبا زيد، والمازنيّ لا يجيزون استعمال استأهل بمعنى استحقّق، وأمّا الأزهرّيّ نفسه، فقال: "أمّا أنا فلا أنكره، ولا أخطئ من قاله"^(٣).

وتناول الحريريّ هذه المسألة، وخصّها بالتحليل والتفصيل، فقال: "ويقولون: فلان يستأهل الإكرام، وهو مستأهل للإنعام، ولم تسمع هاتان

١. ظاذا، كلام العرب، ٧٩ (أوضح عبارة) وانظر: السيوطي، المزهر، ٣٠٤/١١.

٢. الجوهريّ، الصّحاح (أهل).

٣. الأزهرّيّ، تهذيب اللغة، (أهل).

اللفظتان في كلام العرب، ولا صوبهما أحد من أعلام الأدب، ووجه الكلام أن يقال: فلان يستحق التكرمة، فأما قول الشاعر:

لا بَلْ كُلي يا مِيُّ واستأهلي إنَّ الذي أنْفَقْتُ من ماليه

فإنه عنى بلفظة استأهلي: أي: اتخذي إهالة^(١).

ثم وقف عليها العدناني في معجمه، وأجاز استعمالها بقوله: "لذا يجوز لنا أن نقول: أنت أهل للاحترام وتستأهل الاحترام"^(٢)، وقد بنى رأيه هذا على إجازة الأزهرى، والصّاغاني، والزمخشري.

ويظهر للباحث أنّ مجال استعمال اللفظة قد توسّع؛ ليشمل المعنى المعنويّ إلى جانب المعنى الحسيّ، وفي هذا توسيع للدلالة، وانتقال باللفظة من معنى التخصيص إلى معنى التعميم، واللغة ظاهرة اجتماعيّة شديدة الارتباط بثقافة الشعب وحاجاته، وما زال هذا اللفظ ممتدّاً في لهجات اليوم بمعنى الاستحقاق.

ومثل هذا لفظة (مأتم) إلا أنّ فيها انتقالاً معكوساً من تعميم إلى تخصيص، قال الجوهريّ: "المأتم عند العَرَب: نساء يجتمعن في الخير والشر، والجمع المأتم، وعند العامة: المصيبة، يقولون: كُنّا في مأتم فلان، والصّواب كُنّا في مناخة فلان"^(٣)، وهذا المعنى قرّره الخليل، قال: "والمأتم الجماعة من الرّجال والنّساء في فرح أو حزن"^(٤)، وذكر ابن قتيبة في باب معرفة ما يضعه النّاس في غير موضعه "يقولون: كُنّا في مأتم، وليس كذلك،

١. الحري، درة الغواص، ١٧.

٢. العدنانيّ، محمد، معجم الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٧٣، ٣١.

٣. الجوهريّ، الصّحاح، (أتم).

٤. الفراهيديّ، العين (أتم).

إنّما المأتمّ النّساء يجتمعن في الخير والشرّ، والجمع مأتمّ، والصّواب أنّ يقولوا: كُنّا في مناحة، وإنّما قيل لها مناحة من النّوائح لتقابلهنّ عند البكاء^(١).

وتعدّ هذه اللفظة من الأضداد؛ لأنّها تجمع معنيين متضادين (الفرح والحزن)، قال عبدالنّوابة: "المأتمّ عدّها أبو حاتم وقطرب من الأضداد؛ لأنّها تدلّ عندهما على النّساء المجتمعات في فرح وسرور، كما تدلّ على النّساء المجتمعات في غمّ وحزن والأصل في ذلك عموم المعنى"^(٢). ولا نعدم أنّ نجد هذا التخصيص للمعنى فاشياً في لهجات العامّة اليوم.

ومثل هذا التخصيص ما يطالعنا في لفظ (خَتْن) "والختن: كلّ ما كان من قبّل المرأة، مثل الأب، والأخ، وهم الأختان، هكذا عند العرب، وأمّا العامّة، فختن الرجل عندهم زوج ابنته"^(٣)، وقال صاحب إصلاح المنطق: "وكلّ شيء من قبّل المرأة فهم الأختان، والصّهر يجمع هذا كلّ"^(٤) والقول نفسه عند ابن قتيبة من أنّ الختن كلّ شيء من قبّل المرأة، وهم الأختان^(٥)، ومثل ذلك في التهذيب^(٦) ومقاييس اللغة^(٧).

فالعامّة ضيّقت المعنى، وأدارته على التخصيص بدلاً من التعميم، إذ خصّصت به زوج الابنة، وتركت المعنى العام الذي يشمل كلّ ما كان من قبل

١. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠.

٢. عبدالنّوابة، د. رمضان، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ٢٤.

٣. الجوهري، الصّحاح (ختن).

٤. ابن السّكيت، إصلاح المنطق، ٣٤٠.

٥. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٠٢.

٦. الأزهري، تهذيب اللغة (ختن).

٧. ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢/٢٤٥.

المرأة، ويبدو للباحث أنّ هذا اللفظ لم يُعد مستعملاً في لسان العامة اليوم.

ومما يُعدّ من هذا الباب أنّ العامة قد قصّرت معنى (الحمام) على الدّواجن فقط، إذ الحمام عند العرب: "ذوات الأطواق، نحو: الفواخت، والقماريّ، وساق حر، والقطا، والوراشين، وأشباه ذلك، والواحدة: حمامة يقع على الذكر والأنثى... وعند العامة أنّها الدّواجن فقط"^(١)، وقد غلّط ابن قتيبة العامة في هذا النقل "ومن ذلك الحَمَام، يذهب النَّاس إلى أنه الدّواجن التي تستفرخ في البيوت، وهذا غلط، إنّما الحمام ذوات الأطواق وما أشبهها، مثل: الفواخت، والقماريّ، والقطا، قال ذلك الأصمعيّ، ووافقه عليه الكسائيّ، قال حميد بن ثور:

وما هاج هذا الشّوق إلاّ حمامة دَعَت ساقَ حُرٍّ تَرَحَّةً وترنّما

فالحمامة ههنا قمرية..."^(٢)، وهذا خروج من باب التعميم إلى باب تخصيص الدلالة، وهو توسّع في الحالة العكسية، ولست على يقين من استعمال العامة اليوم لهذا المعنى. على أنّ الفعل قد أصابه شيء من التوسّع الدلالي في لسان العامة، إذ ذهبت إلى التوسّع في دلالة الفعل (يتصدّق) فجعلت له ضدّاً في المعنى بمعنى (يسأل) بدلاً من (يعطي)، قال الجوهريّ: "والمصدّق الذي يعطي الصدقة، ومررت برجل يسأل، ولا

١ . الجوهريّ، الصحاح، (حمام).

٢ . ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٢.

تقل: يتصدّق، والعامّة تقوله^(١). فالأصل المقرّر في المدوّنة اللغويّة أنّ الفعل (يتصدّق) بمعنى (يعطي) قال تعالى: "وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدّقين"^(٢)، وهذا التطوّر الدلالي بنى الفعل على التضاد، قال ابن السكيت: "وتقول فلان يسأل، ولا تقل يتصدّق، إنّما المتصدّق المعطي"^(٣)، والقول نفسه عند ابن قتيبة^(٤)، والأصل المقرّر في المدوّنة اللغويّة أنّ التضاد مقصور على ما سُمع عن العرب، ولا يجوز القياس عليه، وقد شرط أصحاب النّظر اللغويّ له شروطاً صارمة^(٥) تشدّدوا فيها، وهذا يعني أنّ وروده في لسان العامّة يُعدّ خطأ بيّناً.

ومما أخطأت فيه العامّة أنّها لا تميز بين بناء (أفعل) و(فعل) في حقل الفعل، وهذا بيّن في الفعل (أعرس) بمعنى اتّخذ عروساً، و(عرّس) بالمكان إذا أقام به، فأوقعت عرّس بمعنى أعرس على ذلك نصّ الجوهريّ "وقد أعرس فلان، أي: اتّخذ عرّساً، وأعرس بأهله بنى بها، وكذا إذا غشيتها، ولا تقل: عرّس والعامّة تقوله"^(٦)، وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة من قبل، قال: "أعرس الرجل بامرأته، ولا يقال عرّس"^(٧)، ونقل ابن فارس قول أبي عمرو بن العلاء: يقال: أعرس الرجل بأهله إذا بنى بها يُعرس إعراساً،

١. الجوهري، الصحاح (صدق).

٢. يوسف، (٨٨).

٣. ابن السكيت، إصلاح المنطق، ٢٩٦.

٤. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٢٢.

٥. ظاظا، كلام العرب، ١١٣.

٦. الجوهري، الصحاح (عرس).

٧. ابن قتيبة، أدب الكاتب، ٣١١.

ويعرّس تعريساً، والتّعريس نزول القوم في سفرٍ آخر الليل^(١)، فالإعراس مصدر للفعل (أعرس) بمعنى (بنى) والتّعريس مصدر للفعل (عرّس) بمعنى أقام، وبين الكلمتين بون شاسع في المعنى، وكأنّ العامّة مالت إلى توليد معنيين مختلفين للفعل (عرّس) مما يُعدّ من باب المشترك بوصفه مظهراً من مظاهر التضخّم اللغويّ، ولفظ (عرّس) ما يزال مستعملاً في بعض البيئات العربيّة اليوم.

١. ابن فارس، مقاييس اللغة، ٢٦/٤. وانظر: الأزهري، تهذيب اللغة (عرس).

ومما خلص إليه هذا البحث:

- ١- أن أخطاء العامّة لم تقتصر على مستوى لغويّ محدّد، بل جاءت متناثرة في المستويات اللغويّة جميعها، ولكنها متفاوتة في درجة ورودها في تلك المستويات.
- ٢- أن اللغة لا تسير في خطّ مستقيم دائماً، بل تتعرض لمؤثرات تنحرف بها إلى نحو مغاير.
- ٣- أن معيار الصّحة اللغويّة لا يتوفّر على شرط صارم؛ لأنّ ثمة اختلافاً في المدوّنة اللغويّة فما ثبتت صحّته في مصنّف ما، يثبت خطؤه في مصنّف آخر؛ لذا ضيق الجوهريّ واسعاً في المدار اللغويّ.
- ٤- أن تصرّف العامّة في الأسماء كان أوضح منه في الأفعال؛ نظراً لكثرة استعمالها وتصرفاتها على خلاف الفعل.
- ٥- أن ما أصاب الصّوائت القصيرة والطويلة كان أكثر ممّا أصاب الصوامت؛ لكثرة دورانها وضعفها.

المراجع:

١. آل ياسين، محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٠.
٢. الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠١.
٣. أنيس، د. إبراهيم، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦.
٤. البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١.
٥. الثعالبي، عبدالملك بن محمد، فقه اللغة وسر العربية، تح: د. جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤.
٦. الثماني، عمر بن ثابت، شرح التصريف، تح: د. إبراهيم بن سليمان البعيمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٩٩٩.
٧. الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ت: د. علي أبو مُلحم، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٩.
٨. الجبان، أبو منصور، شرح الفصح في اللغة، تح: د. عبدالجبار جعفر القزاز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١.
٩. الجبوري، د. مي فاضل، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠.

١٠. الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تح: أحمد مصطفى المراغي، المكتبة المحمودية، د. ت.
١١. الجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٠.
١٢. حجازي، د. محمود فهمي، علم اللغة العربية، دار غريب، مصر، د.ت.
١٣. حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٨.
١٤. الحريري، القاسم بن علي، درة الغواص في أوهام الخواص، تح: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨.
١٥. أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، تح: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
١٦. ابن دريد، محمد بن حسن، الجمهرة في اللغة، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، د. ت.
١٧. الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦.

١٨. الزاهد، محمد بن عبدالواحد، العشرات في غريب اللغة، تح: د. عبدالرؤوف جبر، ط١، ١٩٨٤.
١٩. الزبيدي، أبو بكر محمد بن حسن، لحن العوام، تح: د. رمضان عبدالنواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٢، ٢٠٠٠.
٢٠. الزمخشري، محمود بن عمر، شرح الفصيح، تح: د. إبراهيم بن عبدالله الغامدي، منشورات جامعة أم القرى، السعودية، ١٤١٦ هـ.
٢١. ابن زنجلة، عبدالرحمن بن محمد، حجّة القراءات، تح: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥، ٢٠٠١.
٢٢. ابن السكيت، يعقوب، إصلاح المنطق، تح: أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، ط٣.
٢٣. سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، عبدالسلام محمد هارون، عالم الكتب، ط١٩٨٣.
٢٤. السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة، تح: محمد أحمد جاد المولى ورفاقه، دار الفكر، د.ت.
٢٥. السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د.ت.
٢٦. شاهين، عبدالصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.

٢٧. الشايب، د. فوزي، محاضرات في اللسانيات، وزارة الثقافة، عمّان، ط١، ١٩٩٩.
٢٨. الصالح، د. صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٩٨٣.
٢٩. الصفدي، صلاح الدين بن أيك، نفوذ السهم فيما وقع للجوهريّ من الوهم، تح: محمد عايش، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦.
٣٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيك، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرنؤوط وتركبي مصطفى، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.
٣١. الضامن، د. حاتم، نصوص محقّقة في اللغة والنحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ١٩٩١.
٣٢. ظاظا، د. حسن، كلام العرب، (من قضايا اللغة العربيّة) بيروت، لبنان، ١٩٧٦.
٣٣. عبدالنواب، د. رمضان، مشكلة الهمزة العربيّة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٩٩٦.
٣٤. عبدالنواب، د. رمضان، التطور اللغويّ (مظاهره وعلله وقوانينه) مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٩٨٣.
٣٥. عبدالنواب، د. رمضان، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، د. ت.

٣٦. العدناني، محمد، الأخطاء الشائعة، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،
١٩٧٣.
٣٧. عطّار، أحمد عبدالغفور، مقدّمة كتاب الصحاح، القاهرة، ط ١،
١٩٨٢.
٣٨. عمر، د. أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب،
ط ٧، ١٩٩٧.
٣٩. ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تح: عبدالسلام هارون، دار
الجيل، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩١.
٤٠. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة العربيّة، أحمد حسن
بسج، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧.
٤١. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: د. مهدي
المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، د. ت.
٤٢. الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب
العلميّة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٥.
٤٣. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، تح: محمد زينو،
مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٥.
٤٤. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، تح: محمد محيي الدين
عبدالحميد، ط ٤، ١٩٦٣.
٤٥. قدّور، د. أحمد محمد، مصنّفات اللحن والتثقيف اللغويّ حتى
القرن العاشر الهجريّ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦.

٤٦. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٥٥.
٤٧. الموسى، د. نهاد، قضيّة التحول إلى الفصحى في العالم العربيّ الحديث، دار الفكر، عمان، ط ١، ١٩٨٧.
٤٨. الميدانيّ، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
٤٩. هلال، د. عبدالغفار حامد، اللهجات العربيّة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٣.
٥٠. الواسطي، عبدالله بن عبدالمؤمن، الكنز في القراءات العشر، تح: هناء الحمصي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٨.

ثانياً: أخبار جمعية

المؤتمرات والندوات والمحاضرات

انطلاقاً من حرص مجمع اللغة العربية الأردني على المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي تُعقد في داخل الأردن وخارجه، فقد شارك الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في دورته الثانية والثمانين، الذي حمل عنوان: "واقع اللغة العربية في المجتمعات العربية: الأسباب والمواجهة" في المدة من ٢١ آذار إلى ٤ نيسان ٢٠١٦م.

حيث قدّم الأستاذ الدكتور خالد الكركي بحثاً عنوانه: "رؤية جديدة في الإصلاح اللغوي"، وقد سار المؤتمر على نهجه المعهود في جلساته العلمية المغلقة وفي جلساته المفتوحة التي شهدت قدراً كبيراً من الحوار والمداخلات نتيجة لمشاركة كثير من أعضاء مؤسسات المجتمع المدني وأساتذة الجامعة ومن الجمهور المثقف الحريص على متابعة أنشطة المجمع ومؤتمراته.

وصدرت عن المؤتمر التوصيات الآتية:

أولاً: يؤكد المؤتمر القرارات والتوصيات الصادرة عنه في المؤتمرات السابقة، ويهيب بالمسؤولين وصنّاع القرار في جميع

أقطار الوطن العربي أن يعملوا على تفعيلها واتخاذ الخطوات التي تكفل الالتزام بها.

ثانيًا: يدعو المؤتمر حكومات الدول العربية - وبخاصة وزراء التربية والتعليم فيها - إلى وضع سياسة لغوية يدعمها قرار سياسي ملزم، تتضمن التخطيط اللغوي لتعليم العربية في المدرسة والجامعة، بحيث يراعى البدء بتعليم العربية وتعلّمها في المرحلة الأولى من الدراسة والتعليم الأساسي، وتعليم اللغة الأجنبية وتعلّمها في مرحلة متقدمة، بعد أن يتم التأسيس للعربية دون منافسة من لغة أخرى، لا يبدأ تعليمها قبل الثامنة أو التاسعة من العمر كما تتضمن العمل على تعليم العلوم في الجامعة بالعربية.

ثالثًا: يدعو المؤتمر حكومات الدول العربية إلى العمل على التمكين للعربية، بوساطة قرارات سياسية ملزمة في وزارات التعليم والثقافة والإعلام والأوقاف وغيرها من المؤسسات والهيئات، وأن يصبح التعريب مشروعًا قوميًا يتطلب القرار السياسي والدعم الشامل والمشاركة المجتمعية، تأكيدًا للهوية القومية، وتحقيقًا للتقدم والتطور والإبداع، وجعل العربية قادرة على الوفاء باحتياجات العصر والقيام بمتطلبات جوانب الحياة المختلفة وتطلعات المستقبل، من غير انغلاق أو تقوقع.

رابعًا: يرى المؤتمر ضرورة الحرص على التجديد والابتكار في اللغة وبها، ووضع القوانين اللازمة لحماية اللغة العربية، ومؤازرة اقتحامها لعصر العلم والتكنولوجيا المتسارعة وثورة المعلومات، والثورة الاتصالية، التي تتحقق من خلال الإعلام بقنواته التقليدية والإعلام الإلكتروني الذي أصبح حقيقة قائمة ومسيطرة.

خامسًا: يدعو المؤتمر إلى تفعيل المجامع اللغوية، وضرورة عكوفها على صناعة المعاجم اللغوية والعلمية النوعية، ومواجهة المشكلات التي تعترض سبيل ازدهار اللغة الفصيحة، مثل الترويج لاستخدامات العامية بوصفها اللغة الحديثة والبديلة.

سادسًا: يدعو المؤتمر إلى النهوض باللغة العربية في مجال التوجه نحو مجتمع المعرفة تلبية لدعوة كثير من علماء اللغة المعاصرين وزيادة نسبة المحتوى الرقمي بالعربية على الشبكة الدولية (الإنترنت).

سابعًا: يطالب المؤتمر بتحقيق مزيد من التعاون والتنسيق بين المجامع اللغوية وجمعيات المجتمع المدني القائمة على حماية اللغة العربية وخدمتها، والعمل على توسيع دائرة سيادتها وانتشارها في جميع مناحي الحياة تعليمًا وإدارة وإعلامًا وتواصلًا وأداءً سليمًا

على الألسنة والأقلام، وهي جمعيات تتطلب الرعاية والاهتمام والدعم.

ثامنًا: يدعو المؤتمر وزراء الخارجية العرب والعاملين في مجالات التعاون الدولي إلى الحرص على التمسك باللغة العربية الصحيحة في كل ما يصدر عنهم من مكاتبات وبيانات ودعوات، وما يشاركون فيه من مؤتمرات وملتقيات، مستثمرين الاستخدام الرسمي للعربية ضمن لغات الخطاب الدولي، وتأسيس يوم عالمي للغة العربية.

تاسعًا: يدعو المؤتمر الملوك والأمراء والرؤساء العرب إلى تأكيد ما سبقت موافقتهم عليه في مؤتمرات قمة سابقة ليصدروا في مؤتمر القمة القادم قرارهم السياسي الملزم بالتعريب.

عاشرًا: يرى المؤتمر ضرورة الاهتمام بإقامة مراكز تربوية لتدريب معلمي اللغة العربية والعلوم المختلفة وتأهيلهم، وجعلهم أكثر قدرة على الأداء اللغوي السليم وضرورة إقامة اختبارات في اللغة تسبق تعيين هؤلاء المعلمين لاختيار الأكفأ والأكثر صلاحية، والإفادة من تجربة الأردن في هذا المجال، وهي تجربة تشترط اجتياز اختبار الكفاءة اللغوية قبل التعيين في التعليم والإعلام

وغيرهما، وترى أن المعلم في المدرسة معلم لجميع المواد باللغة العربية الصحيحة.

حادي عشر: يدعو المؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية إلى الاهتمام بالوصول إلى الشباب ومخاطبتهم من خلال منصاتها الإعلامية ومطبوعاتها وأدواتها التقنية، فيكون لها صفحاتها وحساباتها على وسائل الإعلام الإلكتروني لضمان وصول رسالتها ومنجزاتها إلى الشباب ودفعهم إلى دائرة الصواب اللغوي.

كما شارك الأستاذ الدكتور خالد الكركي في مؤتمر اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية المنعقد بدار المجمع بالزمالك في الفترة من ٥ - ٦ نيسان ٢٠١٦م.

مؤتمر دور الأردن في إحياء التراث العربي الإسلامي

استضاف المجمع يوم الأربعاء الموافق ٢٠ نيسان ٢٠١٦م، فعاليات اليوم الثاني لمؤتمر "دور الأردن في إحياء التراث العربي الإسلامي" الذي أقامته جامعة آل البيت برعاية سمو الأمير غازي بن طلال. وشارك فيه عدد وافر من الباحثين من داخل الأردن وخارجه، وعدد من أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، وهم الأساتذة: الدكتور عبدالمجيد نصير، والدكتورة سري سبيع العيش، والدكتور عبدالقادر عابد، والدكتور يوسف بكار.

المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية في دبي

شارك الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع في فعاليات المؤتمر الدولي الخامس للغة العربية في دبي ببحث عنوانه "جهود المملكة الأردنية الهاشمية في خدمة اللغة العربية"، كما شارك الدكتور محمد سليمان السعودي الأمين العام للمجمع ببحث عنوانه: "قانون حماية اللغة العربية في المملكة الأردنية الهاشمية لعام ٢٠١٥م".

وكان المؤتمر تحت رعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي خلال المدة ٢٧ - ٣٠ رجب ١٤٣٧ هـ الموافق ٤ - ٧ أيار ٢٠١٦م في مدينة دبي. وشارك في المؤتمر ما يقرب من ألفين وخمسمئة شخصية من علماء ومختصين ومهتمين ومسؤولين من اثنتين وسبعين دولة، حيث قُدم للمؤتمر ألف ومئة وسبع وستون دراسة وورقة عمل نوقشت في مئة واثنين وسبعين ندوة وجلسة رئيسية، وتحدّث في المؤتمر ما يزيد على ألف ومئتين وخمسين متحدثاً. وشهد حفل الافتتاح تسليم "جائزة محمد بن راشد للغة العربية" وسط حشد دولي كبير من العلماء والباحثين والمختصين والمسؤولين من مختلف دول العالم.

كما أن الجلسة الختامية في المؤتمر عرضت أفضل تجربة حكومية عربية في خدمة اللغة العربية، تلتها مراسم تكريم أفضل خمس عشرة دراسة

قدمت للمؤتمر وعالجت القضايا والموضوعات التي تتعلق باللغة العربية سواء في المجال التخصصي الأكاديمي العلمي أو في المجالات التطبيقية الميدانية الأخرى، ثم أعلنت نتائج انتخابات الاتحاد الدولي للغة العربية، وأعلن البيان الختامي للمؤتمر.

أهداف مؤتمر دبي الدولي الخامس للغة العربية:

- ١- تشجيع البحث العلمي في تخصصات اللغة العربية المختلفة، وربطها بجميع التخصصات.
- ٢- الاهتمام بالبحث العلمي ونشر الأبحاث والدراسات التي تهتم باللغة العربية من جميع التخصصات.
- ٣- تجسير الفجوة بين اللغة العربية والمختصين في التخصصات المختلفة.
- ٤- تحقيق التواصل بين العلماء والباحثين والمختصين المهتمين باللغة العربية ببعضهم، وتعزيز التواصل والشراكات العلمية بينهم.
- ٥- البحث في جميع القضايا والموضوعات التي تتعلق باللغة العربية في أقسام اللغة العربية وآدابها.
- ٦- بحث القضايا والموضوعات التي تتعلق باللغة العربية في مختلف التخصصات والمهن.

- ٧- نشر الوعي بأهمية اللغة العربية على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والمؤسسات الحكومية والأهلية.
- ٨- تشجيع المبادرات والتجارب الناجحة التي تهتم باللغة العربية، والعمل على توظيفها في جميع شؤون الحياة.
- ٩- الاستفادة من التجارب الميدانية والخبرات الشخصية في تطوير تعلم اللغة العربية وتعليمها.
- ١٠- الاهتمام بالتقارير والدراسات والاختبارات والمعايير التي تهتم بمعالجة اللغة العربية على جميع المستويات.
- ١١- تعزيز الهوية والثوابت الوطنية والثقافة العربية من خلال اللغة العربية.
- ١٢- دعم الجهود التي تعمل على حوسبة اللغة العربية وربطها بالصناعة والتقنية والتجارة
- ١٣- دعم السياسات والتشريعات والخطط التي تعمل على فرض اللغة العربية في الإدارة والتعليم وسوق العمل والإعلام.
- ١٤- تعزيز العلاقة بين اللغة العربية والترجمة والعلوم المختلفة.
- ١٥- التواصل والتكامل بين المختصين والمعلمين والمسؤولين لخدمة اللغة العربية.
- ١٦- البحث عن مصادر تعليمية حديثة لخدمة اللغة العربية ونشرها بالطرق الحديثة التي تتوافق مع معطيات العصر.

- ١٧ - التأكيد على أهمية التدريس والتعليم باللغة العربية في جميع المراحل الدراسية.
- ١٨ - ربط اللغة العربية بالدراسات وأنظمة الحكم الوطنية باعتبارها مسألة وطنية تتعلق بالسيادة والوحدة الوطنية.
- ١٩ - تفعيل مواد الدراسات وأنظمة الحكم الوطنية المعنية باللغة العربية لتحقيق السيادة الوطنية والعربية.
- ٢٠ - الاهتمام بأقسام تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- ٢١ - تشجيع الحوار والتواصل وتبادل المصالح على المستوى العربي والدولي.
- ٢٢ - تجسير الفجوة بين اللغة العربية والعلوم والصناعات ومعطيات العصر الحديثة.
- ٢٣ - تفعيل دور المؤسسات الحكومية والأهلية والأفراد في خدمة اللغة العربية.
- ٢٤ - زيادة المحتوى العربي على الشبكة العنكبوتية وتعزيزه ونشره.

اختيار الأستاذ الدكتور خالد الكركي

عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة

أعلن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في افتتاح فعاليات الدورة الثانية والثمانين لمؤتمره السنوي، عن اختيار الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس مجمع اللغة العربية الأردني عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة بناء على القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٨٢م بشأن إصدار قانون تنظيم مجمع اللغة العربية وتعديلاته، وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٨٧ لسنة ٢٠١٥م بتفويض رئيس مجلس الوزراء في بعض الاختصاصات، وعلى ما عرضه وزير التعليم العالي والبحث العلمي.

مسابقات المجمع وجوائزه

أعلن مجمع اللغة العربية الأردني في شهر أيار ٢٠١٦م، بمناسبة مرور أربعين عاماً على تأسيسه، واحتفالاً بمئوية الثورة العربية، عن أربع جوائز لدعم العربية والاحتفاء بها وترسيخها في نفوس أبنائها ومحبيها على النحو الآتي:

- ١- جائزة مجمع اللغة العربية الأردني لأحسن كتاب مؤلف أو مترجم.
- ٢- جائزة تقديرية لشخصية أو جهة قدّمت خدمة جليلة للغة العربية.
- ٣- جائزة للأطفال من عمر (١٢ - ١٥) على مستوى المملكة بعنوان "أحب لغتي العربية" في: (الرسم، والخط العربي، والتصميم الحاسوبي، والقصة القصيرة).
- ٤- جائزة فن الخط العربي.

هذا، وستعلن نتائج هذه المسابقات على هامش الحفل الكبير الذي يراه جلاله الملك عبدالله الثاني ابن الحسين بمناسبة احتفالات المجمع بمرور أربعين عاماً على تأسيسه.

إذاعة المجمع

سعى المجمع إلى تأسيس إذاعة خاصة به. وقد وقّع الأستاذ الدكتور خالد الكركي رئيس المجمع مع الدكتور أمجد القاضي رئيس هيئة الإعلام الأردنية اتفاقية في ١٣/٣/٢٠١٦م، للسماح بالبحث، والحصول على تردد لها، وعلى التراخيص والأجهزة والمعدات اللازمة.

وألف مجلس المجمع في اجتماعه يوم الأحد ٢٠/٣/٢٠١٦ لجنة للنظر في أمور الإذاعة التي ستبث باسم المجمع، ووضعت تصوراً لبرامج إذاعية تخدم اللغة العربية، وترتقي بالذائقة الفنية، وتحبب الناس بالفصحى، وتطلعهم على قدرات اللغة وكنوزها ومرونتها وغناها اللفظي والتعبيري، وتواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون. وقد تألفت اللجنة من الأساتذة:

- الدكتور عبدالمجيد نصير، مقررًا.
- الدكتور إبراهيم بدران.
- الدكتور عبدالحמיד الفلاح.
- الدكتور جعفر عبابنة.
- الدكتور محمد حور.

- الدكتور محمد السعودي، الأمين العام
للمجمع.

وسوف تَدشَّن الإذاعة في وقت قريب من هذا العام إن شاء الله.

الاحتفال بمرور أربعين عاماً على تأسيس المجمع

بمناسبة مرور أربعين عاماً على تأسيس المجمع قرر مجلس المجمع

الاحتفال بهذه المناسبة، واتخذ القرار الآتي:

أ- يوافق مجلس المجمع على التصور الذي أعده المكتب التنفيذي

لبرنامج احتفال المجمع بالذكرى الأربعين لتأسيسه.

ب- تأليف لجنة عليا للإشراف على الاحتفال برئاسة الأستاذ رئيس

المجمع، وعضوية الزملاء:

الأستاذ إسحق فرحان

الأستاذ عبدالمجيد نصير

الأستاذ عبداللطيف عربيات

الأستاذ محمد حمدان

الأستاذ عيد دحيات

الأستاذ عبدالحميد الفلاح

الأستاذ سمير استيتية

الأستاذ جعفر عبابنة

بعثت هذه اللجنة برسالة إلى هيئة تحرير المجلة بشأن توصية

بإصدار عدد خاص من المجلة، بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس

المجمع، على أن يكون هذا العدد خارج تسلسل المجلة، ولا

يتضمن بحثاً محكمة، بل يقدم صورة ثقافية فكرية عن المجمع، تُكتب فيه بحوث وآراء وشهادات تتعلق بالمناسبة، إضافة إلى مسائل مهمة يجب أن تكون محاور لهذا العدد مثل: تحقيق التراث، والتخطيط اللغوي، والمعجم الحديث، والمعاجم والمفردات، وتنشر فيه بعض إنجازات أعضاء المجمع.

وافق أعضاء الهيئة على مضمون الرسالة، وأثنوا عليها، ورأوا أنه من المناسب استكتاب عدد من الأشخاص ممن لهم شأن في القلم الأدبي والسياسي والتاريخي، وأن يشتمل هذا العدد على ما يأتي:

- ١- مقالات عن أعضاء المجمع الراحلين، وشيئاً من كتاباتهم.
 - ٢- شهادات من الأعضاء القدامى.
 - ٣- دور المجامع.
 - ٤- تطور مجامع اللغة في العالم وفي العالم العربي.
- وتقرر أن تتولى الهيئة مهمة اختيار أسماء المستكتمين في هذا العدد.

كما قررت اللجنة تكريم الشخصيات ذات الصلة بالمجمع بدروع خاصة، فشكّلت لذلك لجنة مصغرة تختصّ بالتكريم؛ وقد توصلت اللجنة العليا إلى معايير اختيار الأشخاص والجهات الذين

سيكرمهم المجمع تمثلت في محورين، الأول: الأشخاص والجهات الذين قدّموا خدمات للمجمع، الثاني: الأشخاص والجهات الذين قدّموا خدمات جلييلة للغة العربية في الأردن، فقررت أن تكرم كل من:

أولاً: الأعضاء المؤسسون للمجمع، وهم:

١. الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

٢. الأستاذ الدكتور محمود السمرة

٣. الأستاذ الدكتور سعيد التل

٤. الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

٥. الأستاذ عيسى الناعوري

ثانياً: دولة الدكتور عبدالله النسور، رئيس الوزراء السابق.

ثالثاً: دولة عبدالرؤوف الروابدة، رئيس مجلس الأعيان السابق.

رابعاً: المهندس عاطف الطراونة، رئيس مجلس النواب السابق.

خامساً: المرحوم الدكتور أحمد سعيدان.

سادساً: المرحوم روكس العزيزي.

والمجمع بصدد تصميم دروع خاصة بالمناسبة، سيقدمها للمكرمين.

ج - تأليف لجنة لوضع الكتاب التذكاري عن مسيرة المجمع ومنشوراته

برئاسة الأستاذ محمد حمدان وعضوية الزملاء:

الأستاذ همام غصيب، والأستاذ عبدالحميد الفلاح، والأستاذ جعفر
عبابنة، والأستاذ عودة أبو عودة، والدكتور محمد السعودي الأمين العام
للمجمع.

اجتمعت لجنة الكتاب التذكري اجتماعات مكثفة أعدت خلالها
الكتاب التذكري بعنوان: "مجمع اللغة العربية الأردني في أربعين عاماً" في
خمسة أبواب وسبعة ملاحق بالإضافة إلى معرض للذكريات والصور.

مجمع اللغة العربية يطلق سلسلة محاضرات شهرية

أطلق مجمع اللغة العربية الأردني سلسلة محاضراته الشهرية المتتابعة بدءاً من شهر أيار، وتأتي هذه السلسلة حرصاً من المجمع على المشاركة الفاعلة في الحفاظ على اللغة العربية، وإعلاء شأنها ودعمها، وتعزيزاً للهوية القومية، وتواصلًا مع المجتمع العربي والمحلي.

واستهل المجمع سلسلة محاضراته بمحاضرة للأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع المشرف على كرسي الأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن ناصر المانع للغة العربية وآدابها، في جامعة الملك سعود، عنوانها "يوم الخروج: المتنبى هارياً!" يوم الأحد ١٥ / ٥ / ٢٠١٦م.

وقال رئيس المجمع الدكتور خالد الكركي: إن هذه المحاضرة تأتي ضمن سلسلة من المحاضرات الشهرية التي تعبر عن حرص المجمع على المشاركة الفاعلة في الحفاظ على اللغة العربية، وإعلاء شأنها ودعمها، وتعزيز الهوية القومية.

وبيّن الكركي أن المجمع لديه سلسلة من النشاطات الثقافية إضافة إلى مؤتمره السنوي، مبيّناً أن اللغة العربية هي الوجه

الدستوري للبلاد وفق نص الدستور الأردني الذي نصّ على أن العربية هي اللغة الرسمية للدولة.

من جهته قدّم المانع ملخص مسيرته البحثية التي استمرت نحو عشرين عاماً حول المتنبي، وخروجه من الفسطاط وهروبه من والي مصر حينها كافور الإخشيدي، إلى الكوفة في أرض العراق، عارضاً سلسلة من القراءات التي توضح المغالطات التاريخية حول هروب المتنبي من مصر والحوارق التي تم إلصاقها بقصة هروبه.

وعرض المانع في نهاية المحاضرة خارطة تقف على كل محطة من محطات هروب المتنبي من مصر عبر سيناء والأردن، والأراضي السعودية، والعراق حيث وقف المانع برفقة عدد من الباحثين والمختصين خلال خمس سنوات من رسم الخارطة على كل الأماكن التي توقف فيها المتنبي في رحلته.

جدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع وُلد في مدينة شقراء بالمملكة العربية السعودية سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، وحصل على البكالوريوس من كلية اللغة العربية بالرياض سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م وعلى الدكتوراه في جامعة إكستر بالمملكة المتحدة سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م في تخصص تحقيق المخطوطات. وانخرط - منذ ذلك الوقت - في السلك

الأكاديمي، فعمل مدرساً في قسم اللغة العربية في جامعة أم القرى، ثم انتقل إلى قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة الملك سعود منذ سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

وقد تولّى البروفيسور المانع - إلى جانب عمله في التدريس والبحث العلمي - عدداً من المناصب الأكاديمية والإدارية فكان مديراً لمركز البحوث في كلية الآداب، ورئيساً لقسم اللغة العربية فيها لسنتين، وممثلاً لها في مجلس كلية الدراسات العليا لأربع سنوات، ورئيساً لتحرير مجلّتها لأربع سنوات أخرى. كما عمل مديراً للمكتب التعليمي السعودي بولاية كاليفورنيا في الولايات المتحدة لسنتين. ودُعي خلال سنتي ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م و١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م أستاذاً زائراً للدراسات العليا في مادة "تحقيق المخطوطات" بجامعة سوسة في تونس.

وقد تميّزت أعمال البروفيسور المانع بالدقّة والاتساق مع قواعد البحث العلمي والإلمام الواسع بالمصادر، وساهمت إسهاماً مقدّراً في إحياء التراث العربي القديم.

مُنح البروفيسور عبدالعزيز ناصر المانع جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب عام ٢٠٠٩م؛ تقديراً لجهوده المتميّزة في مجال تحقيق نصوص من التراث في الفترة المحدّدة

لموضوع الجائزة؛ إذ برهن على إلمام واسع بمصادر مختلفة ومتنوعة أحسن توظيفها في تحقيق عدد من المؤلفات التراثية المهمة وضبطها وإجلاء غوامضها، وفقاً للمناهج العلمية الدقيقة في مجال صناعة التحقيق. ممّا يسّر للقراء المعاصرين معرفة جانب من التراث الأدبي العربي وأتاح نصوصاً أساسية منه للباحثين المختصين وللمكتبة العربية.

لما كان البروفيسور المانع أول محقق سعودي يفوز بجائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والأدب، فقد احتفى العديد من زملائه وطلابه بفوزه وقرّرت جامعة الملك سعود الاحتفاء بالبروفيسور المانع - بعد نيله جائزة الملك فيصل - بتخصيص كرسيّ بحثٍ باسمه ومنحه الميدالية الذهبية للجامعة وجائزة مالية.

إهداء الدكتور عبدالحميد محمد بدران إلى مجلة المجمع

أمجلتي

كم بالعلاء أهجتِ شوق فؤادي
ورسمتِ للذنيا خطوط معارف
ووضعت في عقلي أصول مناهج
أنا إن ظمئتُ غرقتُ في بحر العلا
أنا برعم من كل نفس أيقنتُ
أنتِ الطمّوح وكل قلب نابض
بل مهجة الأفكار تفترش العلا
أمجلتي إنني عشقتك لا أرى
واضأتِ ليلي بعد طول سهادي
قد زينت للناس حُب الضّاد
قد أينعتُ ثمراً وحَبّ حصاد
وإذا نهلتُ نهلتُ كل رشاد
أن الطمّوح تعلّاه الأجساد
يسمو على الأضغان والأحقاد
صبّا وتلتحفُ النبوغ الصادي
في حب غيرك سلوة لفؤادي
فيحاء يا مسطورة الأمجاد
فإليك من قلبي المقيم نفحةً

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد أُجريت في قاعة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

رسائل الدكتوراه في كلية الآداب:

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة ناريمان "محمد جهاد" محمود أسعد، عنوانها: "حقوق الإنسان في نماذج من الرواية العربية"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد القضاة والأستاذ الدكتور إبراهيم خليل والأستاذ الدكتور محمد المجالي، وذلك يوم الثلاثاء ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ، الموافق ٢٩/٣/٢٠١٦م.
- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالبة أمل أحمد عبداللطيف أبو حنيش، عنوانها: "صورة اليهودي وصورة العربي في نماذج من الرواية العربية في مطلع القرن الحادي والعشرين"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور

إبراهيم السعافين والدكتورة فوز نزال، وذلك يوم الخميس ١٣ رجب ١٤٣٧هـ، الموافق ٢١/٤/٢٠١٦م.

رسائل الماجستير في كلية الآداب:

● رسالة ماجستير مقدّمة من الطالب محمود عبدالحميد عبدالرحيم الشاقلدي، عنوانها: "توظيف الصورة في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: دراسة وصفية تحليلية"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذة الدكتورة سهى فتحي نعجة المشرفة/ رئيسة، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور سيف الدين الفقراء والأستاذ الدكتور جزاء محمد المصاروة، وذلك يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٤٣٧هـ، الموافق ٣/٣/٢٠١٦م.

● رسالة ماجستير مقدّمة من الطالب محمد عبدالله عبدالباري عبدالقادر، عنوانها: "الشعر من منظور الفلاسفة العرب: الفارابي نموذجاً"، وتألّفت لجنة المناقشة من الدكتور عبدالكريم الحيارى المشرف/ رئيساً، وعضوية: الدكتور حمدي منصور والدكتور ياسين عايش والدكتورة بلقيس الكركي، وذلك يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ، الموافق ١٧/٣/٢٠١٦م.

● رسالة ماجستير مقدّمة من الطالب عياش قعيميل حمود البلوي، عنوانها: "الطبيعة في شعر بني تميم في العصر الجاهلي"،

وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور حمدي منصور المشرف/
رئيساً، وعضوية: الدكتور جهاد المجالي والدكتور محمد حسن
عواد والدكتور محمد الخلايلة، وذلك يوم الأربعاء ١٤ جمادى
الآخرة ١٤٣٧هـ، الموافق ٢٣/٣/٢٠١٦م.

- رسالة ماجستير مقدّمة من الطالبة قدريّة هوكلكلي، عنوانها:
"إشكالية ترجمة التراكيب اللغوية بين العربية والتركية"، وتألفت
لجنة المناقشة من الدكتورة سهى نعجة المشرفة/ رئيسة،
وعضوية: الدكتور محمد عواد والدكتورة فاطمة العليمات
والدكتور جزاء المصاروة، وذلك يوم الخميس ٢٠ رجب
١٤٣٧هـ، الموافق ٢٨/٤/٢٠١٦م.

رسائل الدكتوراه في كلية الشريعة:

- رسالة دكتوراه مقدّمة من الطالب عبدالمولى عبدالله أحمد
الزيوت، عنوانها: "الانفرادات اللفظية دلالاتها وعلاقتها بالوحدة
الموضوعية للصور القرآنية: دراسة تطبق من أول سورة الرحمن
إلى نهاية سورة المرسلات"، وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ
الدكتور محمد حازر المجالي المشرف/ رئيساً، وعضوية:
الأستاذ الدكتور أحمد شكري والأستاذ الدكتور نائل أبو زيد
والدكتور سليمان الدقور، وذلك يوم الاثنين ٢٣ ربيع الأول
١٤٣٧هـ، الموافق ٤/١/٢٠١٦م.